رِيُّ الظَّمْآن

بِمَجَالِسِ شُعَبِ الإِيمَان

لِلْحَافِظِ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْبَيْهَقِيِّ

٦
الإيمان
باليوم الآخر

تأليف
أَبِي حَمْزَةَ غَازِي بْنِ سَالِمٍ أَفْلَح
إمام وخطيب مسجد سالم بن بخيت بدبي

عَفَا اللهُ عَنْهُ وَعَنْ وَالِدَيْهِ وَمَشَايِخِهِ وَجَمِيعِ المُسْلِمِينَ

سلسلة: ريِّ الـظَّمْـآن بِمَجالِس شُعَبِ الإيمَـانِ (٦)

الإِيْمَانُ

باليوم الآخر

تأليف

أبي حمزة غازي بن سالم أفلح

عفا الله عنه وعن والديه ومشايخه وجميع المسلمين

تقديم

الدكتور عزيز بن فرحان العنزي — الدكتور رشاد بن حمود الحزمي

الشيخ عبد العزيز بن يحيى البرعي — الشيخ محمد بن عبد الله باموسى

الشيخ نعمان بن عبد الكريم الوتر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى لمكتبة دروس الدار

١٤٤٤هـ- ٢٠٢٢م

(مزيدة ومنقحة)

رقم الفسح الإعلامي في دولة الإمارات العربية المتحدة دبي

MC-01-01-7549142

Date-2022-04-19

الترقيم الدولي

ISBN: -978-9948-04-572-4

التصنيف العمري: **E**

تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقا لنظام التصنيف العمري الصادر عن وزارة الثقافة والشباب

للتواصل مع المؤلف: **ghazi.salem@hotmail.com**

الإمارات العربية المتحدة – الشارقة

البريد الإلكتروني: **droosaldar@gmail.com**

للتواصل: **00971503667077**

تويتر: **@DroosAldar**

الركن السادس من أركان الإيمان

الإيمان
باليوم الآخر

المجلس الحادي والعشرون [١]

الشعبة السادسة من شعب الإيمان: الإيمان باليوم الآخر

من شعب الإيمان: الإيمان باليوم الآخر، وقد ذكره البيهقي رحمه الله في الشعبة السادسة من شعب الإيمان، وذكر معه أيضًا أمورًا ترتبط باليوم الآخر، وأدخلها من جملة شعب الإيمان[٢].

الإيمان باليوم الآخر من أركان الإيمان الستة:

والإيمان باليوم الآخر من أركان الإيمان الستة.

وقد تقدّم معنا ذِكْرُ حديث جبرائيل عليه السلام، وأنه سأل النبي ﷺ عن الإيمان، فقال النبي ﷺ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[٣].

ما هو اليوم الآخر؟

قال العلماء: اليوم الآخِر هو يوم القيامة، سُمِّيَ بذلك لأنه لا يوم بعده،

وهو اليوم الذي تعاد فيه الأرواح إلى الأجساد، وتُبعَث فيه الخلائق للجزاء والحساب والمعاد؛ فهو آخر يومٍ لا يوم بعده سواه.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "قيل له ذلك لأنه آخر أيام الدنيا أو آخر الأزمنة المحدودة"[٤].

---

(١) كان في يوم الاثنين الثامن عشر من شهر رمضان ١٤٤١هـ.

(٢) شعب الإيمان (١/٤٠٦).

(٣) تقدم تخريجه في المجلس الخامس عشر.

(٤) فتح الباري (١/١١٨).

كفر من لا يؤمن باليوم الآخر:

يقول ربنا ﷻ في كتابه الكريم مبيِّنًا كُفْرَ من لم يؤمن بهذا اليوم: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء]

فالإيمان به واجب على جهة الإجمال وعلى جهة التفصيل فيما ثبت عند المكلَّف مما جاء في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ

ويقول الله ﷻ: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ما يتضمّنُه الإيمان باليوم الآخر:

والإيمان باليوم الآخر الذي هو الإيمان بالقيامة يتضمن ثلاثة أمور:

الأمر الأول: الإيمانُ بأشراط الساعة التي هي من مقدِّمات هذا اليوم العظيم.

والأمر الثاني: الإيمان بالبرزخ وما يجري فيه من عذاب ونعيم وكلِّ ما أخبرنا عنه النبي ﷺ مما يقع من سؤال الميت وفتنته في قبره ونحو ذلك مما هو من أمور الغيب منذ أن يموت الإنسان وحتى يدخل قبره وحتى يبعث يوم القيامة كلُّ هذا من الغيب الذي يدخل في الإيمان باليوم الآخر؛ فـ «**الْقَبْرُ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ**» كما في الحديث.(١)

الأمر الثالث: الإيمانُ بالنفخ في الصور ثم البعث والجزاء والحساب وما يكون في يوم القيامة.

فالإيمان باليوم الآخر إذًا يتضمّنُ الإيمانَ بهذه الأمور الثلاثة.

وكلُّ أمرٍ منها تندرج تحته جملةٌ من المسائل العظيمة التي سنجتهد في المرور عليها -إن شاء الله-، على جهة الاختصار بدءًا من مجلسنا هذا ثم المجالس القادمة بإذن الله.

من ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

الإيمانُ باليوم الآخر له ثمراتٌ جليلة. فمن ذلك:

١- حَثُّ العبد على فعل الطاعات والمسابقة في الخيرات رغبةً في الثواب الكائن في ذلك اليوم العظيم، فيجتهد المؤمن في عمل الطاعة وفيما أمره الله ﷻ به، وهو يتذكّر أنّ هناك يومًا عظيمًا هو يوم الجزاء، وهو يومٌ يكون فيه عظيم الثواب عند الله ﷻ.

---

(١) رواه أحمد (٤٥٤٠)، والترمذي (٢٣٠٨)، وابن ماجه (٤٢٦٧) من حديث عثمان رضي الله عنه.

٢- كما أن الإيمان بهذا اليوم يدفع العباد إلى ترك المعاصي والبُعْدِ عن العناد وترك المنكرات وسيِّء الأفعال خوفًا من العقاب الكائن في ذلك اليوم.

٣- وفيه أيضًا تسلية للمؤمن عمّا يفوته عن نعيم الدنيا ومتاعها بأن ثمة يومًا عظيمًا سيكون فيه الجزاء العظيم والنعيم الأبدي السرمدي.

٤- وفيه أيضًا وقوفُ العبد على فضل الله وعدله في المجازاة على الأعمال الصالحة والسيئة، فإذا ظُلِمَ الإنسان في هذه الدنيا فإنه يتذكر أن يوم القيامة هو يوم الفصل، وأن هناك يومًا عظيمًا سيقف فيه الظالم والمظلوم بين يدي الله ﷻ، فيقتص للمظلوم من الظالم.

وسيأتي إن شاء الله تعالى بيانُ أمور أخرى في الكلام عن بعض ما يتعلق بأسماءِ هذا اليوم العظيم وصفاتِه المذكورةِ في كتاب الله أو في سنة رسول الله ﷺ.

لا يعلم متى الساعة إلا الله:

وقد جاء البيان الواضح في كتاب الله ﷻ مع كثرة تساؤل الناس عن هذا اليوم أنه يومٌ لا يعلم متى يكون إلا اللهُ ﷻ:

يقول ربُّنا ﷻ: ﴿ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الذاريات]

ويقول ﷻ: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [السجدة]،

ويقول ﷻ -في ستة مواضع من كتابه الكريم-: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس: ٤٨، الأنبياء: ٣٨، النمل: ٧١، سبأ: ٢٩، يس: ٤٨، الملك: ٢٥]،

ويقول سبحانه: ﴿ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ ﴾ [القيامة].

وهكذا جاء في الصحيحين من حديث أنس بن مالك ﷺ أن رجلًا سأل النبي ﷺ: متى الساعةُ يا رسول الله؟ قَالَ: «**مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟**» قال: ما أعددتُ لها من كثير صلاة، ولا صوم، ولا صدقة، ولكني أحبُّ الله ورسوله. قَالَ: «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**»(١).

(١) البخاري (٧١٦٧)، ومسلم (٢٦٣٩).

هذا الأعرابي جزم جزمًا تامًّا بأنه يحب الله ورسوله، فهل يستطيع الواحد منّا أن يكون في صدقه وفي جزمه في هذا الأمر كهذا الصحابي؟!

-نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أولئك-.

كذلك جاء في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدِّث القوم جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدِّث، فقال بعضُ القوم: سمع ما قال فَكَرِهَ ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه قَالَ: «**أَيْنَ-أُرَاهُ-السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟**» قال: ها أنا يا رسول الله. فقال النبي ﷺ: «**فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**» قال: كيف إضاعتُها؟ قال: «**إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**»(١).

فهذه الأحاديث كلُّها تُبيِّن كثرة التساؤلات التي وقعت من بعض الناس متى تكون الساعة، والنبي ﷺ يبين أن الساعةَ غيبٌ لا يعلمه إلا الله.

وفي حديث جبريل لما سأل النبيَّ ﷺ: "متى الساعة؟" -يعني: متى تقوم الساعة؟ فأجاب ﷺ: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**» (٢)

فدلَّ هذا على أن الساعة غيبٌ لا يعلمه إلا الله.

الساعة حق:

وهي حقٌّ لا ريب فيه كما قال ربُّنا ﷻ: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٩ ﴾ [آل عمران]،

وقال ﷻ في قصة أصحاب الكهف: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ ﴾ [الكهف: ٢١]

وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ٥٩ ﴾ [غافر]

وقال سبحانه: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ ﴾ [آل عمران: ٢٥]

---

(١) البخاري (٥٩).

(٢) تقدم في المجلس الخامس عشر.

وقال ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧ ﴾ [النساء]

وقال ﷻ بعد أن ذكر كيف خَلَقَ ابنَ آدم وكيف تقلّب من تراب إلى نطفة إلى عقلة إلى مضغة مخلقة وغير مخلقة، قال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧ ﴾ [الحج]

وقال سبحانه: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٦ ﴾ [الجاثية].

الآيات التي أمر الله نبيّه فيها بالقسم بربه على قيام الساعة:

وقال ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ ﴾ [سبأ: ٣]،

وقال ﷻ: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡ ﴾ [التغابن: ٧]،

وقال سبحانه: ﴿ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٥٣ ﴾ [يونس].

فهذه ثلاث آيات يخبر الله ﷻ فيها عن سؤال الكفار واستخبارهم عن المعاد والقيامة وعن خروج الناس من قبورهم، فيأمر اللهُ نبيّه ﷺ أن يُقسِم بالله على أن الساعة حق:

﴿ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ ﴾

﴿ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ﴾

﴿ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٥٣ ﴾.

ومن دعاء النبي ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: «**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، لَكَ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ**

وَالأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ»[(١)].

قوله: «**وَالسَّاعَةُ حَقٌّ**» أي: يوم القيامة.

وأصل الساعة -كما سيأتي-: القطعةُ من الزمان.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وإطلاقُ اسم الحق على ما ذُكِرَ من الأمور معناه: أنه لا بُدّ من كونها وأنها مما يجب أن يُصدّق بها، وتكرارُ لفظِ «حَقٌّ» للمبالغة في التأكيد"[(٢)].

علم الساعة من مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله:

قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ﴾ [لقمان: ٣٤]

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي ﷺ: «**مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ اللَّهُ: لاَ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلاَّ اللَّهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إِلاَّ اللَّهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلاَّ اللَّهُ، وَلاَ تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ اللَّهُ**»[(٣)]. فالناس يتساءلون من قديم، ويسألون أنبياءهم عن الساعة ومتى قيامها، والقرآن يُبيِّنُ أن ذلك من علم الغيب.

الساعة قريبة:

وإذا عرفنا ذلك فقد جاء البيانُ في كتاب الله ﷻ أن الساعة قريب

قال ﷻ: ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ ﴾ [الأنبياء]

وقال ﷻ: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ ﴾ [القمر] أي: دَنَتِ الساعة التي تقوم فيها القيامة. كما قال ﷻ: ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [النحل]

وكما في الآية السابقة ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ [الأنبياء]

وقال ﷻ: ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧ ﴾ [المعارج]

---

(١) البخاري (١١٢٠)، ومسلم (٢٧١٧).

(٢) فتح الباري (٤/٣).

(٣) رواه البخاري (٤٦٩٧) واللفظ له، وهو في مسلم (٩) جزء من حديث جبريل عليه السلام.

وقال سبحانه: ﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأحزاب].

وقد جاء أيضًا في الصحيح من حديث سهل بن سعد وأنس وأبي هريرة رضي الله عنهم عن النبي ﷺ أنه قال: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ**»(١).

وَيُشِيرُ بِإِصْبَعَيْهِ فَيَمُدُّ بِهِمَا، وقَرَنَ بين إصبعيه: المسبِّحة والوسطى(٢).

وهذا بيانٌ منه ﷺ أنّ الساعةَ قريبٌ.

وجاء أيضًا عن النبي ﷺ كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند البخاري أنه قال: «**إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلاَةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ**»(٣).

يعني أن بقاء الأمة في هذه الدنيا بقاءٌ قليل، وأن قلة ما يبقى الناس في هذه الدنيا كما بين صلاة ظهر إلى صلاة عصر. وهذا مقارنةً بالأمم السابقة؛ فإن الساعة كيوم، وقد ذهب أكثرُه، ولم يَبْقَ منه إلا القليل.

الساعة تقوم بغتة:

أخبرنا سبحانه وتعالى عن قيام الساعة بأنه يكون فجأة. يقول جل جلاله: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأنعام]

وقال جل جلاله: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [الأعراف]

قال الحافظ ابن كثير وغيره من أهل التفسير: ﴿ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾:

أي: عظمت وكبرت على أهلها لهولها وما فيها من المحاسبة والمجازاة(٤).

---

(١) حديث سهل رضي الله عنه متفق عليه، رواه البخاري (٦٥٠٣)، ومسلم (٢٩٥٠) وحديث أنس رضي الله عنه متفق عليه، رواه البخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١) وحديث أبي هريرة رضي الله عنه تفرد به البخاري (٦٥٠٥).

(٢)

(٣) رواه البخاري (٥٥٧).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٢٠٧/٦).

وجاء في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرَّجُلُ يَحْلُبُ اللِّقْحَةَ فَمَا يَصِلُ الإِنَاءُ إِلَى فِيهِ حَتَّى تَقُومَ، وَالرَّجُلاَنِ يَتَبَايَعَانِ الثَّوْبَ فَمَا يَتَبَايَعَانِهِ حَتَّى تَقُومَ، وَالرَّجُلُ يَلِطُ فِي حَوْضِهِ فَمَا يَصْدُرُ حَتَّى تَقُومَ**»[(١)]. ومعنى قوله: يليط أو يلط في حوضه أي: يصلحه ويُطيِّنُه.

تقوم الساعة يوم الجمعة:

أخبرنا النبي ﷺ أن الساعة تقوم في يوم جمعة، يقول عليه الصلاة والسلام: «**خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ؛ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ**» رواه مسلم[(٢)].

وفي الموطأ والسنن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا أن النبي ﷺ قال: «**خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُهْبِطَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ مَاتَ. وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ. وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ مُصِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، مِنْ حِينِ تُصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ. إِلَّا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ. وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ**»[(٣)].

فهذا بيانٌ من النبي ﷺ لبعض الأحوال المتعلقة بهذا اليوم العظيم.

من مات قامت قيامته:

وجاء أيضًا البيان عن النبي ﷺ أن لكلٍّ ساعتَه وأنّ **من مات قامت قيامته**، فإن من يموت تقوم ساعته، ويبدأ حسابه في قبره، -نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من عباده المتقين- ويسميها العلماء "**القيامة الصغرى**" كما سيأتي في الحديث عن البرزخ- وهي ما يقوم على كل إنسان في خاصته من خروج روحه وفراق أهله وانقطاع سعيه وحصوله على عمله. إن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر.

---

(١) صحيح مسلم (٢٩٥٤).

(٢) صحيح مسلم (٨٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه.

(٣) الموطأ (٣٦٤) سنن أبي داود (١٠٤٦)، والنسائي (١٤٣٠)، والترمذي (٤٩١) ولفظه: «**خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الجَنَّةَ، وَفِيهِ أُهْبِطَ مِنْهَا، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يُصَلِّي فَيَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ**».

واستدلوا على أن من مات قامت قيامته الصغرى: بحديث عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: كَانَ الْأَعْرَابُ إِذَا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سَأَلُوهُ عَنِ السَّاعَةِ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَنَظَرَ إِلَى أَحْدَثِ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ، فَقَالَ: «**إِنْ يَعِشْ هَذَا، لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ، قَامَتْ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ**»(١).

قال الحافظ ابن كثير ﵀: وَالْمُرَادُ: انْخِرَامُ قَرْنِهِمْ، وَدُخُولُهُمْ فِي عَالَمِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ مَاتَ فَقَدْ دَخَلَ فِي حُكْمِ الْآخِرَةِ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ: مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ. وَهَذَا الْكَلَامُ بِهَذَا الْمَعْنَى صَحِيحٌ، وَقَدْ يَقُولُ هَذَا بَعْضُ الْمَلَاحِدَةِ، وَيُشِيرُونَ بِهِ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الزَّنْدَقَةِ وَالْبَاطِلِ ا.هـ(٢)

وقال الشاعر:

خَرَجْتُ مِنَ الدُّنيا وقامَتْ قِيَامَتِي ... غَداة أَقَلَّ الحَامِلُونَ جِنَازَتِي

وعجل أهلي حفر قبري وصيروا ... خروجي وتعجيلي إليه كرامتي

كَأَنَّهُمُوا لم يَعْرِفوا قَطُّ صورتي ... غَداةَ أَتَى يَوْمي عَلَيَّ وسَاعَتِي(٣)

وذكر شيخ الإسلام ﵀: أن الله تعالى ذكر في سورة الواقعة في أولها انقسام الناس في القيامة الكبرى إلى سابقين، وأصحاب يمين، ومكذبين؛ وذكر في آخرها انقسامهم عند الموت؛ فقال ﵀: وهو القيامة الصغرى؛ كما قال المغيرة بن شعبة ﵁: «**من مات فقد قامت قيامته**»(٤) وكذلك قال علقمة(٥)، وسعيد بن جبير(٦) عن ميت: «أمّا هذا

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٦٥١١) ومسلم (٢٩٥٢).

(٢) البداية والنهاية ط هجر (١٩/ ٣٢)

(٣) العاقبة في ذكر الموت (٢٥٤) لابن الخراط والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي (ص: ٥٤٧).

(٤) رواه الدولابي في الكنى والأسماء (١٦٢٧) والطبري في تفسيره ط هجر (٢٣/ ٤٦٨) عَنْ أَبِي قَيْسٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ ثَرْوَانَ، عَنْ زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ ﵁، يَقُولُ: «يَقُولُونَ الْقِيَامَةَ الْقِيَامَةَ، وَإِنَّمَا قِيَامَةُ أَحَدِكُمْ مَوْتُهُ»

(٥) رواه الدولابي في الكنى والأسماء (١٦٢٦) والطبري في تفسيره ط هجر (٢٣/ ٤٦٩) وفي تهذيب الآثار (٧٩٧)، عَنْ أَبِي قَيْسٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ ثَرْوَانَ، قَالَ صَلَّى عَلْقَمَةُ عَلَى جِنَازَةٍ، فَقَالَ: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ».

(٦) ذكره ابن عطية في تفسيره «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٥/ ٤٠١)

فقد قامت قيامته»[١]؛ أي صار إلى الجنة أو النار. وإن كان بعد هذا تعاد الروح إلى البدن، وتقعد بقبره ا.هـ[٢]

وفي الحلية لأبي نعيم بسند حسن قال بِشْرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَسَارٍ السُّلَمِيُّ: خَطَبَ عُمَرُ -يعني ابن عبد العزيز رحمه الله-، النَّاسَ فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، لَا يَبْعُدَنَّ عَلَيْكُمْ، وَلَا يَطُولَنَّ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَتْهُ مَنِيَّتُهُ فَقَدْ قَامَتْ عَلَيْهِ قِيَامَتُهُ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَزِيدَ فِي حَسَنٍ، وَلَا يَعْتِبَ مِنْ سَيِّئٍ**»[٣]

تقوم الساعة على شرار الخلق:

وأخبرنا النبي ﷺ أن الساعة حين تقوم، تقوم على شرار الخلق، كما في صحيح الإمام مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ عَلَى شِرَارِ النَّاسِ**»[٤].

وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في حديث الدجال قال: وسمعت النبي ﷺ يقول: «**فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلاَمِ السِّبَاعِ**»[٥]

يعني يكونون في سرعتهم إلى الشر وقضاء الشهوات كطيران الطير، وفي العدوان وظلم بعضهم بعضًا كأخلاق السباع العادية.

---

(١) وقد روي مرفوعا من حديث أنس بن مالك رواه ابن لال في مكارم الأخلاق -كما في الغرائب الملتقطة من مسند الفردوس لابن حجر (٤٨٠) بسنده عن عنبسة بن عبد الرحمن، حدثنا محمد بن زادان، عن أنس، مرفوعا: «إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته، فاعبدوا الله كأنكم ترونه واستغفروه كل ساعة». وعنبسة وضاع، وشيخه متروك. وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٥٤٦٢) (موضوع)

(٢) النبوات لابن تيمية (٢/ ٧١١)

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/ ٣٢٥)

(٤) صحيح مسلم (٢٩٤٩). وعلقه البخاري في صحيحه (٧٠٦٧) بلفظ: «**مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ**».

(٥) صحيح مسلم (٢٩٤٠).

وفي صحيح الإمام مسلم أيضا عَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ، اللهُ**»(١)

وفي رواية لأحمد « **... حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** »(٢)

وفي رواية لمسلم: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ: اللهُ، اللهُ**»(٣)

وفي رواية لابن حبان «**... عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**»(٤).

وهذا الحديث بمعنى الحديث السابق أن الساعة تقوم على شرار الخلق.

وفي صحيح البخاري عَنْ مِرْدَاسٍ الأَسْلَمِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ، الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، وَيَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ، أَوِ التَّمْرِ، لاَ يُبَالِيهِمُ اللَّهُ بَالَةً**»(٥)

قال الحافظ: قَالَ ابن بَطَّالٍ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ مَوْتَ الصَّالِحِينَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَفِيهِ النَّدْبُ إِلَى الِاقْتِدَاءِ بِأَهْلِ الْخَيْرِ وَالتَّحْذِيرُ مِنْ مُخَالَفَتِهِمْ خَشْيَةَ أَنْ يَصِيرَ مَنْ خَالَفَهُمْ مِمَّنْ لَا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِ وَفِيهِ أَنَّهُ يَجُوزُ انْقِرَاضُ أَهْلِ الْخَيْرِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ حَتَّى لَا يَبْقَى إِلَّا أَهْلُ الشَّرِّ ا.هـ(٦)

مناظرة عبد الله بن عمرو وعقبة بن عامر في هذا الحديث :

وقد جرت مناظرة بين عبد الله بن عمرو ﷺ، وبين عقبة بن عامر ﷺ في حديث: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ عَلَى شِرَارِ النَّاسِ**»، والتوفيق بينه وبين الحديث الوارد في الطائفة المنصورة. أخرجها الإمام مسلم في صحيحه (٧) عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيُّ،

---

(١) المرجع السابق (١٤٨).

(٢) مسند أحمد (٢١/ ٣٣٢) رقم (١٣٨٣٣)

(٣) صحيح مسلم (١٤٨).

(٤) صحيح ابن حبان (٦٨٤٨)

(٥) صحيح البخاري (٦٤٣٤)

(٦) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٢٥٢) وانظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ١٥٨)

(٧) وقد أشار إلى هذه المناظرة الحافظ في الفتح (١٣/ ٧٧) وعزاها للحاكم، وفاته في هذا الموضع أنها في =

قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مَسْلَمَةَ بْنِ مُخَلَّدٍ ﷺ، وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ، هُمْ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَدْعُونَ اللهَ بِشَيْءٍ إِلَّا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ**»، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ ﷺ، فَقَالَ لَهُ مَسْلَمَةُ: يَا عُقْبَةُ، اسْمَعْ مَا يَقُولُ عَبْدُ اللهِ، فَقَالَ عُقْبَةُ: هُوَ أَعْلَمُ، وَأَمَّا أَنَا فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ**»، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ ﷺ: أَجَلْ، «**ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ، فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ**»(١)

ذكر حديث الطائفة المنصورة وبيان عدم معارضته للحديث السابق:

قلت: وحديث عقبة بن عامر ﷺ المذكور حديث متواتر النقل عن النبي ﷺ فقد رواه جماعة من الصحابة غير عقبة ﷺ ومنهم:

(١) المغيرة بن شعبة ﷺ وحديثه رواه الشيخان في صحيحيهما عنه ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَنْ يَزَالَ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ**»(٢)

(٢) ورويا أيضا من حديث مُعَاوِيَةَ ﷺ أنه قال عَلَى الْمِنْبَرِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ**»، وفي رواية: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَلَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(٣)

ورواه مسلم أيضا من حديث: ثوبان وجابر بن سمرة وجابر بن عبد الله وعقبة بن عامر وسعد بن أبي وقاص ﷺ.

صحيح مسلم، لكنه ذكرها بعد ذلك في الفتح (١٣/ ٢٩٤) وعزاها لمسلم.

(١) صحيح مسلم (١٩٢٤) ووهم الحاكم فاستدركه (٨٤٠٩) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) صحيح البخاري (٣٦٤٠، ٧٣١١، ٧٤٥٩) وصحيح مسلم (١٩٢١) واللفظ له.

(٣) صحيح البخاري (٣١١٦، ٧٤٦٠) وصحيح مسلم (١٠٣٧)

(٣) فأما حديث ثوبان ﷺ فلفظه: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»(١)

(٤) وأما حديث جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ﷺ فقوله: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا، يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»(٢)

(٥) وأما حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ فلفظه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(٣)

(٦) وأما حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ فقوله: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ(٤) ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»(٥)

وجاء الحديث في غير الصحيحين أيضا:

(٧) فرواه النسائي وأحمد عَنْ سَلَمَةَ بْنِ نُفَيْلٍ الْكِنْدِيِّ ﷺ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَذَالَ النَّاسُ الْخَيْلَ، وَوَضَعُوا السِّلَاحَ، وَقَالُوا: لَا جِهَادَ قَدْ وَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِوَجْهِهِ، وَقَالَ: «كَذَبُوا الْآنَ، الْآنَ جَاءَ الْقِتَالُ، وَلَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، وَيُزِيغُ اللَّهُ لَهُمْ قُلُوبَ أَقْوَامٍ، وَيَرْزُقُهُمْ مِنْهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، وَحَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ، وَالْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يُوحَى إِلَيَّ أَنِّي مَقْبُوضٌ غَيْرَ مُلَبَّثٍ، وَأَنْتُمْ تَتَّبِعُونِي أَفْنَادًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، وَعُقْرُ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ»(٦)

(٨) ورواه الترمذي وابن ماجه وأحمد عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ بن إياس عَنْ أَبِيهِ ﷺ أنه

---

(١) صحيح مسلم (١٩٢٠)

(٢) المرجع السابق (١٩٢٢)

(٣) المرجع السابق (١٩٢٣)

(٤) قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٤/ ٤٤٦): قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَد: وَأَهْلُ الْغَرْبِ هُمْ أَهْلُ الشَّامِ. وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ مُقِيمًا بِالْمَدِينَةِ فَمَا يَغْرُبُ عَنْهَا فَهُوَ غَرْبُهُ وَمَا يَشْرَقُ عَنْهَا فَهُوَ شَرْقُهُ...إلخ.

(٥) المرجع السابق (١٩٢٥)

(٦) سنن النسائي (٣٥٦١) ومسند أحمد (١٦٩٦٥). وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٣٥).

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».(١).

(٩) ورواه ابن ماجه وأحمد بسند حسن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: قَالَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَوَّامَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهَا مَنْ خَالَفَهَا» هذا لفظ ابن ماجه؛ ولفظ أحمد: «لَا يَزَالُ لِهَذَا الْأَمْرِ -أَوْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ-عِصَابَةٌ عَلَى الْحَقِّ، وَلَا يَضُرُّهُمْ خِلَافُ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ»(٢)

(١٠)وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ، حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ» رواه أبو داود وأحمد وله في رواية: « ... حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ، وَيَنْزِلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ».(٣)

(١١) وعن أَبِي عِنَبَةَ الْخَوْلَانِيِّ ﷺ وَكَانَ قَدْ صَلَّى الْقِبْلَتَيْنِ، مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَزَالُ اللَّهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ» رواه ابن ماجه وأحمد وصححه ابن حبان(٤).

---

(١) سنن الترمذي ت شاكر (٢١٩٢) وسنن ابن ماجه (٦) ومسند أحمد (١٥٥٩٦). وزاد الترمذي وأحمد في أوله: «إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلاَ خَيْرَ فِيكُمْ ...». قال الترمذي: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ -يعني البخاري-: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ: هُمْ أَصْحَابُ الحَدِيثِ ا.هـ وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح ا.هـ وصححه الألباني في الصحيحة (٤٠٣) وشيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١).

(٢) سنن ابن ماجه (٧) ومسند أحمد (٨٢٧٤). وحسنه الألباني في الصحيحة (١٩٦٢).

(٣) سنن أبي داود (٢٤٨٤)، ومسند أحمد (١٩٨٥١، ١٩٨٩٥، ١٩٩٢٠). وصححه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢٣٩٢، ٨٣٩١) على شرط مسلم. ووافقه العلامة الألباني في الصحيحة (١٩٥٩)، وشيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٤). قلت: الحديث من رواية حماد بن سلمة عن قتادة عن مطرف عن عمران ﷺ. والحافظ في التهذيب يقول: قال الحاكم: لم يخرج مسلم لحماد بن سلمة فى الأصول إلا من حديثه عن ثابت ، وقد خرج له فى الشواهد عن طائفة ا.هـ وعلى هذا فلا يقال إنه على شرط مسلم وانظر: التعليق على حديث أبي هريرة ﷺ في مبحث تتابع العلامات المتقدم

(٤) سنن ابن ماجه (٨) ومسند أحمد (١٧٧٨٧). وصحيح ابن حبان (٣٢٦)، وحسنه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٤٤٢).

قلت: وأحق الناس بوصف الطائفة المنصورة المذكورة في هذه الأحاديث هم أهل الحديث كما نص على هذا أئمة السلف[(١)].

---

(١) **قال الإمام عبدُ الله بْنُ الْمُبَارَكِ**: هُمْ عِنْدِي أَصْحَابُ الْحَدِيثِ. [رواه أبو طاهر السِّلَفي في المشيخة البغدادية (ص: ٢٣) والخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص: ٢٦) عن أَبُي بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَعْقُوبَ الطَّالْقَانِيُّ، أَوْ غَيْرُهُ، عن ابْنِ الْمُبَارَكِ به. وسنده صحيح لولا الشك عن الطالقاني]. **وقال الإمام أحمد**: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم. [رواه الحاكم في المعرفة - ومن طريقه العلائي في إثارة الفوائد (٨٢/١)- وصحح إسناده الحافظ في الفتح. وأخرجه أيضا الخطيب في " شرف أصحاب الحديث " (ص٢٥و٢٧) من طريقين عن الإمام أحمد، وهو مشهور عن الإمام أحمد ذكره غير واحد من العلماء والشراح عنه]. **وروي عن الحافظ الثقة -شيخ الإمام أحمد-؛ يزيد بن هارون الواسطي** المخرج له في الكتب السنة: مثله. [رواه عنه -بسند ضعيف-، الرامهرمزي في المحدث الفاصل ت أبو زيد» (٢٥)، والخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص:٢٦) وأبو القاسم قوام السنة في كتاب الحجة (٢٦٣/١ عند الحديث رقم٩٩). وانظر فتح الباري (١٣/ ٢٩٣)]، **وقال إمام أهل عصره في الحديث والعلل علي ابن المديني** -شيخ البخاري-: هم أصحاب الحديث ا.هـ[رواه الترمذي عن البخاري عنه. انظر: سنن الترمذي (٤/ ٤٨٥/ عقب حديث رقم ٢١٩٢)]. **وقال الإمام البخاري**: في صحيحه (٩/ ١٠١)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ**» يُقَاتِلُونَ: وَهُمْ أَهْلُ العِلْمِ]. وفي رواية عنه قال: هم أهل الحديث. [أسنده عنه قوام السنة في الحجة في بيان المحجة (١/ ٢٦٣)] وفي رواية أخرى عنه: وعنه أيضا: أنهم المعنيون بقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [كما في خلق أفعال العباد (ص٦٠)]؛ وقال الحافظ الثقة أحمد بن سنان الواسطي (ت:٢٥٩هـ): هُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ وَأَصْحَابُ الْآثَارِ ا.هـ[رواه الخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص: ٢٧) وأبو القاسم في الحجة (١/ ٢٦٣) بسند صحيح عنه]؛ وكل هذه التفاسير صحيحة فهي متفقة على أن المراد بهذه الطائفة: هم أهل العلم بالحديث والسنة. وهم كما قال ابن رجب : من حفظ الحديث وعلمه وعمل به، لا من اقتصر على طلبه" [فضائل الشام "مجموع رسائل ابن رجب (٣/ ٢٢٠)]. وقال الحافظ أبو عبد الله الحاكم : -لما نقل تفسير الإمام أحمد المتقدم-: (وَفِي مِثْلِ هَذَا قِيلَ: مَنْ أَمَّرَ السُّنَّةَ عَلَى نَفْسِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا نَطَقَ بِالْحَقِّ فَلَقَدْ أَحْسَنَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي تَفْسِيرِ هَذَا الْخَبَرِ أَنَّ الطَّائِفَةَ الْمَنْصُورَةَ الَّتِي يُرْفَعُ الْخِذْلَانُ عَنْهُمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ هُمْ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ، وَمَنْ أَحَقُّ بِهَذَا التَّأْوِيلِ مِنْ قَوْمٍ سَلَكُوا مَحَجَّةَ الصَّالِحِينَ، وَاتَّبَعُوا آثَارَ السَّلَفِ مِنَ الْمَاضِينَ وَدَمَغُوا أَهْلَ الْبِدَعِ وَالْمُخَالِفِينَ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِينَ مِنْ قَوْمٍ آثَرُوا قَطْعَ الْمَفَاوِزِ وَالْقِفَارِ عَلَى التَّنَعُّمِ فِي الدِّمَنِ وَالْأَوْطَارِ وَتَنَعَّمُوا بِالْبُؤْسِ فِي الْأَسْفَارِ، مَعَ مُسَاكَنَةِ الْعِلْمِ وَالْأَخْبَارِ، وَقَنَعُوا عِنْدَ جَمْعِ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ بِوُجُودِ الْكِسَرِ وَالْأَطْمَارِ، قَدْ رَفَضُوا الْإِلْحَادَ الَّذِي تَتُوقُ إِلَيْهِ النُّفُوسُ الشَّهْوَانِيَّةُ، وَتَوَابِعُ ذَلِكَ مِنَ الْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْمَقَايِيسِ وَالْآرَاءِ وَالزَّيْغِ جَعَلُوا الْمَسَاجِدَ بُيُوتَهُمْ، وَأَسَاطِينَهَا تَكَّاهُمْ، وَبَوَارِيَهَا فُرُشَهُمْ ...إلخ) [«معرفة علوم الحديث» (ص٢)].

وهذه الأحاديث لا تعارض ما تقدم من قوله ﷺ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ عَلَى شِرَارِ النَّاسِ**».

قال القاضي عياض رحمه الله: وقد قال الطبري رحمه الله: إنه لا تعارض بينهما؛ لأن المراد بهذا الخصوص ومعناه: لا تقوم الساعة على أحد يوحد الله إلا في موضع كذا، التي بها الطائفة المذكورة،[١] **وقيل**: بل هذا فى وقت دون وقت، وأن هذه الطائفة تبقى إلى حين قيام الساعة التي تقبض روح كل مؤمن، كما جاء في الحديث في الباب فى كتاب مسلم: «**ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا ... فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ**»، فقد فسر في الحديث نفسه القصة، وجمع الحديثين، وأن أولئك يموتون بين يديها، فلا تقوم حينئذ إلا على شرار الخلق، ومن لا يؤمن بالله ا.هـ[٢]

وهذا الأخير هو الذي ارتضاه الحافظ فقال: هَذَا أَوْلَى مَا يُتَمَسَّكُ بِهِ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْحَدِيثين الْمَذْكُورين ا.هـ[٣]

ويتأكد هذا الجمع بما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها -في صحيح الإمام مسلم أيضا- أن النبي ﷺ قال: «**لاَ يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللاَّتُ وَالْعُزَّى**» قالت: فقلتُ: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣ ﴾ [التوبة] أن ذلك تامًّا قال: «**إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيَبْقَى مَنْ لاَ خَيْرَ فِيهِ فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ**»[٤].

---

(١) انظر: «تهذيب الآثار مسند عمر» للطبري (٢/ ٨٢٧ وما بعدها)

(٢) «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٦/ ٣٤٩) وانظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٣/ ٧٦٤)، «فتح الباري لابن حجر» (١٣/ ٧٧، ٢٩٤)

(٣) فتح الباري (١٣/ ٢٩٤)

(٤) صحيح مسلم (٢٩٠٧).

وفي الصحيحين[١] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ، حَوْلَ ذِي الْخَلَصَةِ**» وَكَانَتْ صَنَمًا تَعْبُدُهَا دَوْسٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِتَبَالَةَ.[٢]

من أسماء يوم القيامة:

كَثُر في كتاب الله ﷻ ذِكْرُ يوم القيامة بأسماء كثيرة. قال القرطبي رحمه الله: "كُلُّ ما عَظُمَ شأنه تعدّدت صفاته وكَثُرَت أسماؤه ... فالقيامةُ لمّا عَظُمَ أمرُها وكَثُرَت أهوالُها سمّاها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة ووصفها بأوصاف كثيرة"[٣].

فمن ذلك أن هذا اليوم العظيم يوم القيامة هو:

١- يوم الانشقاق
٢- ويوم الانفطار
٣- ويوم التكوير
٤- ويوم الانكدار
٥- ويوم الانتثار
٦- ويوم التسيير
٧- ويوم التعطيل
٨- ويوم التسجير
٩- ويوم التفجير
١٠- ويوم الكشط
١١- ويوم الطي
١٢- ويوم المد

---

(١) صحيح البخاري (٧١١٦) وصحيح مسلم (٢٩٠٦).
(٢) ينظر: «أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين جمعا ودراسة» (ص٥٧١) للدكتور سليمان الدبيخي.
(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ط دار المنهاج (٥٤٤/٢).

وكل ذلك قد أخذه العلماء من الآيات الواردة في: سورة التكوير وفي سورة الانفطار وفي سورة الانشقاق. وقد جاء في سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ**»(١)

وقال الترمذي: "حديث حسن" وحسّنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ(٢)

فهذه السور الثلاث ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فيها أسماءً وأوصافًا كثيرة لهذا اليوم.

١٣- كذلك جاء في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تسميةُ هذا اليوم بالساعة، فهو يوم الساعة الموعود أمرُها، ولِعِظَمِها أكثرَ الناسُ السؤالَ عنها كما في الآيات الكثيرة التي تقدّم بعضُها ومنها: قوله سبحانه: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأعراف: ١٨٧] وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ [الروم: ٥٥]

يقول القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "الساعة: كلمةٌ يُعبّر بها في العربية عن جزء من الزمان غيرِ محدودٍ، وفي العُرْف: على جزء من أربعة وعشرين جزءًا من يوم وليلة...

قال: وسُمِّيَت به القيامة إما لقُرْبِها؛ فإنّ كلّ آتٍ قريبٌ، وإما أن تكون سُمِّيَت بها تنبيهًا على ما فيها من الكائنات العظام..."(٣).

١٤- ويسمى هذا اليوم العظيم أيضًا بيوم القيامة: كما قال تعالى: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝١ ﴾ [القيامة] واختُلِفَ في تسميتها بذلك على أربعة أقوال:

أحدها: لوجود هذه الأمور فيها.

والثاني: لقيام الخلق كلهم من قبورهم إليها قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ

---

(١) سنن الترمذي (٣٣٣٣).

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٠٨١).

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ط دار المنهاج (٥٤٦/٢).

سِرَاعًا ﴾ [المعارج: ٤٣].

والثالث: قيام الناس لرب العالمين قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾ [المطففين]

والرابع: لقيام الروح والملائكة صفًّا قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ﴾ [النبأ: ٣٨]

١٥- كذلك هذا اليوم العظيم هو يوم النفخ في الصور، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾ [الأنعام: ٧٣].

١٦- وهو يوم الزلزلة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ ﴾ [الحج]

١٧- ويوم الراجفة وهي النفخة الأولى كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ ﴾ [النازعات].

١٨- ومنها: تسميتُه بيوم الناقور كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ ﴾ [المدثر]. يعني ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ﴾ فذلك يومئذ يوم شديد.

١٩- ومنها: القارعة، وسُمِّيت بذلك لأنها تقرع القلوب بأهوالها.

٢٠- ومنها: يوم البعث، والبعثُ حقيقتُه: إثارة الشيء عن خفاء، فهو يوم البعث كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله.

٢١- ومنها: يوم النشور، وهو عبارة عن الإحياء، فهو يومٌ يُخرِج الله ﷻ فيه الناسَ من قبورهم. ولذلك سُمِّي أيضًا:

٢٢- بيوم الخروج قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا ﴾ [المعارج: ٤٣]

٢٣- وسُمِّي أيضًا بيوم الحشر، وهو اليوم الذي تُجمَع فيه الخلائق إلى الله سبحانه، وتُساق إلى الله ﷻ.

٢٤- وجاء في القرآن وَصْفُه بيوم العرض:

قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحاقة]. وقال النبي ﷺ: «**مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ**» فَقَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ فَقَالَ: «**إِنَّمَا ذَلِكِ العَرْضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَهْلِكْ**»(١). فسيُوقَفُ العبدُ بين يدي الله، وتُعرَض عليه أعمالُه عملًا عملًا، فيقال: أتذكر ذنب كذا؟ أتذكر ذنب كذا؟ نسأل الله ﷻ أن يرحمنا. كما في الصحيحين عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ المَازِنِيِّ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي، مَعَ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما آخِذٌ بِيَدِهِ، إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [هود]**»(٢)

٢٥- ومنها: أنه يوم الجمع كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِۖ ﴾ [التغابن: ٩] وكما قال تعالى: ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِۗ ﴾ [النساء: ٨٧].

٢٦- ومنها: يوم التفرق، كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الروم:١٦].

٢٧- ومنها: يوم الفزع، وحقيقتُه فزع ضعف النفس عن حمل المعاني الطارئة؛ ففي هذا اليوم تفزع الخلائق، وتخاف، فهو يوم الفزع الأكبر.

٢٨- ومنها: يوم التّناد كما قال ﷻ: ﴿ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ

---

(١) رواه البخاري (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦).

(٢) رواه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨).

ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾ ﴾ [غافر].

٢٩- وهو يوم الدعاء أي: يوم النداء، يومٌ تحصل فيه نداءات عدة، فينادي الله أهل الجنة، وينادي أهلُ الجنة أهلَ النار، وينادي أهلُ النار أهلَ الجنة يستغيثون بهم، ويدعو الله ﷻ كلّ أناسٍ بإمامهم يوم القيامة.

٣٠- ومنها: أنه يوم الواقعة كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [النمل].

٣١- وهو يوم الحساب والجزاء، فيعدِّدُ الله فيه على الخلائق أعمالهم من إحسان وإساءة.

٣٢- وهو يوم السؤال كما قال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر].

٣٣- ومنها: أنه يوم الجدال قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا ﴾ [النحل: ١١١].

٣٤- ومنها: أنه يوم القصاص.

٣٥- ويوم الحاقة.

٣٦- ويوم الطامة، ومعناها: الغالبة.

٣٧- ومنها: أنه يوم الصَّاخَّة أي: النفخة الأولى تكون فيه والثانية.

٣٨- ومنها: يوم الوعيد.

٣٩- ومنها: أنه يوم الدِّين أي: يوم الجزاء والحساب كما قال تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ ﴾ [غافر: ١٧].

٤٠- ومنها: أنه يوم الندامة والحسرة قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ ﴾ [مريم: ٣٩].

٤١- ومنها: وصفُه بأنه يوم الآزفة -سُمِّي بِذَلِكَ لِاقْتِرَابِهَ- قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ ﴾ [غافر: ١٨]، أي يوم القيامة القريب، وقال تعالى: ﴿ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ۝٥٧ ﴾ [النجم].

٤٢- ومنها: أنه يوم المآب.

٤٣- ويوم المصير

٤٤- ويوم القضاء والحكم والفصل

٤٥- ويومٌ توزن فيه الأعمال.

٤٦- **ووصفه الله** ﷻ بأنه عقيم: فقال سبحانه: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ۝٥٥ ﴾ [الحج]

٤٧- وأنه ﴿ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ ﴾ [المدثر]

٤٨- و ﴿ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ۝١٠٣ ﴾ [هود]

٤٩- وهو ﴿ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ﴾ [التغابن: ٩] لأن الناس يتغابنون في المنازل عند الله، أهل الهدى تَغبن أهل الضلالة، فلا غَبْن أعظم منه، فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير.

٥٠- وجاء وصفه بأنه يوم عبوس قمطرير، والقمطرير هو الشديد، وقيل: الطويل. والعبوس: هو الذي يُعبَس فيه.

٥١- ومنها: أنه يومٌ تبلى فيه السرائر. ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ ﴾ [الطارق]

٥٢- ويومٌ ﴿ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩ ﴾ [الانفطار]

٥٣- ويومٌ ﴿ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ ﴾ [الطور: ١٣]، أي يسحبون إليها ويدفعون إليها دفعا، ويساقون إليها سوقا عنيفا، ويجرون على وجوههم كما قال ﷻ عن الكفار ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ [القمر: ٤٨]

٥٤- ومنها أنه يومٌ ﴿ تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ۝٣٧ ﴾ [النور].

٥٥- ومنها أنه يومٌ ﴿ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [إبراهيم] أي: لا يغمض فيه من هول ما ترى في ذلك اليوم.

٥٦- ومنها: أنه يومٌ قال فيه ربنا تعالى: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [المرسلات].

٥٧- ومنها: أنه يومٌ لا ينفع فيه الظالمين معذرتُهم وتحسُّرُهم كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ﴾ [غافر: ٥٢]

٥٨- ومنها: أنه يوم لا يُكْتَمُ فيه عن الله حديثٌ قال تعالى: ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [النساء]

٥٩- ومنها: أنه ﴿ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ [الروم: ٤٣، الشورى: ٤٧]

٦٠- ومنها: أنه يومٌ تبيَضُّ فيه وجوهٌ، وتسوَدُّ فيه وجوهٌ، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [آل عمران].

فتبيَضُّ فيه وجوهُ أهل الحق والهدى، وتسوَدُّ فيه وجوهُ أهل الباطل والرّدى[1].

قال الإمام الطبري رحمه الله: وذلك أن الله جل ثناؤه جعل جميعَ أهل الآخرة فريقين: أحدهما سودًا وجوهه، والآخر بيضًا وجوهه. فمعلوم -إذ لم يكن هنالك إلا هذان الفريقان- أن جميع الكفار داخلون في فريق من سُوِّد وجهه، وأن جميع المؤمنين داخلون

---

(١) وروي في الباب أحاديث وآثار -لا تصح -، ومنها أثر ابن عباس رضي الله عنهما المشهور أنه قَالَ: «**تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالضَّلَالَةِ**» رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٩٥٠)، وإسناده ضعيف جدا. فانظر: -غير مأمور-، تكميل النفع بما لم يثبت به وقف ولا رفع (ص: ٥٤) للمحدث محمد عمرو بن عبد اللطيف رحمه الله.

في فريق من بُيِّض وجهه ا.هـ[١]

٦١- ومنها: أنه يوم الغاشية كما قال تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١ ﴾ [الغاشية] أي التي تغشى الناس بأفزاعها وتغمهم، وتغشى الكفار بالنار، وتحيط بهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم.

٦٢- ومنها: يوم الخلود كما قال تعالى: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ۝٣٤ ﴾ [ق] فهذا اليوم العظيم اشتهر بهذه الأسماء والأوصاف الكثيرة[٢].

وهذه الأسماء والأوصاف التي وردت في كتاب الله لو تأمّلها الإنسان وتدبّرها ووقف عند كلٍّ منها لعَرَفَ عظمةَ هذا اليوم العظيم.

نسأل الله ﷻ أن يرحمنا برحمته، ونسأله سبحانه أن يُحيينا على الإسلام، وأن يتوفّانا على الإيمان، وأن يُدخِلَنا الجنة بسلام، وأن يُعِيذنا من النار؛ إنه وليُّ ذلك والقادرُ عليه، والله تعالى أعلم.

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٥/ ٦٦٦)

(٢) انظر سرد أسماء وصفات يوم القيامة في التذكرة للقرطبي، ط دار المنهاج (٢/٥٤٦-٥٧٩).

الإيمان
بأشراط الساعة

المجلس الثاني والعشرون [١]

أشراط الساعة:

مما يتضمنه الإيمان باليوم الآخر -كما تقدم- الإيمانُ بأشراط الساعة؛ فإنها من مقدِّمات يوم القيامة. والحديثُ عن أشراط الساعة، حديث ترغب إليه النفوس، وتشتاق إليه؛ لأنه من علوم الغيب التي أخبرنا عنها النبي ﷺ، والنفوسُ عادةً تتشوّف إلى معرفة الغيب وما سيقع في المستقبل، وهذا الباب لا يخوضه الإنسان إلا عن طريق الوحي الذي جاءنا عن ربنا ﷻ وبيّنَه لنا نبيُّنا ﷺ.

تعريف أشراط الساعة:

الأشراط جمع شَرَط بالتحريك وهو العلامة، ويقال: أشراط الشيء أوائله، ومنه: شُرَط السلطان وهم: نخبة أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم[٢].

فالشَّرَطُ هنا المقصود به العلامة؛ فأشراط الساعة هي علامات القيامة التي تسبقها وتدُلُّ على قُرْبها.

أشراط الساعة صغرى وكبرى:

وهذه العلامات قسّمها العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ إلى أقسام:

- فمنهم من قسّمها إلى علامات صغرى وعلامات كبرى.
- ومنهم من قسّمها إلى علامات قد وقعت وانتهت، وعلامات وقعت وهي باقية، وعلامات تقع حينًا بعد حين، وعلامات لم تقع بعد.
- ومنهم من قسّمها إلى علامات أرضية، وعلامات سماوية.

وكلُّ هذه التقسيمات هي من باب التقريب.

وأشهرُ ما اشتهر عند الناس تقسيمها إلى علامات صغرى وعلامات كبرى.

---

(١) كان في يوم الأربعاء العشرون من شهر رمضان ١٤٤١هـ.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، (٤٢٠/٢).

ذكر العلامات الكبرى:

وذكر العلماء أن علامات الساعة الكبرى هي -في الأشهر-: ما جاء في الحديث الذي رواه مسلم من حديثُ حذيفة الغفاري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ**» **فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ.** وجاء الحديث أيضًا بلفظ: «**إِنَّ السَّاعَةَ لاَ تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَالدُّخَانُ، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الأَرْضِ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ. وَالْعَاشِرَةُ: نُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ.**»[(١)].

وكذلك جاء في حديث أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا أَوِ الدُّخَانَ أَوِ الدَّجَّالَ أَوِ الدَّابَّةَ أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ**»[(٢)]. فهذان الحديثان أخذ منهما العلماءُ ما يتعلق بعلامات الساعة الكبرى.

تتابع العلامات الكبرى عند ظهورها:

وهذه العلامات إذا ظهرت تظهر متتابعة، وتكون الساعة على إثرها. كما في صحيح مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا**»[(٣)]. وفي المسند عنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْآيَاتُ خَرَزَاتٌ مَنْظُومَاتٌ فِي سِلْكٍ، فَإِنْ يُقْطَعِ السِّلْكُ يَتْبَعْ بَعْضُهَا بَعْضًا**» وسنده ضعيف[(٤)] وله شاهد عند الحاكم في المستدرك عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٠١).

(٢) المرجع السابق (٢٩٤٧).

(٣) المرجع السابق (٢٩٤١).

(٤) أخرجه أحمد (٧٠٤٠) وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف.

اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**الْأَمَارَاتُ خَرَزَاتٌ مَنْظُومَاتٌ بِسِلْكٍ، فَإِذَا انْقَطَعَ السِّلْكُ تَبِعَ بَعْضُهُ بَعْضًا**»[(١)] وشاهد آخر عند ابن حبان والطبراني من حديث أبي هريرة مرفوعا «**خُرُوجُ الْآيَاتِ بَعْضِهَا عَلَى إِثْرِ بَعْضٍ، يَتَتَابَعْنَ كَمَا تَتَتَابَعُ الْخَرَزُ فِي النِّظَامِ**»[(٢)]. يعني: كالعقد من الجوهر إذا خرج منه خرزةٌ تبعها الباقي. **لكنه حديث معل**[(٣)].

فحَمَل العلماءُ ما دلت عليه هذه الأحاديث على علامات الساعة الكبرى التي يتبع بعضُها بعضًا. فهذه هي العلامات الكبرى.

ذكر العلامات الصغرى:

أمّا العلاماتُ الصغرى فهي علامات كثيرة جاءت بها الأحاديث عن النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٨٦٣٩) وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ا.هوقال الشيخ الألباني في الصحيحة (٤/ ٣٦١): وافقه الذهبي، وهو كما قالا ا.هقلت: الصواب أنه ليس على شرط مسلم، فقد رواه الحاكم من طريق مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، ثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ. وهو وإن كان رجاله رجال مسلم، إلا أن فيه علة وهي أنَّ حميداً مدلس وقد عنعن وقد احتمل بعض أهل العلم عنعنته كما قال العلائي لأنه يروي عن ثابت عن أنس ما لم يسمعه منه. والصحيح أنه يتوقف فيما رواه معنعنا فإن الواسطة بينه وبين أنس ليس هو ثابتاً البناني فحسب، بل قد تكون الواسطة قتادة، وهو مدلس أيضًا، وقد يكون غيره، كما في مقدمة "الفتح" (ص٣٩٩) قال الحافظ: (كان يدلس حديث أنس، وكان سمع أكثره من ثابت وغيره من أصحابه عنه) ا.هـ. ولذا فإن البخاري لم يخرج لحميد في صحيحه إلا بما صرح فيه بالسماع، كما في الفتح (١٠/ ٤٩٠). فالإسناد ضعيف، لكن يشهد له حديث عبد الله بن عمرو السابق. ثم إن رواية حماد عن حميد ليست على شرط مسلم. وقد نقل الحافظ في التهذيب عن الحاكم نفسه أنه قال : لم يخرج مسلم لحماد بن سلمة في الأصول إلا من حديثه عن ثابت، وقد خرج له في الشواهد عن طائفة ا.هقلت: ويستثنى من ذلك حديث أَبِي قَتَادَةَ ﷺ، قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ فَعَرَّسَ بِلَيْلٍ، اضْطَجَعَ عَلَى يَمِينِهِ، وَإِذَا عَرَّسَ قُبَيْلَ الصُّبْحِ نَصَبَ ذِرَاعَهُ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى كَفِّهِ**» فقد رواه مسلم (٦٨٣) في الأصول من طريق حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَبَاحٍ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ به.

(٢) أخرجه ابن حبان (٦٨٣٣) والطبراني في الأوسط (٤٢٧١).

(٣) قال الدارقطني في العلل (١٠/ ٣٧) رقم (١٨٣٨) يَرْوِيهِ هِشَامُ بْنُ حسان، وَقَدِ اخْتُلِفَ عَنْهُ، فَرَوَاهُ أَبُو الرَّبِيعِ الزَّهْرَانِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَوَهِمَ فِيهِ وَإِنَّمَا رَوَاهُ هِشَامُ بْنُ حَسَّانٍ عَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ مِنْ قَوْلِهِ. ا.هقلت: رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٥٠٧) رقم (٣٧٦١٠) قال: حدثنا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قَالَ: أَخْبَرَنَا هِشَامُ، عَنْ حَفْصَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، قَالَ: «**مَا بَيْنَ أَوَّلِ الْآيَاتِ وَآخِرِهَا سِتَّةُ أَشْهُرٍ تَتَابَعُ كَمَا تَتَابَعُ الْخَرَزُ فِي النِّظَامِ**»

وقبل أن نشير إلى بعض هذه العلامات نريد أن نتكلم عن مسألتين مُهِمّتَين:

أهمية الإيمان بأشراط الساعة:

المسألة الأولى: ما يتعلق بأهمية الإيمان بأشراط الساعة. يقول الله ﷻ: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [محمد: ١٨] والمعنى كما يقول المفسرون: "جاء هؤلاء الكافرين بالله الساعةُ وأدِلّتُها ومقدِّماتُها"(١).

فالإيمان بأشراط الساعة هو من الإيمان باليوم الآخر الذي هو أصلٌ من أصول الإيمان، وركنٌ من أركان الإيمان، فلا يكون المؤمنُ مؤمنًا باليوم الآخر حقًّا حتى يؤمن بما جاءنا في ديننا وبما صحَّ من هذه الأخبار؛ فإنّ هذا يُثبِّتُ الإنسانَ ويزيدُه إيمانًا وحرصًا. والإيمان بأشراط الساعة يتعلق بالإيمان باليوم الآخر؛ لأنّ هذه الأشراط هي مقدِّمات وعلامات لذلك اليوم.

والحكمة في تقديم الأشراط ودلالة الناس عليها:

تنبيهُ الناس عن رقدتهم، وحَثُّهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة؛ كي لا يباغتوا بالحَوْل بينهم وبين تدارك ما فرطوا فيه. فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم، وانفطموا عن الدنيا، واستعدوا للساعة الموعود بها، وتلك الأشراطُ علامةٌ لانتهاء الدنيا وانقضائها(٢).

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: "والحكمةُ في تقديم الأشراط إيقاظُ الغافلين وحثُّهم على التوبة والاستعداد"(٣). وبهذا يتبين لنا ما يتعلق بأهمية الإيمان بأشراط الساعة.

من ثمرات الإيمان بأشراط الساعة:

١- أنّ فيه تحقيقًا للإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ؛ لأنه تصديق بالله وتصديق برسوله ﷺ.

٢- وفيه تحقيقٌ للإيمان باليوم الآخر،

٣- وهو أيضًا من الإيمان بالغيب الذي وصف الله ﷻ عباده المؤمنين بأنهم يؤمنون

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٠٦/٢١).

(٢) ينظر: التذكرة للقرطبي (ص١٢١٧).

(٣) فتح الباري (٣٥٠/١١).

به وبالآخرة هم يوقنون.

٤- وفيه أيضًا علم من أعلام نبوة النبي ﷺ فنحن إذا رأينا هذه العلامات التي أخبر عنها النبي ﷺ وتحقّقَ كثير منها فإنّ ذلك يكون دليلًا لنا على صدق نبينا ﷺ.

٥- وفيه أيضًا تثبيتٌ للمؤمنين وزيادةٌ ليقينهم وإيمانهم.

وتأمّلُوا قول الحق ﷻ: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأحزاب].

فإنه لما رأى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم مَقْدَمَ الأحزاب وقتالهم للمسلمين تذكروا ما أخبرهم به النبي ﷺ من الوعد بالنصر عقب الابتلاء، كما في قول الله ﷻ: ﴿ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ ﴾ وهذا هو الابتلاء.

ثم جاء الوعد بعده بالنصر ﴿ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤]

فزادهم ذلك إيمانًا وثباتًا وطمأنينةً.

قال ابن كثير رحمه الله: أَيْ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنَ الِابْتِلَاءِ وَالِاخْتِبَارِ وَالِامْتِحَانِ الَّذِي يَعْقُبُهُ النَّصْرُ الْقَرِيبُ ا.هـ[(١)]

يقول العلامة التويجري رحمه الله: "وظهورُ المعجزات بعد زمان النبوة، ولا سيّما في هذه الأزمان البعيدة من زمنه ﷺ، مما يزيد المؤمنين إيمانًا به، وتصديقًا بما أخبر به من الغيوب الماضية والغيوب الآتية مما لم يقع بعد"[(٢)].

٦- كذلك من أعظم الثمرات للإيمان بهذه العلامات: المسارعةُ إلى التوبة والإنابة إلى الله.

وقد أرشدنا النبي ﷺ إلى ذلك -كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتقدم- فقال: **«بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا أَوِ الدُّخَانَ أَوِ الدَّجَّالَ أَوِ الدَّابَّةَ أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ»**[(٣)].

فتأمّلُوا قوله ﷺ: **«بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ»**

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٦/ ٣٩٢)

(٢) إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٧/١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٤٧).

أي: اجتهدوا في الأعمال الصالحة قبل ظهور ست علامات، فذكرها، وقوله ﷺ: «**خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ**» يعني: حادثة الموت التي تخص كلّ إنسان يعني قبل أن يأتيك الموت. وقوله ﷺ: «**وَأَمْرَ الْعَامَّةِ**» أراد بالعامة أي: قيام الساعة. فبادر قبل أن تموت، وبادر قبل أن تقوم الساعة، وبادروا قبل طلوع الشمس من مغربها.

وبادروا بالأعمال الصالحة والزموها وقت الفتن؛ فإنّ النبي ﷺ يقول أيضًا: «**الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ**[(١)] **كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**»[(٢)].

وقد أخبر النبي ﷺ بوقوعها وحصولها، وذلك من أمارات الساعة وعلاماتها. فالعبادة في زمن الفتن من الأمور التي تقي الإنسان من الوقوع في الردى، وتقيه من الانخراط مع أصحاب الفتن. والله ﷻ يقول: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥] فأعظمُ ما يُستعان به في هذه الأزمان المتأخرة على الفتن طاعةُ الله ﷻ.

ومن ثمرات الإيمان بأشراط الساعة: الاصطبارُ على العلم والتعلم؛ فإن تعلم أشراط الساعة أمرٌ مقصود شرعًا؛ ولهذا كان النبي ﷺ يحدِّثُ الناس بأشراط الساعة ويخبرهم بما سيقع، ويحثُّهم على معرفة ذلك، فكان يحدِّثُهم عن الدجال، ويخبِرُهم بأمره وبعلاماته، ويُعرِّفُهم بشأنه، ويقول لهم: «**مَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالاً يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا**»[(٣)]، هكذا كان يُرغِّب ويَحُثُّ ﷺ الناسَ على ذلك.

ولهذا فإن من واجب العلماء أن يُعلِّموا الناس هذا العلم، ويعرفُوهم به، ويخبروهم بما أخبر به النبيُّ ﷺ، وأن يحثُّوهم على الثبات على العلم؛ فإنّ العلم والإيمان يعصمان الإنسان من الوقوع في الفتن.

وقد كان من أعظم المثبتات للصحابة في زمن الفتنة، حين خرج الخوارج ما أخبرهم به النبيُّ ﷺ من علاماتهم: فقال لهم ﷺ: «**يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى**

---

(١) الهرج: الفتن.

(٢) تقدم في المجلس الأول.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»، ثم أخبرهم ﷺ بعلامة فيهم فقال «وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا لَهُ عَضُدٌ، وَلَيْسَ لَهُ ذِرَاعٌ، عَلَى رَأْسِ عَضُدِهِ مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْيِ، عَلَيْهِ شَعَرَاتٌ بِيضٌ»، فحدّث بذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه الناس فلمّا قُتِلَ من قُتِلَ من الخوارج وانتصر عليهم الصحابة، قَالَ لهم عَلِيٌّ رضي الله عنه: الْتَمِسُوا فِيهِمُ الْمُخْدَجَ، فَالْتَمَسُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَقَامَ عَلِيٌّ رضي الله عنه بِنَفْسِهِ حَتَّى أَتَى نَاسًا قَدْ قُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، قَالَ: أَخِّرُوهُمْ، فَوَجَدُوهُ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ، فَكَبَّرَ، ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ اللهُ، وَبَلَّغَ رَسُولُهُ[١].

وحدث أبو سعيد الخدري بمثل ما حدث به علي رضي الله عنه وكان يقول: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ فَأُتِيَ بِهِ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي نَعَتَهُ.[٢]

فكان هذا تثبيتًا للمؤمنين على الحق زمن تلك الفتنة.

وقد كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يسمعون من النبي ﷺ ما يحدِّثهم به، ويسألونه، ويستفسرون.

وتأملوا في قول النبي عليه الصلاة والسلام لما أخبرهم عن أيام الدجال وأنها ستكون أربعين يومًا قال لهم: «يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قالوا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي هو كسنة أَيَكْفِينا فيه صلاةُ يوم؟ فقال: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ»[٣] فالنبي ﷺ كان يُعلِّم الناس ويحُثُّهم ويُبيِّنُ لهم.

٧- وكذا القراءة في أشراط الساعة وتعلُّمها فيه بشارةٌ لكل مؤمن:

فحينما تقرأ قول النبي ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»[٤] تزداد ثباتا ويقينا وطمأنينة بأن الحق باق

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٠٦٦).

(٢) رواه البخاري (٣٦١٠) ومسلم (١٤٨/١٠٦٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٣٧)، وأبو داود (٤٣٢١)، والترمذي (٢٢٤٠)، وابن ماجه (٤٠٧٥) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

(٤) تقدم تخريجه.

ومنصور إلى قيام الساعة.

وكذلك حين تقرأ ما وعد الله ﷻ به المؤمنين إذا لقوا عيسى بن مريم عليه السلام، وما سيكون لهم من الخير بانتشار الإسلام وكسر الصليب وقتل الخنزير. فقد أخبر نبينا ﷺ عن زمان نزول عيسى عليه السلام -فقال: «**لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ: رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ** -وهي الثياب المصبوغة بالصفرة-، **كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ وَيُهْلِكُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، [ثُمَّ تَقَعُ الْأَمَنَةُ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الْأُسُودُ مَعَ الْإِبِلِ، وَالنِّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبَ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ، لَا تَضُرُّهُمْ] فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّى فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ**»[(١)]، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ**» وفي رواية لمسلم: «**... وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ، وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ**»[(٢)] وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: «**إِنِّي لَأَرْجُو إِنْ طَالَتْ بِي حَيَاةٌ أَنْ أُدْرِكَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنْ عَجِلَ بِي مَوْتٌ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ فَلْيُقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ**»[(٣)]

وتطمئن نفسك وتفرح حين تقرأ أنه لن يبقى في الأرض مكان إلا ويدخله الإسلام

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٢٤) وأحمد (١٥/ ١٥٣/ ٩٢٧٠) وابن حبان (٦٨١٤) -والزيادة لهما- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢١٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٢٢، ٢٤٧٦، ٣٤٤٨) ومسلم (١٥٥)

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٣/ ٣٥٠/ رقم ٧٩٧١) وغيره موقوفا ومرفوعا، والموقوف هو الصواب. كما نبه على هذا الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (٥٥٦٤). وللمرفوع شاهد في المستدرك (٨٦٣٥) عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ فَلْيُقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ**» وجود إسناده الشيخ العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٣٠٨) والصواب أنه حديث ضعيف وانظر: تحقيق المستدرك لشيخنا العلامة مقبل الوادعي رحمه الله.

بعِزٍّ عزيزٍ أو بِذُلٍّ ذليلٍ، كما في المسند عن تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ**» وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ، يَقُولُ: «قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمُ الْخَيْرُ وَالشَّرَفُ وَالْعِزُّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلُّ وَالصَّغَارُ وَالْجِزْيَةُ»(١)

وفي المسند أيضا عن الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ ﷺ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَيْتُ مَدَرٍ، وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ ذُلِّ ذَلِيلٍ، إِمَّا يُعِزُّهُمُ اللَّهُ فَيَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِهَا، أَوْ يُذِلُّهُمْ فَيَدِينُونَ لَهَا**»(٢)

فهذا كلَّه يزيد المؤمن إيمانًا وثباتا وطمأنينة.

الإيمان بأشراط الساعة من الإيمان بالغيب:

والإيمان بأشراط الساعة هو من الإيمان بالغيب وقد نبّه العلماءُ في هذا الباب: على جملة من القواعد والضوابط التي ينبغي على المسلمين أن يتنبهوا لها؛ لأن الخوض في أشراط الساعة بغير علم يؤدي بالناس إلى فتنة عظيمة.

ضوابط وقواعد في باب أشراط الساعة:

من هذه القواعد التي نبّه عليها العلماء -وممن جمعها وتكلم عليها الشيخ الدكتور محمد بن غيث حفظه الله- في كتابه "أحاديثُ أشراط الساعة وفقهُها". فمنها:

١- أن هذا الباب بابٌ غيبيٌّ توقيفي:

---

(١) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، والحاكم (٨٣٢٦)، وصححه على شرط الشيخين وتعقبه شيخنا الوادعي فقال: سليم بن عامر لم يخرج له البخاري في الصحيح وكذا صفوان بن عمرو ا.هوقال العلامة الألباني في تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد (ص١٥٨): إنما هو على شرط مسلم فقط ا.هوهو ينطبق على سند الإمام أحمد وانظر "السلسلة الصحيحة" (١/ ٣٢).

(٢) رواه أحمد (٢٣٨١٤)، وابن حبان (٦٦٩٩، ٦٧٠١) والحاكم (٨٣٢٤)، وصححه على شرط الشيخين وتعقبه شيخنا الوادعي فقال: سليم بن عامر لم يرو له البخاري في الصحيح ومحمد بن شعيب بن شابور لم يخرجا له ا.هوقال العلامة الألباني في تحذير الساجد (ص١٥٩): إنما هو على شرط مسلم فقط ا.هوهو ينطبق على سند الإمام أحمد. وصححه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٣٣٦).

فيجب الاقتصار فيه على النصوص الشرعية في الاستدلال، فلا ينبغي أن يقال: "هذا من أشراط الساعة أو هذا من علاماتها" بغير دليل شرعي، بل يجب على المسلم الرجوعُ في ذلك إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ﷺ فما حدّث به النبيُّ ﷺ وصحّ عنه حدّثْنا به وعرفنا وعلى هذا فيجب التحقق من ثبوت النص الشرعي. وقد انتشر بين الناس أحاديثُ كثيرةٌ في أخبار الغيب وعلامات الساعة، فيجب على المسلم أن يجتنب الأحاديث الموضوعة والأحاديث المكذوبة والأحاديث الضعيفة، ولا يستدل إلا بما صحّ وثَبَتَ عن النبي ﷺ.

٢- كذلك **يجب علينا أن نتحقق من معنى النصوص الشرعية**:

فإذا تأكّدْنا من أن هذا الحديث صحيحٌ وثابتٌ عن النبي ﷺ وجب أن نتأكد أيضًا من فقهه وكيف فسّره العلماء. فمن أين نستقي فقه هذه الأحاديث؟ من كلام السلف، فنرجع إليهم وإلى كلامهم، ونستضيء به ونعرف ما المقصود بهذا الحديث؛ حتى لا يأتي إنسان مثلًا فيفسر لنا بعض آيات القرآن أو يفسر لنا بعض أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام بأشياء من عنده ومن مخيلته حتى إن بعض هؤلاء قد خرجوا بكلام الله وبكلام رسوله ﷺ عن دلالته الشرعية.

٣- **أن يكون تنزيلُ النصِّ على الواقعة عاريًا من التكلف**:

إذ مما كَثُرَ في هذا الزمان أنه كلما حدثت فتنةٌ بَرَزَ لنا أناسٌ وقالوا: هذه أخبر عنها الله ﷻ في قوله تعالى كذا أو جاء الخبر عنها عن النبي ﷺ بكذا، فتجده يتكلّفُ جدًّا في حمل النصوص وليِّ النصوص لينزلها على أمور الواقع، ظنًّا منه أنه بذلك يكون داعيًا إلى الله أو إلى رسوله ﷺ، وهذا من الخطأ؛ ولهذا فإن الواجب في هذا الباب أن يُرجَع فيه إلى أهل العلم، ولا يحق لأحد أن يتكلم بلا علم ولا بينة وأن يفسر الحوادث بتكلُّفٍ كما في حادثة كورونا وغيرها مثلًا، فلا يحق لأحد أن يقول هذه أخبر عنها النبي ﷺ، ويُنزِّلَ عليها بعض الأحاديث بلا علم وبلا بيِّنة وبلا بصيرة.

٤- **مراعاةُ ألفاظ الشريعة ودلالاتها**: وهذا يتعلق بالمعاني أيضًا، فمثلا ورد في

الأحاديث النبوية وصْفُ الدجال بأنه المسيح وورد أيضًا وصْفُ عيسى بن مريم بأنه المسيح، فيأتي بعض الناس فيقول: لا، لا بُدّ أن نفرِّق، فنقول: المسيخ بالخاء للدجال، والمسيح لعيسى بن مريم عليه السلام! فنقول لهذا وأمثاله: هل جاء النص بذلك؟ ولهذا ينبغي أن يُراعى في ذلك الألفاظ الشرعية ولا يتعدى عليها.

٥- أنه ليس كلُّ ما قيل عنه أنه من أشراط الساعة فهو من الأمور المحرمة:

لأن بعض الناس يفهم أنه إذا قيل هذا من أشراط الساعة أن هذا حرام،

والجواب أنّ الأمر ليس كذلك،؛ لأن هناك بعض الأمور يكون ظهورها من أشراط الساعة، ولا علاقة لها بالتحريم: كما قال النبي ﷺ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ**»[١] فجعل النبي ﷺ بعثته من أشراط الساعة. وكذلك أخبر النبي ﷺ أن من أشراط الساعة وأماراتها التطاول في البنيان وأن يأتي -العالة رعاة الشاة-يتطاولون في البنيان[٢] يعني أنهم يبنون بنيانًا فاخرًا وغير ذلك بعد أن كانوا فقراء، فكون ذلك علامة لا يقتضي أنه محرّم، ولكنه أمر مباح سيتوسع الناس فيه، وسيظهر في آخر الزمان. فيعلم بهذا **أن من أشراط الساعة ما هو محرّم، ومنها ما هو مكروه. ومنها ما هو مباح** وكل يرجع فيه إلى العلماء وتفسيراتهم.

٦- كذلك **ينبغي أن يُراعى في ذلك الزمانُ أو النسبةُ الزمنية** عند كلام النبي ﷺ فالله ﷻ قد أخبرنا بأن الساعة قريب، وبأن هناك من أشرط الساعة ما وقع، وبأن الساعة تكاد تكون قريبًا، **لكن تفسير هذا القرب ليس إلينا**، فهو قريب بالنسبة لشيء آخر. فالنبي ﷺ لما أخبرنا أن الساعة قريب يعني بالنسبة إلى عمر الدنيا منذ أن كانت الدنيا وإلى بعثة النبي ﷺ فما سيكون بعد ذلك أقل بكثير مما تقدم. فمثلًا قول النبي عليه الصلاة والسلام: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ**» فيه دلالة على أن بعثته من علامات الساعة وأنها قريبة من قيام الساعة مع أنّ بيننا وبين النبي عليه الصلاة والسلام أكثر من أربعة

---

(١) تقدم في المجلس الحادي والعشرين.

(٢) وهو حديث جبريل المشهور، وقد تقدم في المجلس الخامس.

عشر قرنًا أو خمسة عشر قرنًا! لكن هذه القرون المتطاولة هي قليلة جدًّا بالنسبة إلى ما تقدّمها من الأمم السابقة؛ وبهذا تُفهَم النصوص الشرعية ولا يعتدى عليها وعلى تفسيرها. فهذه بعض الأمور والتنبيهات التي نبّه عليها العلماء.

من أشراط الساعة الصغرى:

أما ما يتعلق بأشراط الساعة التي ذكرناها فمن أشراط الساعة العلامات الصغرى، فنورد رؤوس أقلام في هذا الباب من الأمور التي أخبر عنها النبي ﷺ. فمن ذلك:

بعثته ﷺ:

بعثته ﷺ من أشراط الساعة كما تقدم معنا في قوله ﷺ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ**» وضَمّ السبابة والوسطى[(١)].

موته ﷺ:

كذلك من أشراط الساعة موتُ النبي ﷺ، وقد جاء في الحديث: «**اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ،... ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا...**» الحديث[(٢)] فذكر أن موته ﷺ يعتبر من أشراط الساعة، وهو من أعظم المصائب التي وقعت على المسلمين، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ، فَلْيَذْكُرْ مُصَابَهُ بِي، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ**»[(٣)]

---

(١) تقدم في المجلس الحادي والعشرين.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٧٦) من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

(٣) حديث صحيح بشواهده، رواه الدارمي (٨٦) وابن سعد في الطبقات الكبرى ط دار صادر (٢/ ٢٧٥) بسند صحيح عن عطاء مرسلا، ورواه الدارمي (٨٥) بسند صحيح عن مكحول مرسلا، ورواه عبد الرزاق في مصنفه (٦٧٠٠) بسند صحيح عن عبد الرحمن بن سابط مرسلا، ووصله ابن بي خيثمة في أخبار المكيين من تاريخه (٢٦٠) والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ١٦٧) رقم (٦٧١٨) عن عبد الرحمن بن سابط عن أبيه، وسنده ضعيف. وروي من حديث ابن عباس -عند البيهقي في شعب الإيمان (٩٦٧٧)-، ومن حديث بريدة -رواه ابن السني (٥٨٢) ومن حديث عائشة رواه ابن ماجه (١٥٩٩) وأسانيدها ضعيفة. فالحديث بمجموعها حسن. انظر: السلسلة الصحيحة (١١٠٦)

ويقول أنس بن مالك ﷺ: «لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي قَدِمَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ»، ثم قَالَ: «مَا نَفَضْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأَيْدِي حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا»[١].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ: مَا عَدَا وَارَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي التُّرَابِ، فَأَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا. رواه البزار وجود إسناده الحافظ.[٢]

وَمما قَالَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ في رثاء رسول الله ﷺ:

لَقَدْ عَظُمَتْ مُصِيبَتُنَا وَجَلَّتْ ... عَشِيَّةَ قِيلَ قَدْ قُبِضَ الرَّسُولُ

وَأَضْحَتْ أَرْضُنَا مِمَّا عَرَاهَا ... تَكَادُ بِنَا جَوَانِبُهَا تَمِيلُ[٣]

فتح بيت المقدس:

كذلك من أشراط الساعة فتحُ بيت المقدس -كما تقدم في الحديث.

وقد وقع ذلك في زمن عمر بن الخطاب ﷺ سنة خمسة عشر[٤]. -نسأل الله ﷻ-: أن يكرم المسلمين بالعودة إلى دينهم واسترجاع مقدساتهم، وأن يخلِّص المسجد الأقصى من يد العابثين.

استفاضة المال والاستغناء عن الصدقة:

كذلك مما أخبر عنه النبي ﷺ في الحديث المتقدم أنه من أشراط الساعة « **اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا...**» وهذا الفيض تحقق في زمن الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ. قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: ثُمَّ اسْتَفَاضَ الْمَالُ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ حَتَّى كَانَ أَحَدُهُمْ يُعْطَى مِائَةَ دِينَارٍ فَيَسْخَطُهَا، وَكَثُرَ الْمَالُ حَتَّى كَانَتِ الْفَرَسُ تُشْتَرَى بِوَزْنِهَا ا.هـ[٥] وروى يعقوب بن سفيان -ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة-:

---

(١) أخرجه أحمد (١٣٨٣٠)، والترمذي (٣٦١٨)، وابن ماجه (١٦٣١).

(٢) كشف الأستار عن زوائد البزار (١/ ٤٠٣) و «فتح الباري لابن حجر» (٨/ ١٤٩)

(٣) انظر: كتاب «الزهرة» لأبي بكر الأصبهاني (ص١٥١) والاستيعاب لابن عبد البر (١٦٧٦/٤)

(٤) انظر: البداية والنهاية ط هجر (٩/ ٦٥٥).

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٦/ ٨٦) وانظر: فتح الباري (٢٧٨/٦)

عَنْ عُمَرَ بْنِ أُسَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: «إِنَّمَا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ سَنَتَيْنِ وَنِصْفًا، ثَلَاثِينَ شَهْرًا، لَا وَاللهِ مَا مَاتَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ يَأْتِينَا بِالْمَالِ الْعَظِيمِ، فَيَقُولُونَ: اجْعَلُوا هَذَا حَيْثُ تَرَوْنَ فِي الْفُقَرَاءِ، فَمَا يَبْرَحُ حَتَّى يَرْجِعَ بِمَالِهِ يَتَذَكَّرُ مَنْ يَضَعُهُ فِيهِمْ فَلَا يَجِدُهُ فَيَرْجِعُ بِمَالِهِ، قَدْ أَغْنَى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ النَّاسَ»[(١)]. قال البيهقي: وَفِي هَذِهِ الْحِكَايَةِ تَصْدِيقُ مَا رُوِّينَا فِي حَدِيثِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ: «**وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَى الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ ذَهَبًا أَوْ فِضَّةً يَلْتَمِسُ مَنْ يَقْبَلَهُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ**»[(٢)] ا.هـ[(٣)]

ونقل الحافظ في الفتح كلام البيهقي ورجحه[(٤)].

وأما ما ورد في الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ، فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ، فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لاَ أَرَبَ لِي**»[(٥)]. فقال أبو عبد الله القرطبي رحمه الله: «هذا مما لم يقع»[(٦)]. ويحمل حديث أبي هريرة ﷺ وما ورد في معناه من الأحاديث[(٧)]، بأن ذلك يكون في زمن كثرة المال وفيضه قرب قيام الساعة[(٨)]. **ومن ذلك ما يكون عند نزول عيسى بن مريم** عليه السلام كما سيأتي.

---

(١) المعرفة والتاريخ للفسوي (١/ ٥٩٩)- (وتحرف عنده أسيد إلى أسيل)-، ودلائل النبوة للبيهقي(٦/ ٤٩٣) ولم أقف على ترجمة عمر بن أسيد، والأثر جود إسناده الحافظ في الفتح (٨٣/١٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٤١٣، ٣٥٩٥)

(٣) دلائل النبوة للبيهقي(٦/ ٤٩٣).

(٤) فتح الباري (٦/ ٦١٣)

(٥) أخرجه البخاري (١٤١٢)، ومسلم (١٥٧) واللفظ له.س

(٦) «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ص١٢٢٧)

(٧) انظر: حديث أبي موسى الأشعري ﷺ في صحيح البخاري (١٣١٤) ومسلم (١٠١٢)، وحديث حارثة بن وهب ﷺ في البخاري (١٣١١) وحديث أبي هريرة ﷺ في صحيح مسلم (١٠١٢)

(٨) انظر: فتح الباري (٢٨٢/٣)

وقال الحافظ في الفتح: قَوْلُهُ: «**وحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ، فَيَفِيضَ ...**»

التَّقْيِيدُ بِقَوْلِهِ «**فِيكُمُ**» يُشْعِرُ بِأَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى زَمَنِ الصَّحَابَةِ فَيَكُونُ إِشَارَةً إِلَى مَا وَقَعَ مِنَ الْفُتُوحِ وَاقْتِسَامِهِمْ أَمْوَالَ الْفُرْسِ وَالرُّومِ وَيَكُونُ قَوْلُهُ «**فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ الْمَالِ ...**» إِشَارَةً إِلَى مَا وَقَعَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ... وَيَكُونُ قَوْلُهُ: «**... وَحَتَّى يَعْرِضَهُ، فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لاَ أَرَبَ لِي بِه**» إِشَارَةً إِلَى مَا سَيَقَعُ فِي زمن عِيسَى بن مَرْيَمَ فَيَكُونُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ:

الْأُولَى إِلَى كَثْرَةِ الْمَالِ فَقَطْ، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ وَمِنْ ثَمَّ قِيلَ فِيهِ «**يَكْثُرَ فِيكُمُ**» ...

الْحَالَةُ الثَّانِيَةُ الْإِشَارَةُ إِلَى فَيْضِهِ مِنَ الْكَثْرَةِ بِحَيْثُ أَنْ يَحْصُلَ اسْتِغْنَاءُ كُلِّ أَحَدٍ عَنْ أَخْذِ مَالِ غَيْرِهِ وَكَانَ ذَلِكَ فِي آخِرِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ وَأَوَّلِ عَصْرِ مَنْ بَعْدَهُمْ وَمِنْ ثَمَّ قِيلَ: «**يُهِمَّ رَبَّ الْمَالِ ...**» وَذَلِكَ يَنْطَبِقُ عَلَى مَا وَقَعَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ

الْحَالَةُ الثَّالِثَةُ فِيهِ الْإِشَارَةُ إِلَى فَيْضِهِ وَحُصُولِ الِاسْتِغْنَاءِ لِكُلِّ أَحَدٍ حَتَّى يَهْتَمَّ صَاحِبُ الْمَالِ بِكَوْنِهِ لَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ وَيَزْدَادُ بِأَنَّهُ يَعْرِضُهُ عَلَى غَيْرِهِ وَلَوْ كَانَ مِمَّنْ لَا يَسْتَحِقُّ الصَّدَقَةَ فَيَأْبَى أَخْذَهُ فَيَقُولُ لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ وَهَذَا فِي زَمَنِ عِيسَى عليه السلام وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْأَخِيرُ [عند] خُرُوجِ النَّارِ وَاشْتِغَالَ النَّاسِ بِأَمْرِ الْحَشْرِ فَلَا يَلْتَفِتُ أَحَدٌ حِينَئِذٍ إِلَى الْمَالِ بَلْ يَقْصِدُ أَنْ يَتَخَفَّفَ مَا اسْتَطَاعَ ا.هـ[1]

وهذا الاحتمال الأخير قال عنه الحافظ قبل ذلك: وَهَذَا أَظْهَرُ الِاحْتِمَالَات وَهُوَ الْمُنَاسب لِصَنِيعِ الْبُخَارِيِّ وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ا.هـ[2]

الفتن بين يدي الساعة:

كذلك أخبر النبي ﷺ أنّ بين يدي الساعة فتنًا كقطع الليل المظلم حيث قال ﷺ: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ**

(١) فتح الباري لابن حجر (١٣/٨٧-٨٨)

(٢) المرجع السابق (١٣/٨٢)

يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»[١].

وقال ﷺ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلاَثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَحَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ: وَهُوَ القَتْلُ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ المَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لاَ أَرَبَ لِي بِهِ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي البُنْيَانِ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ، وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ - يَعْنِي آمَنُوا - أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلاَنِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا، فَلاَ يَتَبَايَعَانِهِ وَلاَ يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلاَ يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ فَلاَ يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلاَ يَطْعَمُهَا»[٢]

ففي هذا الحديث جملة من الأشراط ومنها الكبرى.

افتراق الأمة

ومن الفتن العظيمة التي أخبر عنها نبينا ﷺ افتراق هذه الأمة وورد في ذلك أحاديث منها:

(١) حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً» رواه الخمسة إلا النسائي وصححه ابن حبان والحاكم[٣]

---

(١) أخرجه مسلم (١١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٥٩٦) واللفظ له، والترمذي (٢٦٤٠) وابن ماجه (٣٩٩١)، وأحمد (٨٣٩٦) وابن حبان (٦٢٤٧، ٦٧٣١)، والحاكم (١٠، ٤٤١) وصححه على شرط مسلم!، وليس كذلك فإن مسلما لم يحتج بمحمد بن عمرو. وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٠٣) وشيخنا الوادعي في الجامع الصحيح (١٥٣)

(٢) حديث مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: أَلاَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَامَ فِينَا فَقَالَ: «أَلاَ إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ» أخرجه أبو داود وأحمد والحاكم(١)

(٣) وعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ هُمْ ؟ قَالَ: «الْجَمَاعَةُ» رواه ابن ماجه(٢).

(٤) وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلاَّ وَاحِدَةً وَهِيَ: الْجَمَاعَةُ» رواه ابن ماجه وأحمد(٣).

(٥) وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بني إسرائيل تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» رواه الترمذي والحاكم(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٩٧) وأحمد (١٦٩٣٧) والدارمي (٢٥٦٠) والحاكم (٤٤٣). وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٠٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٢). وجود إسناده العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٩٢)

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٣) وأحمد (١٢٤٧٩). وانظر تخريجه في السلسلة الصحيحة تحت الحديث (٢٠٤).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٦٤٤) والحاكم (٤٤٤) بسند ضعيف ففي إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي وهو ضعيف. والحديث حسن لغيره له شواهد، فالجملة الأولى لها شاهد من حديث ابن عباس وهو مخرج في السلسلة الصحيحة (١٣٤٨) وحسن إسناده الألباني -وسيأتي (ص٥٤)-. وجملة الافتراق صحيحة لها شواهد كثيرة وتقدم شيء منها. وزيادة «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي». لها شواهد باللفظ والمعنى. ومنها: حديث =

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: من قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة ا.هـ[١]

وقد تقدم معنا ذكر أحاديث الفرقة الناجية والطائفة المنصورة[٢]، وهي الفرقة الباقية على الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، فالواجب على المسلم أن يستمسك بالكتاب والسنة وأن يلزم غرز السلف من الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: وإنّ مما يجب أنْ يعلم أن التمسك بما كانوا عليه -أي السلف- هو الضمان الوحيد للمسلم ألا يضل يميناً وشمالاً، وهو مما يغفل عنه كثير من الأحزاب الإسلامية اليوم، فضلاً عن الفرق الضالة ا.هـ[٣]

أنس رضي الله عنه، رواه الطبراني في معجميه: الصغير (٧٢٤) والأوسط (٤٨٨٦، ٧٨٤٠) -ومن طريقه الجورقاني في الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير (٢٨٣)، والضياء المقدسي في المختارة رقم (٢٧٣٣) -؛ وبحشل في تاريخ واسط (ص ١٩٦) -وعنه العقيلي في الضعفاء-، من طريق عبد الله بن سفيان الواسطي، قال: ثنا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الأَنْصَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**تَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إلا فِرْقَةً وَاحِدَةً**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا تِلْكَ الْفِرْقَةُ؟ قَالَ: «**مَا كَانَ عَلَى مَا أَنَا عليه اليوم وأصحابي**». وفي إسناده: عبد الله بن سفيان قال العقيلي: لا يتابع على حديثه... لَيس لَه مِن حَديث يَحيَى بن سَعيد أَصل، وإنما يُعرَف هَذا الحَديث مِن حَديث الإفريقيّ ا.هـ وهذه الزيادة هي بمعنى الرواية الأخرى «**هِيَ الْجَمَاعَةُ**» فالجماعة هي ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه. ولذا قال الجورقاني: هَذَا حَدِيثٌ عَزِيزٌ حَسَنٌ مَشْهُورٌ، وَرُوَاتُهُ كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ أَثْبَاتٌ كَأَنَّهُمْ بُدُورٌ وَأَقْمَارٌ. ثم ذكر ما يشهد للزيادة بالمعنى فقال: وَقَدْ رُوِيَ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**تَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**» قال: وَكَذَلِكَ رَوَاهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ صُهَيْبٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَهُ، وَزَادَ فِيهِ: «**وَهُوَ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ**» ... وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، وَعَوْفِ بْنُ مَالِكٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَمُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَأَبِي أُمَامَةَ، وَوَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، وَعَمْرِو بْنِ عَوْفٍ الْمُزَنِيِّ، كُلُّهُمْ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالُوا: «**فِيهِ وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**» ا.هـ قال العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٢٩): مفسرا «**الْجَمَاعَةُ**» أي: الصحابة كما في بعض الروايات، وفي أخرى: «**هِيَ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**». رواه الترمذي وغيره. وهو مخرج في المجلد الأول من "الصحيحة"ا.هـ

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/٣٤٦).

(٢) تقدم (ص: ١٨)

(٣) صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٢٩)

اتباع اليهود والنصارى والمشركين:

وأخبر ﷺ باتباع هذه الأمة لسنن اليهود والنصارى -كما في حديث عبد الله بن عمرو المتقدم-، وفي معناه أحاديث أخرى منها:

(١) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «**فَمَنْ**» متفق عليه[١].

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ القُرُونِ قَبْلَهَا، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ**»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَفَارِسَ وَالرُّومِ؟ فَقَالَ: «**وَمَنِ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ**» رواه البخاري[٢] وفي رواية لأحمد: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، وَبَاعًا فَبَاعًا، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ دَخَلْتُمُوهُ**»، قَالُوا: وَمَنْ هُمْ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَهْلُ الْكِتَابِ؟ قَالَ: «**فَمَهْ**»[٣]

(٣) وَعَنْ ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا**» رواه مسلم[٤]. ورواه أبو داود بإسناد على شرط مسلم وزاد: «**وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وُضِعَ**

---

(١) صحيح البخاري (٣٤٥٦، ٧٣٢٠)، وصحيح مسلم (٢٦٦٩).

(٢) صحيح البخاري (٧٣١٩).

(٣) مسند أحمد (٧٣١٩).

(٤) صحيح مسلم (٢٨٨٩).

السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ»[١]

(٤) وعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ ﷺ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ [وفي رواية: وَنَحْنُ حَدِيثُو عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَكَانُوا أَسْلَمُوا يَوْمَ الْفَتْحِ][٢]، وِلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ. قَالَ: فَمَرَرْنَا بِالسِّدْرَةِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. [وفي رواية: وَقَدْ كَانَتْ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ وَمَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْعَرَبِ شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، يَأْتُونَهَا كُلَّ عَامٍ، فَيُعَلِّقُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، ويُرِيحُونَ تَحْتَهَا، وَيَعْكُفُونَ عَلَيْهَا يَوْمًا،[٣] فَرَأَيْنَا وَنَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ سِدْرَةً خَضْرَاءَ عَظِيمَةً، فَتَنَادَيْنَا مِنْ جَنَبَاتِ الطَّرِيقِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ][٤]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف]، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**». [وفي رواية[٥] فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى ﴿ٱجْعَل**

---

(١) سنن أبي داود (٤٢٥٢) وهو بتمامه أيضا في سنن ابن ماجه (٣٩٥٢) ومسند أحمد (٥/٢٧٨، ٢٨٤) وصحيح ابن حبان (٦٧١٤، ٧٢٣٨) ومستدرك الحاكم (٤/٤٤٩)

(٢) رواها الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٢٤٣ رقم ٣٢٩٤). وفي رواية في المعجم الكبير أيضا (٣٢٩٣): (خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ حَدِيثُو عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ)

(٣) في رواية: (ويذبحون عندها) رواها الأزرقي في أخبار مكة (١/١٢٩) لكن سنده واه

(٤) رواها الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٢٤٣ رقم ٣٢٩٣).

(٥) لفظ الترمذي في جامعه (٢١٨٠).

لَنَآ إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»[١]

(٥) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَتَتَّبِعُنَّ سنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بَاعًا بِبَاعٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، وَشِبْرًا بِشِبْرٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمْ مَعَهُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، قَالَ: «فَمَنْ إِذًا» رواه ابن ماجه وأحمد[٢]

(٦) وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِثْلًا بِمِثْلٍ» رواه أحمد[٣]

(٧) وَعن شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «لَيَحْمِلَنَّ شِرَارُ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى سَنَنِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلِ الْكِتَابِ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ» رواه أحمد[٤]

(٨) وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: «أَنْتُمْ أَشْبَهُ النَّاسِ سَمْتًا وَهَدْيًا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ لَتَسْلُكُنَّ طَرِيقَهُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ وَالنَّعْلِ بِالنَّعْلِ [حتَّى لَا يَكُونُ فِيهِمْ شَيْءٌ إِلَّا كَانَ فِيكُمْ مِثْلُهُ»]» وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا» رواه ابن أبي شيبة والمروزي السنة[٥]

---

(١) صحيح، أخرجه الترمذي في جامعه (٢١٨٠) والنسائي في الكبرى (١١١٢١) وأحمد (٥/ ٢١٨) والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٢٤٣ رقم ٣٢٩٠ - ٣٢٩٤) والسياق له.

(٢) رواه ابن ماجه (٣٩٩٤) وأحمد (٤٥٠/٢) والحاكم (١٠٦) وصححه على شرط مسلم، وإنما هو حسن الإسناد فقط لأنه من طريق محمد بن عمرو بن علقمة وإنما أخرج له مسلم متابعة وهو حسن الحديث

(٣) رواه أحمد (٣٤٠/٥) وسند حسن في الشواهد. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٧/ ٢٦١): فِي إِسْنَادِ أَحْمَدَ ابْنُ لَهِيعَةَ، وَفِيهِ ضَعْفٌ ا.هـ

(٤) رواه أحمد (١٢٥/٤) وسند حسن في الشواهد. وانظر السلسة الصحيحة (٣٣١٢).

(٥) رواه ابن أبي شيبة (٢١/ ١٥٤/ط القبلة) رقم (٣٨٥٣٣) حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِي قَيْسٍ، عَنْ هُزَيْلٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ فذكره. ورواه المروزي في السنة (٦٤، ١٠٨) حَدَّثَنَا بُنْدَارٌ، ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، ثنا سُفْيَانُ به نحوه دون قوله «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا» والزيادة له. وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٧/ ٩١٥): وهذا إسناد صحيح موقوف، ولكنه في حكم المرفوع؛ فإنه من الغيبيات التي لا تقال بالاجتهاد والرأي، ويؤيده أن قوله: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا» قد صح مرفوعاً عن جمع من الصحابة؛ كابن عمر وغيره، وسبق تخريجه برقم (١٧٣١ و٢٨٥١) ا.هـ وقد رواه الطبراني في المعجم الكبير (٩٨٨٢)، والبزار في مسنده (٢٠٤٨) من طريق ليث ابن أبي سُلَيم وهو مختلط عن أبي قيس وهو عبد الرحمن بن ثروان به فرفعه ولفظه عند الطبراني:
=

(٩) وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ وَبَاعًا بِبَاعٍ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ دَخَلَ جُحْرَ ضَبٍّ دَخَلْتُمْ، وَحَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ ضَاجَعَ أُمَّهُ بِالطَّرِيقِ لَفَعَلْتُمْ**» رواه البزار[١]

والحديث عن أشراط الساعة الصغرى طويلٌ جدًّا، وليس القصد من هذا المجلس هو ذكر هذه العلامات، وإنما هو الإشارة إلى أن من الإيمان باليوم الآخر الإيمانَ بأشراط الساعة الصغرى والأشراط الكبرى وما يتعلق بهما، ويمكن للمسلم أن يراجع ما يتعلق بهذا الباب في كتب أهل العلم المطولة؛ فإنه أيضًا كما ذكرنا باب عظيم النفع، وفيه أيضًا تسلية للمؤمن وزيادة لإيمانه،

نسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى، وبهذا القدر نكتفي،

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

«أَنْتُمْ أَشْبَهُ الْأُمَمِ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ، لَتَرْكَبُنَّ طَرِيقَتَهُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، حَتَّى لَا يَكُونَ فِيهِمْ شَيْءٌ إِلَّا كَانَ فِيكُمْ مِثْلُهُ، حَتَّى إِنَّ الْقَوْمَ لَتَمُرُّ عَلَيْهِمُ الْمَرْأَةُ فَيَقُومُ إِلَيْهَا بَعْضُهُمْ فَيُجَامِعُهَا، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى أَصْحَابِهِ يَضْحَكُ إِلَيْهِمْ وَيَضْحَكُونَ إِلَيْهِ» ولفظ البزار: «أَنْتُمْ أَشْبَهُ الْأُمَمِ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ سَمْتًا وَسِمَةً وَهَدْيًا» وانظر السلسلة الصحيحة (٩١٤/٧).

(١) رواه البزار -كما في كشف الأستار عن زوائد البزار (٣٢٥٨) -، والمروزي في السنة (٤٣)، والدولابي في الكنى والأسماء (١٢٧٢)، والحاكم في المستدرك (٨٤٠٤) وصححه -وفيه سقط لأول الإسناد يستدرك من إتحاف المهرة (٨٤٦٤) -، وحسن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٤٨) ثم قال: بل الحديث صحيح، فإن له شاهد من حديث عبد الله بن عمرو نحوه، أخرجه الترمذي والحاكم (١/ ١٢٩) بسند ضعيف ...، وله شاهد آخر في "المجمع".

الإيمان
بحياة البرزخ
ونعيم القبر وعذابه

المجلس الثالث والعشرون [١]

حياة البرزخ:

ومما يتضمنه الإيمان باليوم الآخر، -كما تقدم- أيضا، الإيمان بحياة البرزخ، ثم الإيمانَ بالبعث والجزاء والنشور وما يكون في يوم القيامة.

وحياة البرزخ حياة غيبية جاء ذكرها وبيانها في كتاب الله وفي سنة رسول ﷺ، ولا يتم الإيمان باليوم الآخر إلا بأن يؤمن الإنسان بهذا الغيب الذي أخبرنا عنه النبي ﷺ وهو عالم البرزخ.

حياة البرزخ القيامة الصغرى:

ويُسمِّيه بعضُ العلماء بالقيامة الصغرى؛ فإن الموت يُسمّى بالقيامة، ويُسمّى بالساعة، وقد جاء في الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها أنها قالت: كان رجالٌ من الأعراب جفاةٌ يأتون النبي ﷺ فيسألونه: متى الساعة؟ فكان ينظر إلى أصغرهم، فيقول عليه الصلاة والسلام: «**إِنْ يَعِشْ هَذَا لاَ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ**»[٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وَالْمُرَادُ: انْخِرَامُ قَرْنِهِمْ، وَدُخُولُهُمْ فِي عَالَمِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ مَاتَ فَقَدْ دَخَلَ فِي حُكْمِ الْآخِرَةِ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ: مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ. وَهَذَا الْكَلَامُ بِهَذَا الْمَعْنَى صَحِيحٌ، وَقَدْ يَقُولُ هَذَا بَعْضُ الْمَلَاحِدَةِ، وَيُشِيرُونَ بِهِ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الزَّنْدَقَةِ وَالْبَاطِلِ ا.هـ[٣]

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: الْمَوْت معادٌ وَبعثٌ أولُ، فَإِن الله سبحانه وتعالى جعل لِابْنِ آدم معادين وبعثين يجزى فيهمَا الَّذين أساءوا بِمَا عمِلُوا ويجزى الَّذين أَحْسنُوا بِالْحُسْنَى،

---

(١) كان في يوم الخميس الحادي والعشرين من شهر رمضان ١٤٤١هـ.

(٢) تقدم (ص:١٢)

(٣) البداية والنهاية ط هجر (١٩/ ٣٢)

فالبعث الأول مُفَارقَة الرّوح للبدن ومصيرها إِلَى دَار الْجَزَاء الأول؛ **والبعث الثاني**: يَوْم يرد الله الْأَرْوَاح إِلَى أجسادها ويبعثها من قبورها إِلَى الْجنَّة أَو النَّار وَهُوَ الْحَشْر الثاني وَلِهَذَا فِي الحَدِيث الصَّحِيح وتؤمن بِالْبَعْثِ الآخر فَإِن الْبَعْث الأول لَا يُنكره أحد وَإِن أنكر كثير من النَّاس الْجَزَاء فِيهِ وَالنَّعِيم وَالْعَذَاب وَقد ذكر الله ﷻ هَاتين القيامتين وهما الصُّغْرَى والكبرى فِي سُورَة الْمُؤمنِينَ وَسورَة الْوَاقِعَة وَسورَة الْقِيَامَة وَسورَة المطففين وَسورَة الْفجْر وَغَيرهَا من السُّور ...إلخ[1].

وتقدم ذكر هذه المسألة تحت مبحث: "**من مات قامت قيامته**[2]"

تعريف البرزخ:

والبرزخ في كلام العرب معناه الحاجز بين الشيئين.

قال الله ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٣]. فقوله: ﴿ بَرْزَخًا ﴾ أي: حاجزًا.

والبرزخُ في الشرع: الدارُ التي تعقب الموت إلى البعث منذ أن يموت الإنسان وإلى أن يبعثه الله ﷻ فإنه يعيش في عالم البرزخ ما بين الموت والبعث.

الدور ثلاثة:

ولهذا يقول العلماء: الدور ثلاثة:

- دار الدنيا،
- ودار البرزخ،
- والدار الآخرة.

ودار البرزخ هي دار بين الموت والبعث، يموت الإنسان فينتقل إلى قبره، فيعيش حياة برزخية اللهُ أعلم بها.

قال الله تعالى: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المؤمنون].

---

(١) الروح (ص: ٧٤).

(٢) انظر: المجلس (٢١: ص١٢).

الموت بيد الله:

يقول الله ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ﴾ [الزمر: ٤٢]

الموتُ حتم لازم على كل حي:

قال ربُّنا ﷻ: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [القصص]

وقال سبحانه: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن]

وقال سبحانه: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران]

وربُّنا ﷻ يخاطب نبيّه ﷺ، فيقول: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر]

وقال لنبيِّه: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنبياء]. وكان من دعاء النبي ﷺ: «**اللهُمَّ أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ**»(١).

والموت له أجلٌ محدّدٌ:

قال ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ ﴾ [آل عمران: ١٤٥] وجاء في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه أن أم حبيبة رضي الله عنها دعت فقالت: اللَّهُمَّ متِّعني بزوجي رسول الله، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية (تقصد أن يطال في أعمارهم) فقال النبي ﷺ: «**إِنَّكِ سَأَلْتِ اللَّهَ لآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَآثَارٍ مَوْطُوءَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لاَ**

(١) أخرجه البخاري (٧٣٨٣)، ومسلم (٢٧١٧) واللفظ له من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

يُعَجِّلُ شَيْئًا مِنْهَا قَبْلَ حِلِّهِ وَلاَ يُؤَخِّرُ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ حِلِّهِ وَلَوْ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ لَكَانَ خَيْرًا لَكِ»[١].

ولا يعلم أحدٌ متى يموت إلا اللهُ:

لا يعلم أحدٌ متى يموت إلا اللهُ ﷻ فهو من مفاتح الغيب التي اختصّ اللهُ ﷻ بها كما في قوله تعالى في خاتمة سورة لقمان: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان]. فهذه الخمسة: أمورٌ سمّاها النبي ﷺ بمفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله[٢].

ولا يعلم أحدٌ أين يموت إلا اللهُ:

وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال «**إِذَا قَضَى اللَّهُ لِعَبْدٍ أَنْ يَمُوتَ بِأَرْضٍ جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً، أَوْ قَالَ: بِهَا حَاجَةً**»[٣]

للموت سكرات:

والموت له مُقدِّمات وله سكرات يقول الله ﷻ: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾ [ق] والسكرة: الألم وما يصاب به الإنسان في ذلك الحين. وحين مرض نبينا ﷺ مرضه الأخير كان يقول: «**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ**»[٤].

وتقول عائشة ﵂ في مرض رسول الله ﷺ: "ما رأيتُ أحدًا أشدّ عليه الوجع من رسول الله ﷺ"[٥].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٣).

(٢) والخبر في الصحيحين تقدم تخريجه في المجلس الحادي والعشرين.

(٣) رواه الترمذي (٢١٤٧) من حديث أبي عزَّة ﵁.

(٤) أخرجه البخاري (٤٤٤٩) من حديث عائشة ﵂.

(٥) أخرجه البخاري (٥٦٤٦).

وقد دخلت عائشة ﵂ على أبيها أبي بكر الصديق ﵁ في مرض موته، فلما ثقل عليه تمثلت بقول حاتم الطائي:

لَعَمْرُكَ ما يُغني الثراءُ عَنِ الفتى إذا حَشْرَجَتْ يومًا وضاقَ بها الصّدْرُ

فسمعها الصديق ﵁ فكشف عن وجهه، وقال: ليس كذلك يا بنية، ولكن قولي: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾ [ق: ١٩][(١)].

قال رب ارجعون

ويعاين الإنسانُ في تلك اللحظات ما كان يخفى عليه من قبل، فيشاهد أمورًا كان يحيد عنها، وفي ذلك الوقت يتمنى المفرِّطون العودةَ لتدارك ما فاتهم. ولكن أينفع ذلك؟! أيجابون إلى ذلك؟! يقول ربنا ﷻ -مبينا حقيقة الحال-: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المؤمنون]

فيخبر الله ﷻ أنّ تلك الساعة يعاين فيها الناس الحقيقة، فيتمنّوْنَ العودة، ليعملوا عملًا صالحًا؛ ولهذا يقول ربنا ﷻ في آية أخرى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ط دار صادر (٣/ ١٩٥) واللفظ له، والبلاذري في أنساب الأشراف (١٠/ ٨٥) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْبَهِيِّ عن عائشة. ورواه أحمد في الزهد (٥٦٣) عن عبد الله اليمني، -كذا والظاهر أنه تصحيف- مَوْلَى الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ قَالَ: لَمَّا احْتُضِرَ أَبُو بَكْرٍ ﵁ تَمَثَّلَتْ عَائِشَةُ ﵂ بِهَذَا الْبَيْتِ (مِنْ قَوْلِ حَاتِمٍ)...فذكره ورواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين (٣٦) – ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه (٣٠/٤٢٦)- عَنِ الْبَهِيِّ قَالَ: " لَمَّا احْتُضِرَ أَبُو بَكْرٍ، جَاءَتْ عَائِشَةُ ... فذكر الحديث مرسلا. والأول أرجح. فقد رواه كذلك جماعة منهم: عبد الله بن نمير ويعلى بن عبيد ووكيع كما عند ابن سعد ومن طريق وكيع رواه البلاذري كلهم عن إسماعيل بن أبي خالد عن البهي عنها به. وخالفهم يزيد بن هارون عند أحمد وأبو شهاب الحناط عن إسماعيل. وهو صدوق يهم كما في التقريب. وأعل بعدم سماع البهي من عائشة. كما هو قول الدارقطني ومن قبله ابن مهدي. وصحح البخاري سماعه منها وخرج مسلم له عنها في صحيحه. وللأثر طرق أخرى انظرها عند ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ١٩٦-١٩٧) والمحتضرين لابن أبي الدنيا (٣٨)، والعلل ومعرفة الرجال لأحمد رواية ابنه عبد الله (٥٠٥٩)، وتفسير الطبري ط هجر (٢١/ ٤٢٧)

ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ [النساء] ﴿ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾ أي: يتوبون قبل أن تغرغر الروح في الجسد كما قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**»(١)

والله ﷻ يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ فيريد أن يرجع ليكون من المتصدقين، يريد أن يرجع ليكون من عباد الله الصالحين مصليًا صائمًا بارًا بوالديه قائمًا بفرائض الله سبحانه. ولكن الله يقول: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون].

حياة البرزخ روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار:

وفي البرزخ يكون العذاب أو النعيم، النعيمُ لأولياء الله من المؤمنين الصالحين، والعذابُ لمن كفر أو أشرك وكذلك لبعض عصاة المسلمين. فحياةُ البرزخ إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار، -نسأل الله السلامة والعافية-.

وفي صحيح ابن حبان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ فِي قَبْرِهِ لَفِي رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، وَيُرْحَبُ لَهُ قَبْرُهُ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَيُنَوَّرُ لَهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ أَتَدْرُونَ فِيمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾** [طه] **أَتَدْرُونَ مَا الْمَعِيشَةُ الضَّنْكَةُ؟**» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «**عَذَابُ الْكَافِرِ فِي قَبْرِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ يُسَلَّطُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ تِنِّينًا، أَتَدْرُونَ مَا التِّنِّينُ؟ (تِسْعُونَ)(٢) حَيَّةً، لِكُلِّ حَيَّةٍ سَبْعُ رُءُوسٍ يِلْسَعُونَهُ، وَيَخْدِشُونَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(٣)

---

(١) أخرجه أحمد (٦١٦٠)، والترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣) من حديث عبدالله بن عمر ﷺ.

(٢) الأصل: (سبعون)، والتصحيح من مجمع الزوائد (٣/ ٥٥) برواية أبي يعلى، وتفسير ابن كثير، برواية ابن أبي حاتم والمجمع أيضاً برواية أخرى للبزار. أفاده الألباني في صحيح الترغيب (٣/ ٣٩٣)

(٣) رواه أبو يعلى (٦٦٤٤) وابن حبان (٣١٢٢) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٣٥٥٢)

حديث البراء بن عازب في أحوال الانتقال من الدنيا إلى الآخرة:

وسنقف الآن مع حديث البراء بن عازب الذي قصّ علينا فيه النبيُّ ﷺ ما يقع للإنسان عند موته في رحلة عظيمة تستقبل الإنسان.

-نسأل الله ﷻ أن يثبتنا على دينه وأن يحيينا على الإسلام ويميتنا على الإيمان-

وسأذكره بسياق الإمام أحمد في مسنده[١] مع الزيادات التي نبه عليها العلامة الألباني في أحكام الجنائز -وربما ذكرت غيرها وأشرت إليها-:

يقول البراء بن عازب رضي الله عنهما: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ][٢] وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ[٣]، [فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْأَرْضِ، وَجَعَلَ يَرْفَعُ بَصَرَهُ وَيَخْفِضُهُ ثَلَاثًا][٤] [وَيَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ وَيُحَدِّثُ نَفْسَهُ][٥] فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، [ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**»][٦] [ثلاثاً][٧]، ثُمَّ قَالَ ﷺ:

---

(١) مسند أحمد (١٨٥٣٤)

(٢) سنن أبي داود (٤٧٥٣) ولابن ماجه (١٥٤٨) «فَقَعَدَ حِيَالَ الْقِبْلَةِ» وللحاكم (١١٣) «وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ».

(٣) انظر إلى حال الصحابة رضي الله عنهم جلسوا حول النبي ﷺ يستمعون إليه لا يتحدثون صامتين. ثم انظر إلى حالنا اليوم في المقابر كيف نجد كثيرًا من اللغط وكثيرًا من الكلام بل تجد بعض الناس يضحك ويفرح ويمرح، وربما استعمل بعضهم السجارة والدخان وغير ذلك من الأمور المحرمة، وكأنّ شيئًا لا يعنيه والله المستعان وفي الحديث توقير العلم والعلماء ولذا الإمام الحاكم عنون لهذا الحديث فقال: فَصْلٌ: «...الْأَمْرِ بِتَوْقِيرِ الْعَالِمِ عِنْدَ الِاخْتِلَافِ إِلَيْهِ وَالْقُعُودِ بَيْنَ يَدَيْهِ» وعنون له البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (ص: ٣٧٨) بـ(بَابُ تَوْقِيرِ الْعَالِمِ وَالْعِلْمِ).

(٤) من مستدرك الحاكم (١٠٧) ومسند الروياني (٣٩٢)

(٥) من مسند الروياني (٣٩٢).

(٦) من مسند أبي داود الطيالسي (٧٨٩) والمستدرك (١٠٧) والسنة لعبد الله بن أحمد (١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٤)

(٧) من مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٦٧٣٧) ومسند أحمد (١٨٦١٤) والسنة لعبد الله بن أحمد وفي مسندي الطيالسي والروياني «قَالَهَا مِرَارًا»

«إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، عليه السلام، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ [وفي رواية: الْمُطْمَئِنَّةُ] (١)، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ». قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا»، [وفي رواية: «حَتَّى إِذَا خَرَجَ رُوحُهُ، صَلَّى عَلَيْهِ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَكُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاءِ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَابٍ إِلَّا وَهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ: أَنْ يُعْرَجَ بِرُوحِهِ مِنْ قِبَلِهِمْ»] (٢)، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ (٣)

---

(١) من زوائد الحسين المروزي على الزهد لابن المبارك (١٢١٩) وتهذيب الآثار مسند عمر (٧٢٣) للطبري والشريعة للآجري (٨٦٤) والأحاديث الطوال للطبراني (٢٥) ومستدرك الحاكم (١٠٧) وإثبات عذاب القبر للبيهقي (٤٤)

(٢) من مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٦٧٣٧) ومسند أحمد (١٨٦١٤) والسنة لعبد الله بن أحمد (١٤٤١)

(٣) انظر- يا عبد الله- إلى ما يحصل للمؤمن عند موته وعند احتضاره كيف يأتيه ملك الموت ومع ملك الموت أعوانٌ له، وملك الموت هذا هو اسمه، ويُسمِّيه بعضُ الناس بعزرائيل، والصحيحُ أن اسمه ملك الموت، كما جاء تسميته في هذا الحديث وغيره، وملك الموت معه أعوان -كما تقدّم- من الملائكة، فيأتون إلى العبد المؤمن، فتخرج روحه مطمئنة آمنة -**فيُصلِّي عليه كُلُّ ملك**- يعني تدعو له الملائكة، ملائكة في السماء وملائكة في الأرض، يقول ﷺ: «**فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ**»، -والحنوط: هو ما يخلط من الطيب لأكفان الموتى وأجسامهم خاصة، من مسك وذريرة وكافور وغير ذلك-، وانظر إلى هذا الحنوط وهذا الطيب، إنه من الجنة! إنه من عند الله ﷻ! فانظر كيف يبدأ هذا النعيم مع العبد المؤمن من هذا الوقت ومن هذه الساعة التي تخرج فيها روحه، فيرتاح من تعب الدنيا ونصبها وما فيها من الآلام. ولهذا لما مرت جنازة بالنبي ﷺ قال: «**مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ**» قالوا: يا رسول الله، ما مستريح؟ وما مستراح منه؟ قال: «**العَبْدُ المُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالعَبْدُ الفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ العِبَادُ وَالبِلاَدُ، وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ**» -أخرجه البخاري (٦٥١٢)، ومسلم (٩٥٠) من حديث أبي قتادة ﷺ فالمؤمن يرتاح بموته؛ لأنه يفرح بلقاء الله ﷻ يقول النبي ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ**» أخرجه البخاري (٦٥٠٧) ومسلم (٢٦٨٣) من حديث عبادة بن الصامت ﷺ وزاد البخاري- وهو =

[فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷻ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأنعام: ٦١]](١)، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ» قَالَ: «فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ، يَعْنِي بِهَا، عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، [﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [المطففين: ١٩-٢١] فَيُكْتَبُ كِتَابُهُ فِي عِلِّيِّينَ ثُمَّ يُقَالُ](٢): أَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ [وفي رواية: إلى التُّرَابِ](٣)، فَإِنِّي [وَعَدْتُهُمْ أَنِّي](٤) مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى»، قال:

لمسلم من حديثها منفصلا-: فقالت عائشة ﵂: يا رسول الله إنا لنكره الموت! فقال: «لَيْسَ ذَاكِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» ﵂. ولذلك جاء عن النبي ﷺ أنه أخبرنا عن كيفية ذهاب الميت إلى المقبرة، فقال-وذلك من علم الغيب-: «إِذَا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ لِأَهْلِهَا: يَا وَيْلَهَا! أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟!-يعني: تقول: يا ويلي! أين يذهبون بي؟!-يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَ الإِنْسَانُ لَصَعِقَ» أخرجه البخاري (١٣١٦) من حديث أبي سعيد الخدري ﵁. هذا حال المؤمن يا إخواني وهذا من علم الغيب في البرزخ الذي يدخل في الإيمان باليوم الآخر وأمرنا النبي ﷺ بالإيمان به.

(١) من مسند الروياني (٣٩٢) وهي للطيالسي في مسنده (٧٨٩) -ومن طريقه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (١/ ٦٢)- وللبيهقي في إثبات عذاب القبر (٢٠) الآية من قوله: ﴿ تَوَفَّتْهُ ... ﴾.

(٢) من مسند أبي داود الطيالسي (٧٨٩))- ومن طريقه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (١/ ٦٢)- ومن مسند الروياني (٣٩٢).

(٣) من تهذيب الآثار للطبري مسند عمر (٧٢٢) وفي رواية له (٧٢٣): «رُدُّوا عَبْدِي إِلَى مَضْجَعِهِ»

(٤) من مسند أبي داود الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (١/ ٦٢)- ومن مسند الروياني (٣٩٢). وتهذيب الآثار للطبري مسند عمر (٧٢٢، ٧٢٣) ومستدرك الحاكم (١٠٧) وإثبات عذاب القبر للبيهقي (٤٤)

فـ[يُرَدُّ إِلَى الْأَرْضِ وَ][(١)] تُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، [قال: فَإِنَّهُ يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِ أَصْحَابِهِ، إِذَا وَلَّوْا عَنْهُ][(٢)] [مُدْبِرِينَ][(٣)]، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ [شَدِيدَا الِانْتِهَارِ][(٤)] فَـ[يَنْتَهِرَانِهِ، وَ][(٥)] يُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ[(٦)]، [فَيَنْتَهِرُهُ فَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ وَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَى الْمُؤْمِنِ فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ،

---

(١) من مسند أبي داود الطيالسي (٧٨٩)- ومن طريقه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (١/ ٦٢)- ومن إثبات عذاب القبر للبيهقي (٢٠)

(٢) من مصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) -وعنه أحمد (١٨٦١٤)- وفي الباب عن أَنَسٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ، إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ» قَالَ: «يَأْتِيهِ مَلَكَانِ ...» الحديث رواه البخاري (١٣٣٨) ومسلم (٢٨٧٠) وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْمَيِّتَ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ، إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ» رواه أحمد (٨٥٦٣، ٩٧٤٢)

(٣) من سنن أبي داود (٤٧٥٣) وتهذيب الآثار مسند عمر (٧١٨و٧٢٢)

(٤) من مسند أبي داود الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (١/ ٦٢)- ومسند الروياني (٣٩٢)، وإثبات عذاب القبر للبيهقي (٢٠). وفي الباب عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَإِذَا دَخَلَ الْمُؤْمِنُ قَبْرَهُ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ أَتَاهُ مَلَكٌ شَدِيدُ الِانْتِهَارِ، فَقَالَ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ ... رواه عبد الرزاق في مصنفه (٦٧٤٤) موقوفا ورفعه ابن لهيعة عن أبي الزبير. رواه أحمد (١٤٧٢٢) وتابعه يحيى القطان عن ابن جريج به فرفعه، رواه عنه الإمام أحمد – كما في تفسير ابن كثير ت سلامة (٤/ ٤٩٧)- وقال ابن كثير: إسناده صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه ا.هـ.

(٥) المرجع السابق.

(٦) وهذه الأسئلة يُسمِّيها العلماءُ بفتنة القبر، فالإنسانُ إذا وُضِعَ في قبره يأتيه الملكان، وقد جاء في خبر عن النبي ﷺ أنّ المَلَكَيْن يقال لأحدهما المنكر ويقال للآخر النكير، كما في جامع الترمذي (١٠٧١)، وابن حبان (٣١١٧) وغيرهما من حديث أبي هريرة ﷺ.

وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ][1]، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ». قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ» . قَالَ: " وَيَأْتِيهِ [وفي رواية: وَيُمَثَّلُ لَهُ][2] رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، [أَبْشِرْ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ ﷻ لَكَ، أَبْشِرْ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَجَنَّاتٍ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ][3] [أَبْشِرْ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الْكَرَامَةِ][4] هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، [وَالْأَمْرُ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ][5] فَيَقُولُ لَهُ: [وَأَنْتَ فَبَشَّرَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ][6] مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، [وفي رواية: يُبَشِّرُ بِالخَيْرِ][7] فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ [فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكَ إِلَّا كُنْتَ سَرِيعًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ بَطِيئًا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا][8]،

---

(١) من مصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) -وعنه أحمد (١٨٦١٤)-. وفي سنده يونس بن خباب فيه ضعف وقد تابعه جرير وأبو عوانة عن الأعمش عن المنهال كما في أهوال القبور لابن رجب (٤٧) ورواية جرير عند الطبري في تهذيب الآثار (٧١٨) لكنه اختصر هذا الموضع والله أعلم ورواية أبي عوانة رواها الطيالسي (٧٨٩) وليس عنده (وهي آخر فتنة تعرض) والله أعلم

(٢) من مسند الروياني (٣٩٢). والأحاديث الطوال للطبراني (٢٥) ومستدرك الحاكم (١٠٧) وفي رواية: «**وَيُمَثَّلُ لَهُ عَمَلُهُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ...**» وهي لأبي داود الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (١/ ٦٢)- وللبيهقي في إثبات عذاب القبر (٢٠).

(٣) من مسند أبي داود الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (١/ ٦٢)- وللبيهقي في إثبات عذاب القبر (٢٠).

(٤) من مسند الروياني (٣٩٢).

(٥) من مسند الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (١/ ٦٢)-.

(٦) من مسند الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين (١/ ٦٢)- ومصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) -وعنه أحمد (١٨٦١٤)-. وتهذيب الآثار للطبري (٧١٨، ٧٢٢) وإثبات عذاب القبر (٢٠) للبيهقي.

(٧) من مستدرك الحاكم (١٠٧) وتهذيب الآثار مسند عمر للطبري (٢/ ٤٩٧)

(٨) من مسند الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين (١/ ٦٢)- ومصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) -وعنه أحمد (١٨٦١٤)-. وفي إثبات عذاب القبر (٢٠) للبيهقي.

[فَيَقُولُ: وَأَنْتَ فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا] (١) [ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ الْجَنَّةِ، وَبَابٌ مِنَ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا كَانَ مَنْزِلَكَ لَوْ عَصَيْتَ اللهَ، أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ هَذَا، فَإِذَا رَأَى مَا فِي الْجَنَّةِ قَالَ] (٢) فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي ". [فَيُقَالُ لَهُ: اسْكُنْ] (٣).

قال ﷺ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ [وفي رواية: الفَاجِر] (٤) إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ [غِلَاظٌ شِدَادٌ] (٥) سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ [وفي رواية: أَكْفَانُ] (٦)، [مِنَ النَّار] (٧) [وفي رواية: مَعَهُمْ سَرَابِيلُ مِنْ قَطِرَانٍ وَثِيَابٌ مِنَ نَارٍ] (٨)، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ». قَالَ: «فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ (٩) [الْكَثِيرُ الشِّعْبِ] (١٠) مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، [فَتُقْطَعُ مَعَهَا الْعُرُوقُ وَالْعَصَبُ] (١١)، [فَيَلْعَنُهُ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَكُلُّ مَلَكٍ

---

(١) من مصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) -وعنه أحمد (١٨٦١٤)-. والسنة لعبد الله بن أحمد (١٤٤١)، وتهذيب الآثار للطبري (٧١٨)

(٢) من مصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) -وعنه أحمد (١٨٦١٤)-. وفي سنده ضعف لكن لهذه الزيادة شواهد.

(٣) من مصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) -وعنه أحمد (١٨٦١٤)-.

(٤) من تهذيب الآثار مسند عمر للطبري (٧٢٠) والمستدرك للحاكم (١٠٧)

(٥) من مصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) -وعنه أحمد (١٨٦١٤)-.

(٦) تهذيب الآثار مسند عمر للطبري (٢/ ٤٩٤)

(٧) ذكرها الشيخ الألباني في أحكام الجنائز ولم أقف عليها عند من عزاها إليه وانظر الزيادة الآتية.

(٨) تهذيب الآثار مسند عمر للطبري (٢/ ٤٩٢و٦٠٤)

(٩) السَفُّود: بِتَشْدِيدِ الْفَاء، هُوَ الَّذِي يُدْخَل فِي الشَّاة إِذَا أُرِيدَ أَنْ تُشْوَى. وانظر: فتح الباري، (١١/ ٤٥٩).

(١٠) من مسند الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين (١/ ٦٢)- ومصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) -وعنه أحمد (١٨٦١٤)-. وإثبات عذاب القبر (٢٠). وعند الطيالسي وعبد الرزاق ط الأعظمي (الكبير الشعب). وضبطت في المصادر: (**الشِّعْبِ**) وضبطت (الشُّعَبِ).

(١١) من زوائد الحسين المروزي على الزهد لابن المبارك (١٢١٩)- ومن طريقه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢١٤٠) وابن عساكر في تاريخه (٣٦٤/٦٠)- ومسند الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين (١/ ٦٢)- ومصنف ابن أبي شيبة (١٢٠٥٩)- ومن طريقه الآجري في الشريعة (٨٦٤)- ومسند أحمد (١٨٥٣٥)، وتهذيب الآثار مسند عمر (٧٢٠) للطبري والأحاديث الطوال للطبراني (٢٥) =

فِي السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَابٍ، إِلَّا وَهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ: أَنْ لَا تَعْرُجَ رُوحُهُ مِنْ قِبَلِهِمْ] (١) فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟، فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ"، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف: ٤٠] فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: «اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، [ثُمَّ يُقَالُ: أَعِيدُوا عَبْدِي إِلَى الْأَرْضِ] (٢) [فَإِنِّي وَعَدْتُهُمْ أَنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى] (٣)، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ [مِنَ السَّمَاءِ] (٤) طَرْحًا» [حَتَّى تَقَعَ فِي جَسَدِهِ] (٥). ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الحج: ٣١] فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، [قال: فَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِ أَصْحَابِهِ، إِذَا وَلَّوْا عَنْهُ] (٦)؛ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، [شَدِيدَا الِانْتِهَارِ، فَيَنْتَهِرَانِهِ، وَ] (٧) يُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟، فَيَقُولُ: هَاهْ، هَاهْ، لَا

ومستدرك الحاكم (١٠٧) وإثبات عذاب القبر للبيهقي (٢٠)

(١) من مصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) -وعنه أحمد (١٨٦١٤)-.

(٢) من مستدرك الحاكم (١٠٧)

(٣) من مسند أبي داود الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (١/ ٦٢)- ومن مسند الروياني (٣٩٢). وتهذيب الآثار للطبري مسند عمر (٧٢٣) ومستدرك الحاكم (١٠٧) وإثبات عذاب القبر للبيهقي (٤٤)

(٤) من مسند أبي داود الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (١/ ٦٢)- ومن مسند الروياني (٣٩٢). وإثبات عذاب القبر للبيهقي (٤٤)

(٥) من مستدرك الحاكم (١٠٧)

(٦) من مصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) -وعنه أحمد (١٨٦١٤)-.

(٧) من مسند أبي داود الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (١/ ٦٢)- ومن مسند الروياني (٣٩٢). وإثبات عذاب القبر للبيهقي (٤٤)

أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ، هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: [فَمَا تَقُولُ فِي][(١)] هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ [فَلَا يَهْتَدِيْ لاسْمِهِ، فَيُقَالُ: مُحَمَّدٌ!][(٢)] فَيَقُولُ: هَاهْ، هَاهْ، لَا أَدْرِي، [سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ ذَاكَ! قَالَ: فَيُقَالُ:][(٣)]، [لَا دَرَيْتَ][(٤)] [وَلَا تَلَوتَ][(٥)] فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ [عَلَيَّ][(٦)] [عَبْدِي][(٧)]، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ [وفي رواية: وَيُمَثَّلُ لَهُ][(٨)] رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: [وَأَنْتَ فَبَشَّرَكَ اللَّهُ بِالشَّرِّ][(٩)] مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ [وفي رواية: يُبَشِّرُ بِالشَّرِّ][(١٠)]، فَيَقُولُ: أَنَا

---

(١) من مسند أبي داود الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (١/ ٦٢)- وتنبيه الغافلين لأبي الليث لسمرقندي (٣٢). وإثبات عذاب القبر للبيهقي (٢٠)

(٢) من مسند أبي داود الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (١/ ٦٢)- وإثبات عذاب القبر للبيهقي (٢٠)

(٣) من مسند أبي داود الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (١/ ٦٢)- وإثبات عذاب القبر للبيهقي (٢٠)

(٤) من مسند أبي داود الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (١/ ٦٢)- ومصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) -وعنه أحمد (١٨٦١٤)-. وإثبات عذاب القبر للبيهقي (٢٠)

(٥) من مصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) -وعنه أحمد (١٨٦١٤)-.

(٦) من تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٦٦/٦٠)

(٧) من زوائد الحسين المروزي على الزهد لابن المبارك (١٢١٩)- ومن طريقه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢١٤٠) وابن عساكر في تاريخه (٣٦٤/٦٠)-، وتنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين لأبي الليث لسمرقندي (٣٢) وإثبات عذاب القبر للبيهقي (٤٤)

(٨) من مسند الروياني (٣٩٢). والأحاديث الطوال للطبراني (٢٥) ومستدرك الحاكم (١٠٧) وفي رواية: «**وَيُمَثَّلُ لَهُ عَمَلُهُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ...**» وهي لأبي داود الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (١/ ٦٢)- وللبيهقي في إثبات عذاب القبر (٢٠).

(٩) من مصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) -وعنه أحمد (١٨٦١٤)-. وللطبري في تهذيب الآثار (٢/ ٤٩٣): «**فَجَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا قَالَ: فَيَقُولُ: وَأَنْتَ فَجَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا**»

(١٠) من مستدرك الحاكم (١٠٧) وتهذيب الآثار مسند عمر للطبري (٢/ ٤٩٧)

عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: [وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكَ إِلَّا][(١)] [كُنْتَ بَطِيئًا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ سَرِيعًا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ][(٢)]، [فَجَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا][(٣)]، [قَالَ: فَيَقُولُ: وَأَنْتَ فَجَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا][(٤)]، [ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَصَمُّ أَبْكَمُ فِي يَدِهِ مِرْزَبَةٌ، لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ كَانَ تُرَابًا، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً حَتَّى يَصِيرَ تُرَابًا، ثُمَّ يُعِيدُهُ اللَّهُ كَمَا كَانَ، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَى، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ النَّارِ وَيُمَهَّدُ مِنْ فُرُشِ النَّارِ][(٥)]، فيقول: [يَا][(٦)][رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ][(٧)]، [يَا][(٨)] رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ [(٩)]».

---

(١) من مسند الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين (١/ ٦٢)-، والسنة لعبد الله بن أحمد (١٤٤١) وتهذيب الآثار مسند عمر للطبري (٧١٨) وفي إثبات عذاب القبر (٢٠) للبيهقي

(٢) من مسند الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين (١/ ٦٢)- ومصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) -وعنه أحمد (١٨٦١٤)-. والسنة لعبد الله بن أحمد (١٤٤١)، وتهذيب الآثار للطبري (٧١٨)

(٣) من مصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) -وعنه أحمد (١٨٦١٤)-. والسنة لعبد الله بن أحمد (١٤٤١)، وتهذيب الآثار مسند عمر للطبري (٧١٨)

(٤) من تهذيب الآثار مسند عمر للطبري (٧١٨، ٧٢٠، ٧٢٣)

(٥) من مصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) -وعنه أحمد (١٨٦١٤)-. وسنن أبي داود (٤٧٥٣) والسنة لعبد الله بن أحمد (١٤٤١)، وتهذيب الآثار مسند عمر للطبري (٧١٨) وفي سنده يونس بن خباب ضعيف وهذه الزيادة لها شواهد.

(٦) من الأحاديث الطوال للطبراني (٢٥)

(٧) من مصنف ابن أبي شيبة (١٢٠٥٩) والزهد لهناد بن السري (٣٣٩) ومسند الروياني (٣٩٢) وتهذيب الآثار مسند عمر للطبري (٧١٨، ٧٢٠) والشريعة للآجري (٨٦٤) والأحاديث الطوال للطبراني (٢٥) وتنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين لأبي الليث السمرقندي (٣٢) وإثبات عذاب القبر للبيهقي (٤٤) وشعب الإيمان (٣٩٠)

(٨) من الأحاديث الطوال للطبراني (٢٥)

(٩) سياق الحديث من مسند الإمام أحمد (٣٠/ ١٨٥٣٤/٤٩٩) قال: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ مِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ زَاذَانَ، عَنِ الْبَرَاءِ ﷺ. وإسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح.

١- وأخرجه من طريق أبي معاوية: -بتمامه أو مختصراً-: ابن أبي شيبة (١١٦٤١ و١٢٠٣٢ و١٢٠٥٩)، وهناد في الزهد (٣٣٩)، والمروزي في زوائده على الزهد لابن المبارك (١٢١٩) – ومن طريقه، اللالكائي في أصول الاعتقاد (٢١٤٠)-، والدارمي في الرد على الجهمية (ص٢٩)، وأبو داود (٤٧٥٣)، وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١٤٣٨) والطبري في التفسير (٢٠٧٦٤)، وفي تهذيب الآثار (٧٢١)، وابن خزيمة في التوحيد =

هذا سياق الحديث مع ما تيسر من الزيادات التي نبهنا عليها ومما لم يذكر:

(ص١١٩)، وأبو عوانة- كما في إتحاف المهرة (٤٥٩/٢)- والآجري في الشريعة (٨٦٤)، وابن منده في الإيمان (١٠٦٤)، والحاكم في المستدرك (٤١٤)، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٢١و٤٤)، وفي شعب الإيمان (٣٩٥) وقال البيهقي في الشعب: هذا حديث صحيح الإسناد، وقال ابن منده: هذا إسناد متصل مشهور، رواه جماعة عن البراء، وكذلك رواه عدّة عن الأعمش، وعن المنهال ابن عمرو، والمنهالُ بنُ عمرو: هو الأسدي، مولاهم، الكوفي، أخرج عنه البخاري ما تفرَد به، وزاذان أخرج عنه مسلم، وهو ثابت على رسم الجماعة، ورُوي هذا الحديث عن جابر، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وأنس بن مالك، وعائشة ﷺ ا.هـ

٢- وأخرجه الطيالسي (٧٥٣) – ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره، (٧٣٨٥) مختصرا، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٢٠) -، وعبد الرزاق في المصنف (٦٣٢٤) مختصرا، -ومن طريقه أحمد (١٨٦٢٥)، وابن خزيمة في التوحيد (٢٧٥/١)- وأبو داود (٣٢١٢ و٤٧٥٣)- ومن طريقه البيهقي في إثبات عذاب القبر (٢١)-، وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤٣) والروياني في مسنده (٣٩٢) وابن أبي حاتم، في تفسيره (٥/ ١٤٧٧)، والطبري في التفسير (٢٠٧٦٣) و (٢٠٧٦٥) و (٢٠٧٨٠) و (٢٠٧٨٧)، وفي تهذيب الآثار (٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠)، وأبو عوانة- كما في إتحاف المهرة ٤٥٩/٢- والطبراني في الأحاديث الطوال (٢٥) وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ٥٦) وابن منده في الإيمان (١٠٦٤) والحاكم في المستدرك (١٠٧-١١٧)، من طرق عن الأعمش، به.

٣- وأخرجه ابن ماجه (١٥٤٨) مختصرا وعبد الرزاق (٦٧٣٧) – وعنه أحمد (١٨٦١٤)- وعبد الله بن أحمد في السنة (١٤٤١، ١٤٤٢) والطبري في تهذيب الآثار مسند عمر (٧٢٢) والحاكم في المستدرك (١١٣) -وعنه البيهقي في إثبات عذاب القبر (٢٤)- من طريق يُونُسَ بْنِ خَبَّابٍ عن المنهال به

٤- وأخرجه ابن ماجه (١٥٤٩) والنسائي في سننه (٢٠٠١) وفي السنن الكبرى (٢١٣٩) من طريق عمرو بن قيس، عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو

٥- وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣٤٩٩) من طريق عَوْفٍ الْأَعْرَابِيِّ، عَنِ الْمِنْهَالِ به

٦- وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٧٤١٧) من طريق كامل أبي العلاء، عَنِ الْمِنْهَالِ به

٧- وأخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١٤٤٤) من طريق محمد بن سلمة بن كهيل عَنِ الْمِنْهَالِ به

٨- وأخرجه مختصراً النسائي (٢٠٠١)، وابن ماجه (١٥٤٩) من طريق عمرو بن قيس، عن المنهال، به.

٩- وأخرجه الروياني في مسنده (٣٩١) عن مُحَمَّدِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ زَاذَانَ به

١٠- وأخرجه الطبري في تهذيب الآثار (٧٢٣)، وابن الأعرابي في المعجم (٧٨٨) والبيهقي في شعب الإيمان (٣٩٦) من طريق عيسى بن المسيب، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب، به.

١١- وأخرجه أبو الجهم في جزئه (ص: ٥٥)- ومن طريقه ابن عساكر في التاريخ- من طريق سَوَّارِ بْنِ مُصْعَبٍ عن المنهال به

ما رواه ابن ماجه وأحمد من طريق مُحَمَّدِ بْنِ مَالِكٍ[١]، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ بَصُرَ بِجَمَاعَةٍ، فَقَالَ: «عَلَامَ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ؟» قِيلَ: عَلَى قَبْرٍ يَحْفِرُونَهُ. قَالَ: فَفَزِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَبَدَرَ بَيْنَ يَدَيْ أَصْحَابِهِ مُسْرِعًا حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْقَبْرِ، فَجَثَا عَلَيْهِ. قَالَ: فَاسْتَقْبَلْتُهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ لِأَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ، فَبَكَى حَتَّى بَلَّ الثَّرَى مِنْ دُمُوعِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا قَالَ: «أَيْ إِخْوَانِي لِمِثْلِ الْيَوْمِ فَأَعِدُّوا؟»[٢]

من شواهد حديث البراء:

حديث أنس رضي الله عنه:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «(إِنَّ) العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ (عَنْهُ) أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ [إِذَا انْصَرَفُوا]، أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ (لِـ) مُحَمَّدٍ ﷺ؟ (فَأَمَّا المُؤْمِنُ) فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ (قَدْ) أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الكَافِرُ - أَوِ المُنَافِقُ - (فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟) فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ» متفق عليه[٣] وفي رواية لأبي داود قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَإِنِ اللَّهُ هَدَاهُ قَالَ: كُنْتُ أَعْبُدُ اللَّهَ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَمَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ، غَيْرِهَا، فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى بَيْتٍ كَانَ لَهُ فِي النَّارِ فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا بَيْتُكَ كَانَ لَكَ فِي النَّارِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَصَمَكَ وَرَحِمَكَ، فَأَبْدَلَكَ بِهِ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ،

---

(١) محمد بن مالك هو أبو المغيرة الجوزجاني مولى البراء، قال أبو حاتم: لا بأس به، قال الألباني: واضطرب فيه ابن حبان، فذكره في كتابيه الثقات والضعفاء! وقال فيه: " كان يخطئ كثيرا، لا يجوز الاحتجاج بخبره إذا انفرد ". وقال في الأول منهما: " لم يسمع من البراء شيئا ". قلت: وقد تعقبه الحافظ بما أخرجه أحمد عقب هذا الحديث بالإسناد ذاته عن محمد بن مالك قال: " رأيت على البراء خاتما من ذهب، ...إلخ.

(٢) رواه ابن ماجه (٤١٩٥) وأحمد (١٨٦٠١) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٥١).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري (١٣٣٨، ١٣٧٤) ومسلم (٢٨٧٠) ومنه الزيادة (إذا انصرفوا).

فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأُبَشِّرَ أَهْلِي، فَيُقَالُ لَهُ: اسْكُنْ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَيَنْتَهِرُهُ فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيُقَالُ لَهُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، فَيُقَالُ لَهُ: فَمَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيَضْرِبُهُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا الْخَلْقُ غَيْرُ الثَّقَلَيْنِ»(١)

حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ [لَهُ]: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ [مُحَمَّدٍ]؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ [ذِرَاعًا]، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ، نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ: التَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»(٢)

حديث ثانٍ لأبي هريرة رضي الله عنه:

روى ابن ماجه عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ الْمَيِّتَ يَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ، فَيُجْلَسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِهِ، غَيْرَ فَزِعٍ، وَلَا مَشْعُوفٍ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ فِي الْإِسْلَامِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَصَدَّقْنَاهُ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ اللَّهَ؟ فَيَقُولُ: مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَرَى اللَّهَ، فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ

---

(١) سنن أبي داود (٤٧٥١) وهو في مسند أحمد (١٣٤٤٧) وسنده حسن.

(٢) رواه الترمذي (١٠٧١) وقال حديث حسن غريب ا.هـ وصححه ابن حبان (٣١١٧) ومنه الزيادات.

إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللَّهُ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا، وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ، وَيُقَالُ لَهُ: عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مُتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَيُجْلَسُ الرَّجُلُ السُّوءُ فِي قَبْرِهِ، فَزِعًا مَشْعُوفًا، فَيُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيُقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا، فَقُلْتُهُ، فَيُفْرَجُ لَهُ قِبَلَ الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللَّهُ عَنْكَ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا، يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ، عَلَى الشَّكِّ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مُتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى»[1]

حديث ثالث لأبي هريرة رضي الله عنه:

وفي صحيح ابن حبان عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ إِنَّهُ يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ [مُدْبِرِينَ]، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا، كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ، وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ شِمَالِهِ، وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ، فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ، فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، فَتَقُولُ فَعَلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، فَيُقَالُ لَهُ: اجْلِسْ فَيَجْلِسُ، وَقَدْ مُثِّلَتْ لَهُ الشَّمْسُ وَقَدْ أُدْنِيَتْ لِلْغُرُوبِ، فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَا تَقُولُ فِيهِ، وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ، فَيَقُولُونَ: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ، أَخْبِرْنِي عَمَّا نَسْأَلُكَ عَنْهُ، أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَا تَقُولُ فِيهِ، وَمَاذَا تَشْهَدُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَيُقَالُ لَهُ: عَلَى ذَلِكَ حَيِيتَ وَعَلَى ذَلِكَ مِتَّ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٦٨)

مَقْعَدُكَ مِنْهَا وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا لَوْ عَصَيْتَهُ، فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، وَيُعَادُ الْجَسَدُ لِمَا بَدَأَ مِنْهُ، فَتَجْعَلُ نَسْمَتُهُ فِي النَّسَمِ الطَّيِّبِ وَهِيَ طَيْرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ» قَالَ: [وَقَالَ أَبُو الْحَكَمِ[1]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَيُقَالُ لَهُ: «أَرْقِدْهُ رَقْدَةَ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَعَزُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، أَوْ أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ»] «وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، لَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ، ثُمَّ أُتِيَ عَنْ يَمِينِهِ، فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ، ثُمَّ أُتِيَ عَنْ شِمَالِهِ، فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ، ثُمَّ أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ، فَيُقَالُ لَهُ: اجْلِسْ، فَيَجْلِسُ خَائِفًا مَرْعُوبًا، فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَاذَا تَقُولُ فِيهِ؟ وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: أَيُّ رَجُلٍ؟ فَيُقَالُ: الَّذِي كَانَ فِيكُمْ، فَلَا يَهْتَدِي لِاسْمِهِ حَتَّى يُقَالَ لَهُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: مَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ قَالُوا قَوْلًا، فَقُلْتُ كَمَا قَالَ النَّاسُ، فَيُقَالُ لَهُ: عَلَى ذَلِكَ حَيِيتَ، وَعَلَى ذَلِكَ مِتَّ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، فَيَزْدَادُ حَسْرَةً وَثُبُورًا، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: ذَلِكَ مَقْعَدُكَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهِ لَوْ أَطَعْتَهُ فَيَزْدَادُ حَسْرَةً وَثُبُورًا، ثُمَّ يُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، فَتِلْكَ الْمَعِيشَةُ الضَّنْكَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ: ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه]»[2]

حديث عائشة رضي الله عنها:

وفي المسند عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ ذَكْوَانَ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: جَاءَتْ يَهُودِيَّةٌ، فَاسْتَطْعَمَتْ عَلَى بَابِي، فَقَالَتْ: أَطْعِمُونِي، أَعَاذَكُمُ اللَّهُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَمِنْ فِتْنَةِ عَذَابِ الْقَبْرِ. قَالَتْ: فَلَمْ أَزَلْ أَحْبِسُهَا حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ

---

(١) هو أبو الحكم ، مولى بنى ليث . روى له النسائي ، وابن ماجة وهو مجهول تفرد عنه محمد بن عمرو. وهو هنا متابع.

(٢) رواه ابن حبان (٣١١٣) والحاكم (١٤٠٣)، ومنه الزيادات.

اللَّهِ، مَا تَقُولُ هَذِهِ الْيَهُودِيَّةُ؟ قَالَ: «وَمَا تَقُولُ؟» قُلْتُ: تَقُولُ: أَعَاذَكُمُ اللَّهُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَمِنْ فِتْنَةِ عَذَابِ الْقَبْرِ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ مَدًّا يَسْتَعِيذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَمِنْ فِتْنَةِ عَذَابِ الْقَبْرِ،(١) ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا فِتْنَةُ الدَّجَّالِ: فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلَّا قَدْ حَذَّرَ أُمَّتَهُ، وَسَأُحَذِّرُكُمُوهُ تَحْذِيرًا لَمْ يُحَذِّرْهُ نَبِيٌّ أُمَّتَهُ، إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَاللَّهُ ﷻ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ. فَأَمَّا فِتْنَةُ الْقَبْرِ: فَبِي تُفْتَنُونَ، وَعَنِّي تُسْأَلُونَ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أُجْلِسَ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَزِعٍ، وَلَا مَشْعُوفٍ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: فِي الْإِسْلَامِ؟ فَيُقَالُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﷻ، فَصَدَّقْنَاهُ، فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللَّهُ ﷻ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، وَيُقَالُ: عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السَّوْءُ، أُجْلِسَ فِي قَبْرِهِ فَزِعًا مَشْعُوفًا، فَيُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيُقَالُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا، فَقُلْتُ كَمَا قَالُوا، فَتُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللَّهُ ﷻ عَنْكَ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، كُنْتَ عَلَى الشَّكِّ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُعَذَّبُ»(٢).

---

(١) هذا القدر من الحديث في الاستعاذة من عذاب القبر جاء في صحيح البخاري (١٠٤٩، ١٠٥٥، ١٣٧٢، ٦٣٦٦) ومسلم (٥٨٤، ٩٠٣) عَنْ عَائِشَةَ ﵂: أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا، فَذَكَرَتْ عَذَابَ القَبْرِ، فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكِ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَذَابِ القَبْرِ، فَقَالَ: «نَعَمْ، عَذَابُ القَبْرِ حَقٌّ» قَالَتْ عَائِشَةُ ﵂: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدُ صَلَّى صَلاَةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ.

(٢) رواه أحمد (٢٥٠٨٩) وهو في صحيح الترغيب (٣٥٥٧)

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

وفي المسند عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِنَازَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَإِذَا الْإِنْسَانُ دُفِنَ فَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، جَاءَهُ مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِطْرَاقٌ فَأَقْعَدَهُ، قَالَ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: صَدَقْتَ ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ، فَيَقُولُ: هَذَا كَانَ مَنْزِلُكَ لَوْ كَفَرْتَ بِرَبِّكَ، فَأَمَّا إِذْ آمَنْتَ فَهَذَا مَنْزِلُكَ، فَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيُرِيدُ أَنْ يَنْهَضَ إِلَيْهِ فَيَقُولُ لَهُ: اسْكُنْ وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا أَوْ مُنَافِقًا يَقُولُ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولَ: لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا، فَيَقُولُ: لَا دَرَيْتَ، وَلَا تَلَيْتَ، وَلَا اهْتَدَيْتَ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: هَذَا مَنْزِلُكَ لَوْ آمَنْتَ بِرَبِّكَ، فَأَمَّا إِذْ كَفَرْتَ بِهِ فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ أَبْدَلَكَ بِهِ هَذَا، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ، ثُمَّ يَقْمَعُهُ قَمْعَةً بِالْمِطْرَاقِ يَسْمَعُهَا خَلْقُ اللَّهِ كُلُّهُمْ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ» فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَحَدٌ يَقُومُ عَلَيْهِ مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِطْرَاقٌ إِلَّا هِيلَ -أي فقد عقله- عِنْدَ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] (١)

فصل في ذكر ضمة القبر:

وفي الأحاديث ذكر (الفتنة في القبور) وهي: الامتحان والاختبار للميت، حين يسأله الملكان إذا وُضِعَ في قبره، يأتيه الملكان، يقال لأحدهما المنكر ويقال للآخر النكير، فيسألانه. ويكون قبل السؤال ما أخبرنا عنه النبي ﷺ أنه ما من أحد يوضع في قبره إلا ويضمُّه ضَمّةً فلا ينجو منها أحدٌ، **وفي ذلك أحاديث:**

---

(١) رواه الإمام أحمد بسند حسن (١١٠٠٠) وهو في صحيح الترغيب (٣٥٥٦).

فصل في ذكر ما ورد من الأحاديث في ضمة القبر:

(١) في سنن النسائي بسند صحيح عن نافع عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ الْمَلَائِكَةِ لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ**»[١]

(٢) وفي صحيح ابن حبان ومستدرك الحاكم عن ابْن فُضَيْلٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْرَهُ - يَعْنِي سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ - فَاحْتَبَسَ، فَلَمَّا خَرَجَ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا حَبَسَكَ؟ قَالَ: «**ضُمَّ سَعْدٌ فِي الْقَبْرِ ضَمَّةً، فَدَعَوْتُ اللَّهَ فَكَشَفَ عَنْهُ**»[٢]

---

(١) رواه النسائي (٢٠٥٥) قال: أَخْبَرَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَنْقَزِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، به

- ورواه البزار كما في المسند (البحر الزخار) (١٢/ ١٥٢) رقم (٥٧٤٦) قال: حَدَّثنا عَبد الأعلى بن حماد، حَدَّثنا داود بن عَبد الرحمن، حَدَّثنا عُبَيد اللَّهِ بْنِ عُمَر، عَن نافعٍ، عَن ابْنِ عُمَر: قَالَ: قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: لَقَدْ هَبَطَ يَوْمَ مَاتَ سَعْد بْنُ مُعَاذٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِلَى الأَرْضِ، لَمْ يَهْبَطُوا قَبْلَ ذَلِكَ، وَلَقَدْ ضَمَّه القبرُ ضَمَّةً. ثُمَّ بَكَى نَافِعٌ.
- قال البزار: وَهَذَا الْحَدِيثُ لا نعلَمُ رَوَاهُ عَن عُبَيد اللَّهِ، (عَن نافعٍ) عَن ابْنِ عُمَر إلاَّ دَاوُدُ الْعَطَّارُ وَرَوَاهُ غَيْرُهُ، عَن عُبَيد اللَّهِ، عَن نافعٍ، مُرسَلاً ا.هـ
- قلت: قوله لم يروه إلا داود مراده بهذا اللفظ. فقد روى البزار رواية العنقزي المتقدمة عند النسائي قبل هذا برقم (٥٧٣٧) وقال: وَهَذَا الْحَدِيثُ لاَ نعلمُهُ يُرْوَى بِهَذَا اللَّفْظِ إلاَّ، عَن ابْنِ إِدْرِيسَ، عَن عُبَيد اللَّهِ ا.هـ
- والوجه المرسل الذي أشار إليه رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ط دار صادر (٣/ ٤٣٠) قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ قَالَ: " بَلَغَنِي أَنَّهُ شَهِدَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَمْ يَنْزِلُوا إِلَى الْأَرْضِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَقَدْ ضُمَّ صَاحِبُكُمْ ضَمَّةً ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ**».

(٢) صحيح ابن حبان (١٥/ ٥٠٦). مستدرك الحاكم (٣/ ٢٢٨) رقم (٤٩٢٤) وإسناده ضعيف، قال ابن الجنيد كما في سؤالاته: قال يحي بن معين: إن جريرا، وابن فضيل، وهؤلاء، سمعوا من عطاء بن السائب بأخرة. انظر: المسند المصنف المعلل (١٦/ ٤٠٧)

(٣) وعَنْ عَائِشَةَ ﵂ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ لِلْقَبْرِ لَضَغْطَةً لَوْ نَجَا مِنْهَا أَحَدٌ لَنَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ**»(١)

(٤) وفي مسند أحمد بسند حسن عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ ﵄، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ حِينَ تُوُفِّيَ، قَالَ: فَلَمَّا صَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَوُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَسُوِّيَ عَلَيْهِ، سَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَسَبَّحْنَا طَوِيلًا، ثُمَّ كَبَّرَ فَكَبَّرْنَا، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ سَبَّحْتَ؟ ثُمَّ كَبَّرْتَ؟ قَالَ: «**لَقَدْ تَضَايَقَ عَلَى هَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ قَبْرُهُ حَتَّى فَرَّجَهُ اللَّهُ عَنْهُ**»(٢)

(٥) وقال الطبراني: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مِقْلَاصٍ، ثنا أَبِي، ثنا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، أَنَّ أَبَا النَّضْرِ حَدَّثَهُ، **عَنْ زِيَادٍ مَوْلَى ابْنِ عَيَّاشٍ**، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ

---

(١) رواه أحمد في المسند ط الرسالة (٤٠/ ٣٢٧) ٢٤٢٨٣ قال: حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ شُعْبَةَ، حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَابْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ نَافِعٍ، قَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ: **عَنْ إِنْسَانٍ**، عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: فذكره. قال محققوا المسند: (٤٠/ ٣٢٧): ومحمد بن جعفر من أوثق الناس بشعبة، إلا أنه أبهم الراوي عن عائشة، وقد جاء مصرحاً به فيما رواه كلّ من: آدم بن أبي إياس- فيما أخرجه الطبري في "تهذيب الآثار" (٨٩٧) (مسند عمر بن الخطاب)، والبيهقي في "إثبات عذاب القبر" (١٠٦) - وعلي بن الجعد - كما في "الجعديات" (١٥٦٦) - وعبد الرحمن بن زياد ويحيى بن أبي بكير - فيما أخرجه الطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٢٧٤) و (٢٧٥) - وأبو عائشة - فيما أخرجه البيهقي في "إثبات عذاب القبر" (١٠٧) - وعبد الملك بن الصباح- فيما أخرجه ابن حبان (٣١١٢) - وعلي بن عاصم- فيما أخرجه الحارث بن أبي أسامة- سبعتهم عن شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن نافع عن امرأة ابن عمر صفية، عن عائشة، به، **وهو الصواب** فيما قال الدارقطني في "العلل" قالوا: وأخرجه الطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٢٧٦)، والبيهقي في "إثبات عذاب القبر" (١٠٨) من طريق سفيان الثوري، عن سعد بن إبراهيم، عن نافع، عن ابن عمر ا.هـقلت: الراوي له عن سفيان الثوري عندهما هو أبو حذيفة واسمه موسى بن مسعود وفي روايته عن الثوري ضعف. قال الإمام أحمد كأن سفيان الذى يحدث عنه أبو حذيفة ليس هو سفيان الثوري الذى يحدث عنه الناس. والحديث من طريقه رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ١٧٣) ثم قال: كَذَا رَوَاهُ أَبُو حُذَيْفَةَ عَنِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ سَعْدٍ، وَرَوَاهُ غُنْدَرٌ وَغَيْرُهُ عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ سَعْدٍ، عَنْ نَافِعٍ عَنْ (إنسان)، عَنْ عَائِشَةَ، ﵂ مِثْلَهُ ا.هـوقال الحافظ ابن رجب في أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور (ص: ٥٧): وروى الثوري عن سعد عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ وليس بالمحفوظ ا.هـ

(٢) مسند أحمد (٢٣/ ١٥٨)

رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ دُفِنَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى قَبْرِهِ قَالَ: «**لَوْ نَجَا أَحَدٌ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ لَنَجَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَلَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً ثُمَّ رُخِّيَ عَنْهُ**»(١)

(٦) وقال أيضا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، نا خَالِدُ بْنُ خِدَاشٍ، ثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِي النَّضْرِ، عَنْ زِيَادٍ **مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ**، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، فذكره. قال: لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي النَّضْرِ إِلَّا عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، تَفَرَّدَ بِهِ ابْنُ وَهْبٍ (٢)"

(٧) وقال أيضا: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عُثْمَانَ بْنِ صَالِحٍ، ثنا حَسَّانُ بْنُ غَالِبٍ، ثنا ابْنُ لَهِيعَةَ، عَنِ أَبِي النَّضْرِ الْمَدِينِيِّ، عَنْ زِيَادٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَاسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ تُوُفِّيَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَقَفَ عَلَى قَبْرِهِ، ثُمَّ اسْتَرْجَعَ، ثُمَّ قَالَ: «**لَوْ نَجَا مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ أَحَدٌ لَنَجَا سَعْدٌ لَقَدْ ضَغَطَهُ، ثُمَّ رُخِّيَ عَنْهُ**»(٣)

(٨) وَأخرجه الْحَكِيم التِّرْمِذِيّ حَدثنَا سُفْيَان – يعني ابن وكيع- حدثنا ابْن وهب عَن عَمْرو بن الْحَارِث عَن زِيَاد عَن ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَالَ، قَالَ رَسُول الله ﷺ «**لَو أفلت أحد من فتْنَة الْقَبْر أَو ضمه لنجا سعد وَلَقَد ضم ضمة ثمَّ رخى عَنهُ**»(٤).

قلت: هكذا هو في كل الأسانيد المتقدمة (عن ابن عباس) – بالموحدة والسين المهملة-رضي الله عنهما. والصواب (عَنِ ابْنِ عَيَّاشٍ؛ – بالمثناة التحتانية والشين المعجمة-):

(٩) كما رواه يعقوب بن سفيان الفسوي فقال: حَدَّثَنِي أَبُو صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنِي اللَّيْثُ قَالَ: حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن أَبِي النَّضْرِ عَنْ زِيَادٍ مَوْلَى ابْنِ عَيَّاشٍ عَنِ ابْنِ عَيَّاشٍ؛ رضي الله عنه: أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَعَدَ عَلَى قَبْرِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، ثُمَّ اسْتَرْجَعَ فَقَالَ: «**لَوْ نَجَا أَحَدٌ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ أَوْ أَلَمِهِ أَوْ ضَمِّهِ لَنَجَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَلَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً، ثُمَّ رُوِّحَ عَنْهُ**».(٥)

---

(١) المعجم الكبير (١٠/ ٣٣٤) رقم (١٠٨٢٧)

(٢) المعجم الأوسط (٦/ ٣٤٩) رقم (٦٥٩٣)

(٣) المعجم الكبير (١٢/ ٤٣٢) رقم (١٢٩٧٥)

(٤) نوادر الأصول (٧٢٧)

(٥) المعرفة والتاريخ (١/ ٢٤٧) – ومن طريقه ابن عساكر في التاريخ (٢٣٦/١٩)-. ومن طريق يعقوب رواه البيهقي في إثبات عذاب القبر (١١٢) لكن وقع في المطبوع: (عَنْ زِيَادِ بْنِ أَبِي عَيَّاشٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ).

(١٠)وفي المسند -بسند ضعيف- عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جِنَازَةٍ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ قَعَدَ عَلَى شَفَتِهِ، فَجَعَلَ يُرَدِّدُ بَصَرَهُ فِيهِ ثُمَّ قَالَ: «**يُضْغَطُ الْمُؤْمِنُ فِيهِ ضَغْطَةً تَزُولُ مِنْهَا حَمَائِلُهُ، وَيُمْلَأُ عَلَى الْكَافِرِ نَارًا**»، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ عِبَادِ اللَّهِ؟ الْفَظُّ الْمُسْتَكْبِرُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ؟ الضَّعِيفُ الْمُسْتَضْعَفُ ذُو الطِّمْرَيْنِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّ اللَّهُ قَسَمَهُ**»(١)

(١١) وروى الطحاوي بسند ضعيف جدا عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عُمَرَ ﷺ، قَالَ لِأُمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ﷺ وَهِيَ تَبْكِي عَلَيْهِ: انْظُرِي مَا تَقُولِينَ يَا أُمَّ سَعْدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**دَعْهَا يَا عُمَرُ، كُلُّ نَائِحَةٍ مُكَذَّبَةٌ إِلَّا أُمَّ سَعْدٍ، مَا قَالَتْ مِنْ خَيْرٍ، فَلَنْ تَكْذِبَ**» ثُمَّ احْتُمِلَ فَوُضِعَ فِي قَبْرِهِ، فَتَغَيَّرَ لَوْنُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ كُنْتَ لَتَقْطَعُنَا، يَعْنُونَ فِي السُّرْعَةِ، قَالَ: «**خَشِيتُ أَنْ تَسْبِقَنَا الْمَلَائِكَةُ إِلَى غُسْلِهِ كَمَا سَبَقْتُنَا إِلَى غُسْلِ حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي عَامِرٍ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، رَأَيْنَا لَوْنَكَ قَدْ تَغَيَّرَ حِينَ قَعَدْتَ عَلَى الْقَبْرِ، قَالَ: «**ضُمَّ سَعْدٌ فِي الْقَبْرِ ضَمَّةً، وَلَوْ أُعْفِيَ مِنْهَا أَحَدٌ، أُعْفِيَ مِنْهَا سَعْدٌ**»(٢)

---

(١) مسند أحمد (٣٨/ ٤٤٤) بسند ضعيف.

(٢) شرح مشكل الآثار (١٠/ ٣٦٩)،

- ورواه الدارقطني كما في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (٢/ ٣٦١) للسيوطي فقال: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن عَبْد الله بْن ميسر حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن سِنَان الْقطَّان حَدَّثَنَا يَعْقُوب بْن مُحَمَّد حَدَّثَنَا صَالِح بْن مُحَمَّد بْن صَالِح عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَعْدِ بْنِ عَامِرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُول الله «**اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِوَفَاةِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَنَزَلَ الأَرْضَ لِشُهُودِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ مَا نَزَلُوهَا قَبْلَهَا وَاسْتَبْشَرَ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَلَقَدْ ضُمَّ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ضَمَّةً يَعْنِي فِي قَبْرِهِ وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنْهَا مُعَافًى عُوفِيَ مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ**». قال تَفَرّد بِهِ مُحَمَّد بْن صَالِح. قَالَ ابْن حبَان: يرْوى الْمَنَاكِير عَن الْمَشَاهِير لَا يجوز الِاحْتِجَاج بِهِ. ا.هـ
- ورواه السنن الكبرى للنسائي (٧/ ٣٣٨) مختصرا (٨١٦٦) أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَامِرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ، وَأَخْبَرَنَا هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللهِ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَامِرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ سَعْدًا، حَكَمَ عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ: أَنْ يُقَتَّلَ مِنْهُمْ كُلُّ مَنْ جَرَتْ عَلَيْهِ الْمَوَاسِي، وَأَنْ تُسْبَى ذَرَارِيُّهُمْ، وَأَنْ تُقَسَّمَ أَمْوَالُهُمْ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**لَقَدْ حَكَمَ فِيهِمْ حُكْمَ اللهِ الَّذِي حَكَمَ بِهِ فَوْقَ سَبْعِ سَمَوَاتِهِ**»
- وفي المسند المصنف المعلل (٩/ ١٣٢): قال البزار: هذا الحديث قد روي عن النبي ﷺ من غير وجه، وأعلى من روى ذلك عن النبي ﷺ سعد، ولا نعلم له عن سعد طريقا إلا هذا الطريق، إلا حديثا رواه عياض =

(١٢) وقال ابن سعد: أَخْبَرَنَا كَثِيرُ بْنُ هِشَامٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ بُرْقَانَ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ وَهُوَ قَائِمٌ عِنْدَ قَبْرِ سَعْدٍ: «**لَقَدْ ضُغِطَ ضَغْطَةً، أَوْ هُمِزَ هُمَزَةً لَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا بِعَمَلٍ لَنَجَا مِنْهَا سَعْدٌ**»(١)

(١٣) وقال أيضا: أَخْبَرَنَا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو مَعْشَرٍ، عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ قَالَ: لَمَّا دَفَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَعْدًا قَالَ: «**لَوْ نَجَا أَحَدٌ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ لَنَجَا سَعْدٌ، وَلَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً اخْتَلَفَتْ مِنْهَا أَضْلَاعُهُ مِنْ أَثَرِ الْبَوْلِ**»(٢) وهذا مرسل ضعيف الإسناد.

(١٤) ومثله في الضعف ما رواه البيهقي في إثبات عذاب القبر عَنْ ابن إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِي أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ سَأَلَ بَعْضَ أَهْلِ سَعْدٍ: مَا بَلَغَكُمْ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَا؟ فَقَالُوا: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: «**كَانَ يُقَصِّرُ فِي بَعْضِ الطُّهُورِ مِنَ الْبَوْلِ**»(٣)

(١٥) وقال أبو بكر بن أبي داود: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: ثنا سَعْدٌ، قَالَ: ثنا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: تُوُفِّيَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ النَّبِيِّ ﷺ فَخَرَجَ بِجِنَازَتِهَا، وَخَرَجْنَا مَعَهُ، فَرَأَيْنَاهُ كَئِيبًا حَزِينًا، ثُمَّ دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَهَا، فَخَرَجَ

بن عبد الرحمن بن سعد، عن أبيه، عن جده، ولم يتابع عليه. «مسنده» (١٠٩١). ـ

- وقال أبو حاتم الرازي: ذاك خطأ، ومحمد بن صالح شيخ، لا يعجبني حديثه. «علل الحديث» (٩٧١). ـ
- وقال الدارقطني: حدث به سعد بن إبراهيم، واختلف عنه؛ فرواه محمد بن صالح التمار، عن سعد بن إبراهيم، عن عامر بن سعد، عن سعد. وخالفه عياض بن عبد الرحمن، فرواه عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه، عن جده عبد الرحمن بن عوف. وكلاهما وهم. وخالفهما شعبة، فرواه عن سعد، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن أبي سعيد الخدري، وهو الصواب. «العلل» (٦٠٥).
- وقال البخاري في التاريخ الكبير (٤/ ٢٩١) ٢٨٦٣ - صالح بْن مُحَمَّد بْن صالح بْن دينار التمار الْمَدَنِيّ عَنْ أَبِيه عَنْ سَعْد بْن إِبْرَاهِيم عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - فِي سَعْد بْن معاذ، وخالفه شُعْبَة عَنْ سَعْد عَنْ أَبِي أمامة ابن سهل عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهَذَا أَصَحُّ ا.هـ
- قلت: وحديث شعبة في الصحيحين.

(١) الطبقات الكبرى ط دار صادر (٣/ ٤٣١).

(٢) الطبقات الكبرى ط دار صادر (٣/ ٤٣٠).

(٣) إثبات عذاب القبر (١١٤)

مُلْتَمِعَ اللَّوْنِ، فَسَأَلْنَاهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «إِنَّهَا كَانَتِ امْرَأَةً مِسْقَامًا، فَذَكَرْتُ شِدَّةَ الْمَوْتِ، وَضَغْطَةَ الْقَبْرِ، فَدَعَوْتُ اللَّهَ، فَخَفَّفَ عَنْهَا»(١)

---

(١) كتاب البعث لابن أبي داود (٨) ومن طريقه: أبو القاسم الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (٣٢٣)، وابن عساكر في المعجم (١٤٢) وقال: حسن غريب.

- قال السيوطي كما في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (٢/ ٣٦١) وَأخرجه أَبُو عَوَانَة فِي صَحِيحه قَالَ كتب إِلَيَّ إِسْحَاق بْن إِبْرَاهِيم (بْن) شَاذان -كذا والصواب حذف كلمة ابن- حَدَّثَنَا سَعِيد (كذا وصوابه سعد) بْن الصَّلْت ... بِهِ. وعزاه الحافظ في إتحاف المهرة (٢/ ٦٠) إلى أبي عوانة فِي الْجَنَائِزِ: كَتَبَ إِلَيَّ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، بِهِ. عَنْ أَنَسٍ وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ.
- قلت: إسحاق هذا هو الملقب شاذان، وهو سبط سعد بن الصلت القاضي. قال الذهبي: ذكره ابْنُ حِبّان فِي " الثِّقَاتِ " وَقَالَ: مَاتَ لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وستين. ولي جده قضاء شيراز، وهو من طبقة وكيع. وقال ابن أبي حاتم: كتب إلي وإلى أبي، وهو صدوق. انظر: تاريخ الإسلام ت بشار (٦/ ٢٩٤). وقال الحافظ في لسان الميزان ت أبي غدة (٢/ ٣٣): له مناكير وغرائب مع أن ابن حبان ذكره في الثقات فقال: يروي عن عُبَيد الله بن موسى وجده، يعني لأمه - سعد بن الصلت وعنه عبد الكبير الخطابي، وَغيره. مات يوم الأحد لسبع بقين من جمادي الآخرة سنة سبع وستين ومئتين. قلت: وقد جمع ابن منده غرائبه ووقعت لنا من طريقه ا.هوقد ذكره ابن أبي حاتم فنسبه وقال: إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن عمر بن زيد النهشلي وقال: هو صدوق.
- **وسعد هو ابن الصلت** ذكره ابن حبان في ثقاته وقال: يروي عن الأعمش، وإسماعيل بن أبي خالد. روى عنه ابن ابنته إسحاق بن إبراهيم شاذان. رُبَّما أغرب ا.هوذكره ابن أبي حاتم (٤/٣٤) ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا وقال الذهبي في تاريخ الإسلام (٤/ ١١٠٧): سَأَلَ عَنْهُ سُفْيان الثَّوْريّ فقال: ما فعل سعْد؟ قَالُوا: وُلّي قضاء شيراز. قَالَ: دُرّة وقع في الحُشّ. قال الذهبي: قلت: ما رَأَيت لأحدٍ فيه جرحا، فمحله الصدق ا.هـ وعبارته في سير أعلام النبلاء (٩/ ٣١٨): قُلْتُ: هُوَ صَالِحُ الحَدِيْثِ، وَمَا عَلِمتُ لأَحَدٍ فِيْهِ جَرْحاً ا.هـ
- ومن فوقه معروفون، لكن أبو سفيان وهو طلحة بن نافع ذكر أبو حاتم أن سماعه من أنس محتمل كما في جامع التحصيل. وقال ابن حبان في الثقات (٤/ ٣٩٣): روى عَنهُ الْأَعْمَش وَعتبَة بن أبي حَكِيم وَالنَّاس وَكَانَ الْأَعْمَش يُدَلس عَنهُ ا.هوقال في مشاهير علماء الأمصار (ص: ١٧٥): وكان يهم في الشيء بعد الشيء ا.هـ فيتوقف في الجزم بسماعه من أنس
- والحديث رواه الحاكم (٦٨٤٥) من طريق شاذان به ووقع في سنده (سعيد) بن الصلت والصواب سعد.
- ورواه أبو عوانة -كما في اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (٢/ ٣٦١)- والطبراني في المعجمين الكبير (٤٣٣/٢٢) و الأوسط (٥٨١٠) قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَضْرَمِيُّ كلاهما قالا (أبو عوانة والحضرمي واللفظ له) ثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: ثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سُلَيْمَانَ الرَّازِيُّ، عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ سَلَامٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ مَسْرُوقٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: لَمَّا مَاتَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ظَهَرَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ =

ﷺ حُزْنٌ، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْنَا مِنْكَ مَا لَمْ نَرَ قَالَ: «**ذَكَرْتُ زَيْنَبَ، وَضَعْفَهَا، وَضَغْطَةَ الْقَبْرِ، لَقَدْ هُوِّنَ عَلَيْهَا، وَعَلَى ذَلِكَ لَقَدْ ضَغَطَهَا ضَغْطَةً بَلَغَتِ الْخَافِقَيْنِ**»

- وقال الطبراني: لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ مَسْرُوقٍ إِلَّا زَكَرِيَّا بْنُ سَلَامٍ، تَفَرَّدَ بِهِ إِسْحَاقُ بْنُ سُلَيْمَانَ.
- قلت: إسحاق ثقة، وشيخه زكريا ذكره البخاري في التاريخ الكبير (٤٢٣/٣ و٤٢٤) ومسلم في الكنى (٩٠٣/٢) وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٥٩٨/٣) ولم يذكروا فيه جرحا ولا تعديلا. وقال الذهبي في تاريخ الإسلام (٣/ ٨٦٥): صَدُوقٌ ا.هـ وقال الذهبي: .. فِي نَفْسِي مَنْ لَقِيَ إِسْحَاقَ بْنَ سُلَيْمَانَ لَهُ ا.هـ قلت: أثبت سماعه منه البخاري في التاريخ ومسلم في الكنى.
- وسعيد بن مسروق هو والد الثوري ثقة، وفي سماعه من أنس نظر فقد قال القزويني في التدوين في أخبار قزوين (٣/ ٤٧): من أتباع التابعين ويقال إنه رأى أنس بْن مالك وابن أبي أوفى ولم يسمع منهما ا.هـ
- وقال الحافظ ابن رجب في أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور (ص: ٥٨): وزكريا قيل إنه مجهول وسعيد بن مسروق لم يدرك أنسا فهو منقطع ا.هـ
- ورواه المُخَلِّص في المخلصيات (١/ ٢٠٦) رقم (٢٤٩)-ومن طريقه الضياء في المختارة (٢١٦٢)- وابن شاهين كما في اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (٢/ ٣٦٠) للسيوطي قالا: حدثنا يحيى بنُ محمدٍ: حدثنا محمدُ بنُ عليِّ بنِ الحسنِ بنِ شقيقٍ المروزيُّ قالَ: سمعتُ أبي قالَ: أخبرنا أبوحمزةَ، عن سليمانَ الأعمشِ، عن سليمانَ، عن أنسٍ قالَ: تُوفيتْ زينبُ ابنتُ رسولِ اللهِ ﷺ، وكانَت امرأةً مِسْقامةً، فتبِعَها رسولُ اللهِ ﷺ [فساءَنا حالُه]، فلمَّا دخلَ القبرَ التمعَ وجهُهُ صفرةً، ثم أسفَرَ وجهُهُ، فقُلنا: يا رسولَ اللهِ، رأَينا مِنكَ أمراً ساءَنا، فلمَّا دخلتَ القبرَ التمَعَ وجهُكَ صفرةً ثم أسفَرَ وجهُكَ، فمِمَّ ذاكَ؟ قالَ: «**ذكرتُ ضعفةَ بنتي وشدَّةَ عذابِ القبرِ، فأُتيتُ فأُخبرتُ أنَّه قد خُفِّفَ عنها، ولقد ضُغِطَتْ ضغطةً سمعَ صوتَها ما بينَ الخافِقينِ**». قلت: وشيخ الأعمش سليمان هو ابن المغيرة ولم يسمع من أنس.
- وقال الدارقطني في العلل (١٢/ ٢٥١): يرويه الأعمش، واختلف عنه؛
  - فرواه سعد بن الصلت، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن أنس.
  - **وخالفه حبيب** بن خالد الأسدي، رواه عن الأعمش، عن عبد الله بن المغيرة، عن أنس.
  - **وَرَوَاهُ أَبُو حَمْزَةَ السُّكَّرِيُّ**، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ سليمان، عن أنس.
  - **وقال مسلم بن الحجاج** في هذا الحديث: عن ابن شقيق، عن أبيه، عن أبي حمزة، عن الأعمش، عن سليمان بن المغيرة، عن أنس. **والحديث مضطرب عن الأعمش** ا.هـ

(١٦) وروى إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَجَّاجِ السَّامِيُّ- بالمهملة- قال ثنا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى عَلَى صَبِيٍّ أَوْ صَبِيَّةٍ فَقَالَ: «**لَوْ كَانَ نَجَا أَحَدٌ مِنْ ضَمَّةِ الْقَبْرِ لَنَجَا هَذَا الصَّبِيُّ**»(١)

(١٧) قال الذهبي رحمه الله: هَذِهِ الضَّمَّةُ لَيْسَتْ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ فِي شَيْءٍ، بَلْ هُوَ أَمْرٌ يَجِدُهُ المُؤْمِنُ، كَمَا يَجِدُ أَلَمَ فَقْدِ وَلَدِهِ وَحَمِيْمِهِ فِي الدُّنْيَا، وَكَمَا يَجِدُ مِنْ أَلَمِ مَرَضِهِ، وَأَلَمِ خُرُوْجِ نَفْسِهِ، وَأَلَمِ سُؤَالِهِ فِي قَبْرِهِ وَامْتِحَانِهِ، وَأَلَمِ تَأَثُّرِهِ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ، وَأَلَمِ قِيَامِهِ مِنْ

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ١٤٦) وأبو يعلى كما في -المطالب العالية- وعنه ابن عدي في الكامل (ترجمة ثمامة)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (١٨٢٤) كلهم من طريق إبراهيم به وقال الطبراني: لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ ثُمَامَةَ إِلَّا حَمَّادٌ ا.هـ وتابعه جماعة منهم:

- وكيع: أخرجه عبد الله بن أحمد (رقم: ١٤٣٤) حدثني أبي، حدثنا وكيع به.
- وتابعه أيضا: المؤمل بن إسماعيل والعلاء بن عبد الجبار - كما في العلل لابن أبي حاتم والمختارة للمقدسي (٢٠١/٥) -.
- وتابعه أيضا حرمي بن عمارة وسعيد بن عاصم اللخمي، ذكره عنهما الدَّارَقطني في العلل – كما في المختارة (٢٠١/٥) للضياء المقدسي.
- وخالفهم التبوذكي أبو سلمة فرواه عن حماد عن ثمامة مرسلا. رواه عنه أبو حاتم كما في العلل لابنه (١٠٣١)
- وتابعه أبو عمر الحوضي ووكيع – يعني في رواية عنه- فيما ذكره الدارقطني وصحح إرساله أبو حاتم والدارقطني.
- وقال الحافظ ابن رجب في أهوال القبور: وقد اختُلِفَ فيه على حمادٍ،
- فرواه جماعةٌ عن ثمامةَ مرسلاً. والمرسلُ هو الصحيحُ، عند أبي حاتمٍ الرازي، والدارقطنيِّ ا.هـ
- واختلف فيه على وكيع أيضا فقد رواه الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ١٢١) رقم (٣٨٥٨) فقال: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ التُّسْتَرِيُّ، ثنا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، ثنا وَكِيعٌ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَنَسٍ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ ﷺ، أَنَّ صَبِيًّا دُفِنَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ أَفْلَتَ أَحَدٌ مِنْ ضَمَّةِ الْقَبْرِ لَأَفْلَتَ هَذَا الصَّبِيُّ**»
- قال الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٥/ ١٩٦): ولعل رواية ثمامة هذه عن أنس أرجح من روايته عن البراء، فقد قال ابن عدي: " ثمامة بن عبد الله أرجو أنه لا بأس به، وأحاديثه قريبة من غيره وهو صالح فيما يرويه عن أنس عندي ". قلت: وقد احتج به الشيخان وغيرهما، ووثقه أحمد والنسائي وسواهما. وحماد بن سلمة ثقة من رجال مسلم. والله أعلم ا.هـ

قَبْرِهِ، وَأَلَمِ المَوْقِفِ وَهَوْلِهِ، وَأَلَمِ الوُرُوْدِ عَلَى النَّارِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَهَذِهِ الأَرَاجِيْفُ كُلُّهَا قَدْ تَنَالُ العَبْدَ، وَمَا هِيَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَلاَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّم قَطُّ، وَلَكِنَّ العَبْدَ التَّقِيَّ يَرْفُقُ اللهُ بِهِ فِي بَعْضِ ذَلِكَ أَوْ كُلِّهِ، وَلاَ رَاحَةَ لِلْمُؤْمِنِ دُوْنَ لِقَاءِ رَبِّهِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ ﴾ [مريم: ٣٩] وَقَالَ: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ ﴾ [غافر: ١٨]، فَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى العَفْوَ وَاللُّطْفَ الخَفِيَّ، وَمَعَ هَذِهِ الهَزَّاتِ، فَسَعْدٌ مِمَّنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَأَنَّهُ مِنْ أَرْفَعِ الشُّهَدَاءِ ﷺ. كَأَنَّكَ يَا هَذَا تَظُنُّ أَنَّ الفَائِزَ لاَ يَنَالُهُ هَوْلٌ فِي الدَّارَيْنِ، وَلاَ رَوْعٌ، وَلاَ أَلَمٌ، وَلاَ خَوْفٌ، سَلْ رَبَّكَ العَافِيَةَ، وَأَنْ يَحْشُرَنَا فِي زُمْرَةِ سَعْدٍ ا.هـ[1]

(١٨) قلت: وقال ابن الأعرابي: حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَضْلِ، نا عُقْبَةُ بْنُ مُكْرَمٍ، نا عَمْرُو بْنُ سُفْيَانَ، نا الْحَسَنُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ عَنْ عَائِشَةَ ﵂، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ مُنْذُ يَوْمِ حَدَّثْتَنِي بِصَوْتِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ، وَضَغْطَةِ الْقَبْرِ، لَيْسَ يَنْفَعُنِي شَيْءٌ، قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، إِنَّ صَوْتَ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ، فِي أَسْمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ كَالْإِثْمِدِ فِي الْعَيْنِ، وَإِنَّ ضَغْطَةً فِي الْقَبْرِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَأُمِّهِ الشَّفِيقَةِ يَشْكُو إِلَيْهَا ابْنُهَا الصُّدَاعَ، فَتَقُومُ إِلَيْهِ فَتَغْمِزُ رَأْسَهُ غَمْزًا رَفِيقًا، وَلَكِنْ يَا عَائِشَةُ، وَيْلٌ لِلشَّاكِّينَ فِي اللَّهِ كَيْفَ يُضْغَطُونَ فِي قُبُورِهِمْ، كَضَغْطَةِ الْبَيِّنَةِ عَلَى الصَّخْرِ**»

وإسناده ضعيف جدا[2]

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٩٠).

(٢) معجم ابن الأعرابي (٣/ ٨٩٥) رقم (١٨٧٠) ورواه البيهقي أيضا في إثبات عذاب القبر (١١٦) قال: وَأَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، وَأَبُو سَعِيدٍ قَالَا: ثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ، نَا مُحَمَّدٌ، ثَنَا عُقْبَةُ بْنُ مُكْرَمٍ، به ولفظه: «**يَا عَائِشَةُ إِنَّ أَصْوَاتَ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ فِي أَسْمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ كَالْإِثْمِدِ فِي الْعَيْنِ وَإِنَّ ضَغْطَةَ الْقَبْرِ عَلَى الْمُؤْمِنِ كَالْأُمِّ الشَّفِيقَةِ يَشْكُو إِلَيْهَا ابْنُهَا الصُّدَاعَ؛ فَتَغْمِزُ رَأْسَهُ غَمْزًا رَفِيقًا، وَلَكِنْ يَا عَائِشَةُ وَيْلٌ لِلشَّاكِّينَ فِي اللَّهِ، كَيْفَ يُضْغَطُونَ فِي قُبُورِهِمْ كَضَغْطَةِ الْبَيْضَةِ عَلَى الصَّخْرَةِ**». وإسناده ضعيف جدا، الحسن بن أبي جعفر ضعيف جدا وشيخه هو ابن جدعان ضعيف وتلميذه عمرو بن سفيان ذكره ابن حبان في الثقات (٨/ ٤٨١) فقال: عَمْرو بن سُفْيَان الْقطيعِي -ويقال أيضا (القطعي)- يروي عَن الْحسن بن أبي جَعْفَر روى عَنهُ عقبَة بن مكرم الْعَمى والعراقيون ا.هـ قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٢/ ٧٦٩): عمرو بن سفيان القطعي؛ لم أجده إلا في " ثقات ابن حبان " ...فهو مجهول الحال. والله أعلم.

فتنة القبر وسؤال المَلَكَيْنِ:

والفتنة هي هذه الأسئلة التي يُسْأَلُـهَا الإنسان في قبره ويُسمِّيها العلماءُ بفتنة القبر، فالإنسانُ إذا وُضِعَ في قبره يأتيه ملكان، يقال لأحدهما المنكر ويقال للآخر النكير، فيسألانه. كما تقدم في الأحاديث: يقال له: مَن ربُّكَ؟ فيقولُ العبد المؤمن: رَبِّيَ اللهُ، - فهو عاش على ذلك وعلى ذلك مات-، يقول: ربي الله أي: إلهي ومعبودي وخالقي هو الله، فيقولانِ له: ما دِينُكَ؟ فيقولُ: دِينِيَ الإسلامُ، فيقولانِ له: ما هذا الرجلُ الذي بُعِثَ فيكم؟ فيقولُ: هو رسولُ اللهِ ﷺ، فيقولانِ له: وما [علمُكَ]؟ فيقولُ: قرأتُ كتابَ اللهِ، فآمَنْتُ به، وصَدَّقْتُ، فيَنْتَهِرُهُ، فيقولُ: مَن رَبُّكَ؟ ما دِينُكَ؟ مَن نبيُّكَ؟ قال عليه الصلاة والسلام: **وهي آخِرُ فتنةٍ تُعْرَضُ على المؤمنِ**، كما في حديث البراء المتقدم.

هذه الأسئلة الثلاثة التي من عاش في الدنيا لأجلها وفّقه الله وثبّته بالقول الثابت، ومن أعرض عنها لم يستطع أن يجيب.

والمتأمل لحديث البراء عند قراءته يعيش هذه الرحلة العظيمة التي تمشي مع النفس مع الإنسان من حين يموت وإلى أن يوضع في قبره، فيكون قبره عليه إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار، فيجب على المسلم أن يؤمن بذلك، وأن يصدق بذلك، وأن يعمل من العمل الصالح ما يكون سببًا في نجاته من عذاب الله ﷻ فإن لنعيم القبر أسبابًا وأعمالًا ينبغي على المؤمن أن يسلكها، وأن يعمل بها، وإن لعذاب القبر أسبابًا يجب على المؤمن أن يجتنبها وأن يحذر منها. وإن من عقيدة المؤمن التي يجب أن يعتقدها أن يعتقد أن القبر فيه نعيم وفيه عذاب كما جاءت بذلك الأخبار والأدلة من كتاب الله وسنة النبي المختار عليه الصلاة والسلام.

وسيأتي ذكر شيء من ذلك في المجلس القادم -إن شاء الله-.

والحمد لله رب العالمين

المجلس الرابع والعشرون [١]

عذاب القبر ونعيمه:

ومن المسائل المتصلة بمسائل الدرس الماضي ما يتعلق بالإيمان بنعيم القبر وعذابه، وأن القبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار؛ فإن الإنسان إذا دخل قبره تحصل له هناك أمورٌ كما أخبرنا النبي ﷺ. وهي مما يدخل في مسائل الإيمان بالغيب الذي أمرنا الله ﷻ أن نؤمن به. ولمّا وجد في زماننا هذا من ينكر أن يكون في القبر عذابٌ أو نعيمٌ، لزم أن نقف عند هذه المسألة قليلًا لنعرض أدلتَها.

الأدلة من القرآن:

قال ابن القيم رحمه الله: نعيم البرزخ وعذابه مَذْكُور فِي الْقُرْآن فِي غير مَوضِع؛

١- فَمِنْهَا: قَوْله تَعَالَى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٣]

وَهَذَا خطاب لَهُم عِنْد الْمَوْت وَقد أخْبرت الْمَلَائِكَة وهم الصادقون أَنهم حِينَئِذٍ يجزون عَذَاب الْهون وَلَو تَأَخّر عَنْهُم ذَلِك إِلَى انْقِضَاء الدُّنْيَا لما صَحَّ أَن يُقَال لَهُم الْيَوْم تُجْزونَ.

٢- وَمِنْهَا قَوْله تَعَالَى ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦]

فَذكر عَذَاب الدَّارَيْنِ ذكرا صَرِيحًا لَا يحْتَمل غَيره.

٣- وَمِنْهَا قَوْله تَعَالَى: ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى

---

(١) كان في يوم الأحد الرابع والعشرين من شهر رمضان ١٤٤١هـ.

عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الطور: ٤٥-٤٧]

وَهَذَا يحْتَمل أَن يُرَاد بِهِ عَذَابهمْ بِالْقَتْلِ وَغَيره فِي الدُّنْيَا وَأَن يُرَاد بِهِ عَذَابهمْ فِي البرزخ -وَهُوَ أظهر- لِأَن كثيرا مِنْهُم مَاتَ وَلم يعذب فِي الدُّنْيَا وَقد يُقَال -وَهُوَ أظهر-: أَن من مَاتَ مِنْهُم عذب فِي البرزخ وَمن بقى مِنْهُم عذب فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَغَيره فَهُوَ وَعِيد بعذابهم فِي الدُّنْيَا وَفِي البرزخ(١).

٤- وَمِنْهَا قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [السجدة: ٢١]

وَقد احْتج بِهَذِهِ الْآيَة جمَاعَة مِنْهُم عبد الله بن عَبَّاس رضي الله عنهما على عَذَاب الْقَبْر.(٢)

وَفِي الِاحْتِجَاج بهَا شَيْء لِأَن هَذَا عَذَاب فِي الدُّنْيَا يستدعى بِهِ رجوعهم عَن الْكفْر وَلم يكن هَذَا مَا يخفي على حبر الْأمة وترجمان الْقُرْآن لَكِن من فقهه فِي الْقُرْآن ودقة فهمه فِيهِ فهم مِنْهَا عَذَاب الْقَبْر فإنه سُبْحَانَهُ أخبر أَن لَهُ فيهم عذابين أدنى وأكبر فَأخْبر أَنه يذيقهم بعض الْأَدْنَى ليرجعوا فَدلَّ على أَنه بقى لَهُم من الْأَدْنَى بَقِيَّة يُعَذبُونَ بهَا بعد عَذَاب الدُّنْيَا وَلِهَذَا قَالَ من الْعَذَاب الْأَدْنَى وَلم يقل ولنذيقنهم الْعَذَاب الْأَدْنَى فَتَأَمّله.

---

(١) وجاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما -من طرق- فِي قَوْلِهِ ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ يَقُولُ: «عَذَابُ الْقَبْرِ قَبْلَ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ». انظر تفسير الطبري (٦٠٢/٢١) وإثبات عذاب القبر للبيهقي (٧٠) وتفسير عبد الرزاق (٣٠١٦). ورواه الطبري أيضا (٢١/ ٦٠٣) عن الْبَرَاءِ. وفي سنده شريك ضعيف. ورواه هناد -كما في الدر المنثور (٦٣٦/٧) – ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٠٠)- وعبد الله في السنة (١٤٥٩) عن زَاذَانَ.

(٢) عزاه إلى ابن عباس أيضا الحافظ ابن رجب في أهوال القبور (٤٦) والمشهور عنه قولان أولهما من طريق ابن أبي طلحة عنه أنه قال: هو: مَصَائِبُ الدُّنْيَا وَأَسْقَامُهَا وَبَلَاؤُهَا مِمَّا يَبْتَلِي اللَّهُ بِهَا الْعِبَادَ حَتَّى يَتُوبُوا. رواه الطبري (١٨/ ٦٢٧). والثاني: عَنْ شَبِيبٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عنه قَالَ: الْحُدُودُ " رواه الطبري أيضا (١٨/ ٦٢٩). وتفسيرها بعذاب القبر أسنده الطبري (٦٣١/١٨) عن مجاهد. ونقله ابن كثير (٦/ ٣٦٩) عن البراء بن عازب ومجاهد وأبي عبيدة -يعني ابن عبد الله بن مسعود-. وقول أبي عبيدة والبراء أسنده هناد بن السري في الزهد (٣٤٥) – ومن طريقه الآجري في الشريعة (٨٥٤)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٠٦)- قال حَدَّثَنَا شَرِيكٌ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، **عَنِ الْبَرَاءِ، أَوْ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ** ... فذكره. وإسناده ضعيف. فتبين بهذا أن الاستدلال بها هنا فيه ضعف. ومما يضعفه ختام الآية: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ فتأمل.

وَهَذَا نَظِير قَول النَّبِي ﷺ فَيفتح لَهُ طَاقَة إِلَى النَّار فيأتيه من حرهَا وسمومها وَلم يقل فيأتيه حرهَا وسمومها فَإِن الذى وصل إِلَيْهِ بعض ذَلِك وبقى لَهُ أَكْثَره والذى ذاقه أَعدَاء الله فِي الدُّنْيَا بعض الْعَذَاب وبقى لَهُم مَا هُوَ أعظم مِنْهُ

٥- وَمِنْهَا قَوْله تَعَالَى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الواقعة]. فَذكر هَاهُنَا أَحْكَام الْأَرْوَاح عِنْد الْمَوْت وَذكر فِي أول السُّورَة أَحْكَامهَا يَوْم الْمعَاد الْأَكْبَر وَقدم ذَلِك على هَذَا تَقْدِيم الْغَايَة للعناية إِذْ هي أهم وَأولى بِالذكر وجعلهم عِنْد الْمَوْت ثَلَاثَة أَقسَام كَمَا جعلهم فِي الْآخِرَة ثَلَاثَة أَقسَام.

٦- وَمِنْهَا قَوْله تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفجر].

وَقد اخْتلف السّلف مَتى يُقَال لَهَا ذَلِك[1]؛ فَقَالَت طَائِفَة يُقَال لَهَا عِنْد الْمَوْت[2] وَظَاهر اللَّفْظ مَعَ هَؤُلَاءِ فإنه خطاب للنَّفس الَّتِي قد تجردت عَن الْبدن وَخرجت مِنْهُ وَقد فسر ذَلِك النَّبِي ﷺ بقوله فِي حَدِيث الْبَراء ﷺ وَغَيره فَيُقَال لَهَا اخرجي راضية مرضيا عَنْك ... وَقَوله تَعَالَى ﴿ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴾ مُطَابق لقَوْله ﷺ: «**اللَّهُمَّ الرفيق الْأَعْلَى**»[3] وَأَنت إِذا تَأَمَّلت أَحَادِيث عَذَاب الْقَبْر ونعيمه وَجدتهَا تَفْصِيلًا وتفسيرا لما

---

(١) انظر تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢٤/ ٣٩٦).

(٢) رواه الطبري عن أبي صالح مولى أم هانئ ثم قال (٢٤/ ٣٩٧): وَأَوْلَى الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ الْقَوْلُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ، أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يُقَالُ لَهُمْ عِنْدَ رَدِّ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَادِ يَوْمَ الْبَعْثِ لِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ ا.هـ

(٣) رواه البخاري (٤٤٦٣) ومسلم (٢٤٤٤) عن عائشة ﵂ قَالَتْ: كَانَتْ آخِرَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا ﷺ: «**اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى**»

دلّ عَلَيْهِ الْقُرْآن وَبِاللَّهِ التَّوْفِيق ا.هـ[١]

٧- قلت: ومنها قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه] ففي صحيح ابن حبان عن أبي سلمة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ قَالَ: «عَذَابُ الْقَبْرِ»[٢]

وفي مستدرك الحاكم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مثله.[٣]

٨- ومنها قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] كما في الصحيحين عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ.[٤]

٩- ومنها قوله تعالى: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ ﴾ [التكاثر] فقد روى الترمذي عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: مَا زِلْنَا نَشُكُّ فِي عَذَابِ القَبْرِ حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ[٥].

وقال الطبري رحمه الله: وَقَوْلُهُ: ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ ﴾ [التكاثر] يَعْنِي: حَتَّى صِرْتُمْ إِلَى

---

(١) كتاب الروح (ص١٤٠/ت سيد رجب)

(٢) صحيح ابن حبان (٣١١٩) قال أَخْبَرَنَا أَبُو خَلِيفَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، به، وتابعه أبو زرعة عن أبي الوليد عند البزار -كما في تفسير ابن كثير (٣٢٤/٥)-ورواه الحاكم (١٤٠٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ سُلَيْمَانَ الْفَقِيهُ، ثنا أَبُو دَاوُدَ سُلَيْمَانُ بْنُ الْأَشْعَثِ، ثنا أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ، به فوقفه. وقد تقدم الحديث مطولا (ص ٣٧٦)

(٣) المستدرك (٣٤٣٩) من طريق إِسْحَاق، أَنْبَأَ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ، ثنا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ الْمَدَنِيِّ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ أَبِي عَيَّاشٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ " وخولف فيه حماد بن سلمة فرواه عبد الرحمن بن إسحاق عن أبي حازم به فوقفه. رواه ابن أبي شيبة (٣٤٨٣٧) ومسدد كما في المطالب العالية (٣٦٥٩) وتابعه موقوفا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَابْنُ أَبِي حَازِمٍ عن أبي حازم كما في تفسير الطبري (١٦/ ١٩٨). ورواه ابْنُ عُيَيْنَةَ فقال: عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ موقوفا رواه عبد الرزاق في المصنف (٦٧٤١) والطبري (١٩٦/١٦) وقال ابن كثير في التفسير (٥/ ٣٢٣): قَالَ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ: النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ يُكَنَّى أَبَا سَلَمَةَ ا.هـورجح أبو زرعة رواية من قال عن النعمان كما في العلل لابن أبي حاتم (١٦٩٤).

(٤) البخاري (١٣٦٩، ٤٦٩٩) ومسلم (٢٨٧١) واللفظ له.

(٥) سنن الترمذي (٣٣٥٥)

الْمَقَابِرِ فَدُفِنْتُمْ فِيهَا؛ وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ الْقَوْلِ بِعَذَابِ الْقَبْرِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ، أَخْبَرَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَلْهَاهُمُ التَّكَاثُرُ، أَنَّهُمْ سَيَعْلَمُونَ مَا يَلْقَوْنَ إِذَا هُمْ زَارُوا الْقُبُورَ وَعِيدًا مِنْهُ لَهُمْ وَتَهَدُّدًا.ا.هـ[١]

الأدلة من السنة:

قال ابن القيم رحمه الله: الأحاديث في عذاب القبر تكاد تبلغ حد التواتر ا.هـ[٢]

وقال ابن كثير رحمه الله: وأحاديث عذاب القبر كثيرة جدا. اهـ[٣]

وقال ابن أبي العز رحمه الله: وَقَدْ تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي ثُبُوتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ لِمَنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا، وَسُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ، فَيَجِبُ اعْتِقَادُ ثُبُوتِ ذَلِكَ وَالْإِيمَانُ بِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي كَيْفِيَّتِهِ، إِذْ لَيْسَ لِلْعَقْلِ وُقُوفٌ عَلَى كَيْفِيَّتِهِ، لِكَوْنِهِ لَا عَهْدَ لَهُ بِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَالشَّرْعُ لَا يَأْتِي بِمَا تُحِيلُهُ الْعُقُولُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ يَأْتِي بِمَا تَحَارُ فِيهِ الْعُقُولُ. فَإِنَّ عَوْدَ الرُّوحِ إِلَى الْجَسَدِ لَيْسَ عَلَى الْوَجْهِ الْمَعْهُودِ فِي الدُّنْيَا، بَلْ تُعَادُ الرُّوحُ إِلَيْهِ إِعَادَةً غَيْرَ الْإِعَادَةِ الْمَأْلُوفَةِ فِي الدُّنْيَا ا.هـ[٤]

ومن أدلة السنة في إثبات عذاب القبر ونعيمه ما يلي:

١- حديث البراء بن عازب وشواهده المتقدمة.

٢- وكذلك الحديثُ المشهورُ حديثُ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**» متفق عليه[٥].

وفي رواية لمسلم وابن ماجه: «**وَكَانَ الْآخَرُ لَا يَسْتَنْزِهُ عَنِ الْبَوْلِ - أَوْ مِنَ الْبَوْلِ -**»[٦]

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢٤/ ٦٠٠)

(٢) مفتاح دار السعادة ط عالم الفوائد (١/ ١١٨).

(٣) تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ١٤٧).

(٤) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (٢/ ٥٧٨)

(٥) رواه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢)، والترمذي(٧٠)

(٦) رواه مسلم (٢٩٢)، وأبو داود (٢٠) النسائي(٣١) وابن ماجه (٣٤٧)

وللنسائي «فَكَانَ لَا يَسْتَبْرِئُ مِنْ بَوْلِهِ»[١]

وهذه الروايات يفسر بعضها بعضا فمَعْنَى الِاسْتِتَارِ أَنَّهُ لَا يَجْعَلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَوْلِهِ سُتْرَةً يَعْنِي لَا يَتَحَفَّظُ مِنْهُ[٢].

وهذا الحديث فيه فائدتان عظيمتان:

الأولى: ما دلّ عليه الحديث من العذاب الذي يقع لبعض الناس في قبورهم، وأنّ القبر فيه عذاب كما فيه نعيم، فيجب على الإنسان أن يؤمن بهذا.

والفائدة الثانية: أن هذا العذاب يقع أيضًا على بعض المسلمين وأهل التوحيد وأهل الإيمان؛ لأن النبي ﷺ يقول: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ**» ثم ذكر عن الأول أنه «**كَانَ لَا يَسْتَبْرِئُ مِنْ بَوْلِهِ**» وذكر عن الثاني أنه «**كَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**» يعني أنهما من أهل الإسلام ليسا كافرين، ولو كان لهما ذنبٌ أعظمُ من هذين يُعذّبان عليه لذكره النبي ﷺ. والعلماء مجمعون على هذا.

٣- ومن الأدلة أنه ﷺ علمنا أن نستعيذ بالله ﷻ من عذاب القبر في أوقات شتى فمنها:

١. دُبُر كل صلاة قبل السلام، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**»[٣].

٢. وكذلك بعد السلام: كما في الصحيح عَنْ عَمْرَو بْنَ مَيْمُونٍ الأَوْدِيَّ، قَالَ: كَانَ سَعْدٌ رضي الله عنه يُعَلِّمُ بَنِيهِ هَؤُلاَءِ الكَلِمَاتِ كَمَا يُعَلِّمُ المُعَلِّمُ الغِلْمَانَ الكِتَابَةَ وَيَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْهُنَّ دُبُرَ الصَّلاَةِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ**

---

(١) سنن النسائي(٢٠٦٨، ٢٠٦٩)

(٢) فتح الباري لابن حجر (١/ ٣١٨)

(٣) رواه مسلم (٥٨٨) .

أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»[١]

٣. ومنها أن نتعوذ بالله من عذاب القبر في الصباح والمساء، كما في الصحيح عن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا أَمْسَى قَالَ: «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللهُمَّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ» وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيْضًا: «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ»[٢]

٤. والدعاء به للميت في الصلاة عليه لحديث عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قال: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللهُمَّ، اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ - أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ -» وفي رواية: «وَقِهِ فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَعَذَابَ النَّارِ» قَالَ: «حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْمَيِّتَ»[٣]

٥. وعند الكسوف أو الخسوف لحديثِ عَائِشَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يومَ خَسَفَتِ الشَّمْسُ، لَمَّا انْصَرَفَ من صلاته، «قَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَتَعَوَّذُوا مِنْ عَذَابِ القَبْرِ» متفق عليه[٤]

٤- ومن الأدلة أيضا حديث سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ «رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ - قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ مُوسَى إِنَّهُ - يُدْخِلُ ذَلِكَ الْكَلُّوبَ

---

(١) رواه البخاري (٢٨٢٢).
(٢) رواه مسلم (٢٧٢٣)
(٣) المرجع السابق (٩٦٣).
(٤) رواه البخاري (١٠٥٠) ومسلم (٩٠٣) وبوب عليه البخاري: "بَابُ التَّعَوُّذِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ فِي الكُسُوفِ".

فِي شِدْقِهِ، حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ. قُلْتُ مَا هَذَا قَالاَ انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفِهْرٍ أَوْ صَخْرَةٍ، فَيَشْدَخُ بِهِ رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهْدَهَ الْحَجَرُ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ، فَلاَ يَرْجِعُ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتَئِمَ رَأْسُهُ، وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ، فَعَادَ إِلَيْهِ فَضَرَبَهُ، قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالاَ انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا إِلَى ثَقْبٍ مِثْلِ التَّنُّورِ، أَعْلاَهُ ضَيِّقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ، يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ. فَقُلْتُ مَنْ هَذَا قَالاَ انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ، فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسَطِ النَّهَرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِى فِي النَّهَرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ. فَقُلْتُ مَا هَذَا قَالاَ انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَفِى أَصْلِهَا شَيْخٌ وَصِبْيَانٌ، وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّجَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا، فَصَعِدَا بي في الشَّجَرَةِ، وأدخلاني دَارًا لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، فِيهَا رِجَالٌ شُيُوخٌ وَشَبَابٌ، وَنِسَاءٌ وَصِبْيَانٌ، ثُمَّ أخرجاني مِنْهَا فَصَعِدَا بي الشَّجَرَةَ فَأَدْخَلاَنِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ، فِيهَا شُيُوخٌ وَشَبَابٌ. قُلْتُ طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ، فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ. قَالاَ نَعَمْ، أَمَّا الَّذِى رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالْكَذْبَةِ، فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالَّذِى رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ، وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَالَّذِى رَأَيْتَهُ فِي الثَّقْبِ فَهُمُ الزُّنَاةُ. وَالَّذِى رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُو الرِّبَا. وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام وَالصِّبْيَانُ حَوْلَهُ فَأَوْلاَدُ النَّاسِ، وَالَّذِى يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ. وَالدَّارُ الأُولَى الَّتِي دَخَلْتَ دَارُ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ، وَأَنَا جِبْرِيلُ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ. قَالاَ ذَاكَ مَنْزِلُكَ. قُلْتُ دَعَانِي أَدْخُلْ مَنْزِلِي. قَالاَ إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمُرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ، فَلَوِ اسْتَكْمَلْتَ أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ»[1]

(١) رواه البخاري (١٣٨٦).

٥- وعَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**»(١)

٦- وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ﷺ، قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ، عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ، إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ، وَإِذَا أَقْبُرٌ سِتَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ فَقَالَ: «**مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ؟**» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، قَالَ: «**فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟**» قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ، فَقَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ**» ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ**» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ**» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ.(٢)

٧- وفي الموطأ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ صَلَّيْتُ وَرَاءَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَلَى صَبِيٍّ لَمْ يَعْمَلْ خَطِيئَةً قَطُّ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ «**اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**»(٣).

وغير ذلك من الأدلة التي تدُلُّ على إثبات عذاب القبر،
نسأل الله ﷻ أن يعيذنا من عذاب القبر.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٦٨).
(٢) المرجع السابق (٢٨٦٧).
(٣) موطأ مالك ت عبد الباقي (١/ ٢٢٨) رقم (١٨).

هول القبر وفظاعته:

وفي جامع الترمذي أَنَّ عُثْمَانَ ﷺ كَانَ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ بَكَى حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ فَقِيلَ لَهُ تُذْكَرُ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَلاَ تَبْكِي وَتَبْكِي مِنْ هَذَا فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «**إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ**». قَالَ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «**مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلاَّ وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ**»(١).

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُول اللَّهِ ﷺ صَلَّى عَلَى امْرَأَة سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ ثُمَّ قَالَ «**إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلاَتِي عَلَيْهِمْ**»(٢).

ذِكْرُ بعضِ ما يدخل في الإيمان باليوم الآخر:

ومن المسائل التي تتعلق بالإيمان باليوم الآخر:

١- مسألةُ النفخ في الصور، وهي من أوائل ما يدخل معنا في مسائل الإيمان باليوم الآخر؛ لأنّ ذلك مقدمة ليوم البعث والجزاء والنشور.

٢- كذلك يجب أن نؤمن بالبعث والجزاء والنشور.

٣- وكذلك نؤمنُ بما يقع من أحوال عظيمة في تبدُّلِ الأرض وتحوُّل الأرض يوم القيامة. فإن هذا مما أخبرنا عنه النبي ﷺ وجاء أيضًا بيانُه في كتاب الله ﷻ في سورة التكوير والانفطار وغيرهما من السور.

٤- وكذلك نؤمن بما يقع في الموقف وأهواله يوم القيامة

٥- وكذلك نؤمن بما أخبرنا النبيُّ ﷺ من الكُرَب العظيمة التي تقع في ذلك اليوم

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٠٨)، وابن ماجه (٤٢٦٧) وأحمد (٤٥٤٠)، وقال الترمذي: وقال: هذا حديث حسن غريب ا.هـ وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٥٠) وشيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١٢٤٥)

(٢) صحيح مسلم (٩٥٦).

من إلجام الناس بالعرق ومن ذهول كلِّ مُرضِعة عمّا أرضعت، ومن كون الولدان يشيبون، وبلوغ القلوب الحناجر، وتقلُّب القلوب والأبصار وغير ذلك.

٦- كذلك نؤمن بما أخبرنا النبيُّ ﷺ عن أحوال الناس التي ستكون في عرصات القيامة: من تقطع الأنساب بينهم، ومن أن كلّ نفس تكون مسؤولةً عن نفسها، وأن الأَخِلّاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين، وغير ذلك.

٧- كما نؤمن بما أخبرنا ممن سيأمن ومن سيخاف في ذلك اليوم.

٨- كذلك نؤمن بالحشر وما وَرَدَ فيه من الأدلة.

٩- ونؤمن بما سيكون يوم القيامة من الشفاعة العامّة لفصل القضاء، وشفاعة النبي ﷺ، وشفاعة الشافعين.

١٠- كذلك نؤمن بما يكون يوم القيامة من نشر الصحف وتطاير الصحف، فآخذٌ كتابه بيمينه، وآخذٌ كتابه بشماله من وراء ظهره.

١١- كما أخبرنا ﷺ أنّ ثمة أناسًا يَأْمَنُون يوم القيامة، ويُظِلُّهم اللهُ في ظله يوم لا ظِلّ إلا ظله.

١٢- كذلك نؤمن بما يكون يوم القيامة من الحساب، وأنّ الله ﷻ سريعُ الحساب، وأنه يحاسب الخلائق ويسألهم عن أعمالهم.

١٣- ونؤمن كذلك أن من الناس من يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب كما أخبر النبيُّ ﷺ.

١٤- كذلك نؤمن بما سيكون يوم القيامة من الحوض ولقاء النبي ﷺ، وأن النبي ﷺ يقف على حوضه ويَرِدُ الناس ليشربوا من حوضه ﷺ.

١٥- كذلك نؤمن بما يقع يوم القيامة من الميزان، وأن الأعمال توزن، وأنه لا يُظلَم

أحدٌ عند الله ﷻ.

١٦- كذلك نؤمن بالصراط الذي يكون يوم القيامة.

١٧- وكذلك نؤمن بالجنة والنار،

وغير ذلك من الأحداث التي جاء ذكرها فيما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر.

وسنبدأ في هذا المجلس إن شاء الله تعالى بالحديث عن مسألة من هذه المسائل، وهي: مسألة النفخ في الصور.

الإيمان
بالنفخ في الصور

النفخ في الصور

يجب على المؤمن أن يؤمن بالنفخ في الصور؛ لأنه قد جاء ذكره في الكتاب وفي السنة ويكون عند بداية يوم القيامة.

وفي الحديث -كما سيأتي- أن الله أوكل بالنفخ في القرن مَلَكًا قد التَقَمَه؛ لينفخ فيه نفختي الصعق والبعث، وعلى إثرها تقوم الساعة.

وقال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله: "كذلك يدخل في ذلك الإيمانُ بالصور والنفخ فيه الذي جعله اللهُ سببَ الفزع والصعق والقيام من القبور، وهو القرن الذي وكّل اللهُ تعالى به إسرافيل كما تقدّم في ذكر الملائكة، وقد ذكر الله ﷻ النفخَ فيه في مواضع من كتابه"(١).

النفخ في الصور يكون مرتين:

وقد أفادت النصوص الشرعية أن النفخ في الصُّور يقع مرتين:

فالنفخة الأولى: للإفناء وبها يهلك كُلُّ شيء إلا ما شاء الله، وتُسمّى الراجفة، وتُسمّى الصيحة. **والنفخة الثانية**: للإنشاء، وبها يُبعَثُ كُلُّ شيء، وتُسمّى الرادفة.

قال الله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزمر]،

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ ﴾ [النازعات].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "الراجفة: النفخة الأولى، والرادفة: النفخة الآخِرة"(٢)

---

(١) معارج القبول (٢/٧٩٩).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/٦٥).

وقال الحسن البصري: "هما النفختان، أما الأولى فتميت الأحياء، وأما الثانية فتحيي الموتى"(١).

وقال قتادة: "هما الصيحتان: أما الأولى فتُميت كلّ شيء بإذن الله، وأما الأخرى فتُحيي كلّ شيء بإذن الله"(٢).

وهكذا يجد المتأمِّلُ للآيات الأخرى التي ورد فيها النفخ في الصور أنها تذكر نفختين أولى وأخرى،

قال الله تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنعام]

وقال سبحانه: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [الكهف]

وقال ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [النمل]

وقال ﷻ: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ ﴾ [المدثر]،

يعني إذا نفخ في الصور. قاله ابن عباس والحسن وقتادة وعكرمة ومجاهد وغيرهم(٣)

وقوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ ﴾ [الزمر: ٦٨]

اختلف فيه العلماء:

فذَهَبَ بعضُهم إلى أن النفخ في الصور دلّت الآيات على أنه ثلاث وليست اثنتين،

فقالوا قوله: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ﴾ هذه واحدة،

وقوله: ﴿ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ هذه الثانية،

---

(١) المرجع السابق (٦٥/٢٤).

(٢) المرجع السابق (٦٦/٢٤).

(٣) انظر: تفسير عبد الرزاق (٣٣٨٢) والأهوال لابن أبي الدنيا (٥٤)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٤١٩)

وقوله: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ ﴾ هذه الثالثة.

وقال بعض أهل العلم هي أربع.

والصحيح من أقوال العلماء أنها نفختان(١).

وهو اختيار الشيخ العلامة ابن باز رحمه الله وتلميذه العلامة ابن عثيمين رحمه الله.(٢)

ولا مانع من أن تكون النفخة الأولى فيها فَزَعٌ يَؤُولُ بالناس بعد ذلك إلى الموت. كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [النمل: ٨٧].

ويقول النبي ﷺ وقد سُئِلَ عن الصور كما في سنن الترمذي ومسند الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ فقال ﷺ: «قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ»(٣).

وقال ﷺ: «**... ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا، قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ...**»(٤).

---

(١) ينظر: «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ص٤٩٠) و«فتح الباري لابن حجر» (١١/ ٣٦٩)

(٢) ينظر: فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (٤/ ٣٢٧) وتفسير العثيمين: النمل (ص٤٨٦).

(٣) سنن الترمذي (٢٤٣٠، ٣٢٤٤) وسنن أبي داود (٤٧٤٢)، ومسند أحمد (٦٥٠٧) وهو في السلسلة الصحيحة (١٠٨٠)

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٤٠) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

الملك الموكل بالنفخ في الصور قد التقمه :

وأخبرنا النبي ﷺ أنّ صاحب الصور الذي وكله الله ﷻ بالنفخ فيه قد التقمه.

قال النبيُّ ﷺ: «**كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدِ التَقَمَ صَاحِبُ القَرْنِ القَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ، وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ؟!**» فقال المسلمون: يا رسول الله، فما نقول؟ فقال: «**قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ رَبِّنَا**»(١)

وهذا يدُلُّ على قرب قيام الساعة.

صاحب النفخ في الصور:

قال القرطبي رحمه الله: وَالْأُمَمُ مُجْمِعَةٌ عَلَى أَنَّ الَّذِي يَنْفُخُ فِي الصُّورِ إِسْرَافِيلُ عليه السلام(٢).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "اشْتُهِرَ أَنَّ صَاحِبَ الصُّورِ إِسْرَافِيلُ عليه السلام وَنَقَلَ فِيهِ الْحَلِيمِيُّ الْإِجْمَاعَ"(٣).

وقت النفخ في الصور:

وقال النبي ﷺ مُبيِّنًا الوقتَ الذي يُنفَخ فيه في الصور: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ...**»(٤) إلى آخر الحديث،

مدة ما بين النفختين:

وجاء عن النبي ﷺ بيانُ الفترة التي تكون بين النفختين، وأنها أربعون، لكن لا ندري أهي أربعون يومًا أم شهرًا أم سنة، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبِيِّ ﷺ قال: «**بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**»، قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يومًا؟ قال: أبيت، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت، قال: أربعون شهرًا قال: أبيت -يعني لا أستطيع أن أجزم بشيء لا

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٣١، ٣٢٤٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وهو في السلسلة الصحيحة (١٠٧٩)

(٢) تفسير القرطبي (٧/ ٢٠).

(٣) فتح الباري (٣٦٨/١١).

(٤) أخرجه أبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (١٣٧٤)، وابن ماجه (١٠٨٥) من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه.

أعلمه عن النبي ﷺ-، ثم قال النبي ﷺ: «وَيَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الإِنْسَانِ، إِلَّا عَجْبَ ذَنَبِهِ، فِيهِ يُرَكَّبُ الخَلْقُ»(١)

النفخة الأولى:

أما النفخة الأولى وهي بداية الساعة فيقول عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: **لَيَنْفُخَنَّ فِي الصُّورِ، وَالنَّاسُ فِي طُرُقِهِمْ وَأَسْوَاقِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ، حَتَّى إِنَّ الثَّوْبَ لَيَكُونَ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ يَتَسَاوَمَانِ، فَمَا يُرْسِلُهُ أَحَدُهُمَا مِنْ يَدِهِ حَتَّى يُنْفَخَ فِي الصُّورِ، وَحَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَلَا يَرْجِعُ حَتَّى يَنْفُخَ فِي الصُّورِ، وَهِيَ الَّتِي قَالَ اللَّهُ:** ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [يس](٢).

وهذا فيه بيان أن النفخة الأولى تكون فجأة، وعليها تقوم الساعة كما جاءت بذلك الأخبار.

-وقد أخبر الله ﷻ في كتابه أن الساعة تكون بغتة-.

يقول العلامة الألوسي رحمه الله: "وهي النفخة الأولى في الصور التي يموت بها أهل الأرض، وعبّر بالإنظار نظرًا إلى ظاهر قولهم: ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ [يونس: ٤٨] أو لأنّ الصيحة لما كانت لا بُدّ من وقوعها جُعِلُوا كأنهم منتظروها ﴿ تَأْخُذُهُمْ ﴾ تقهرهم، وتستولي عليهم، فيهلكون ﴿ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ أي: يتخاصمون ويتنازعون في معاملاتهم ومتاجرهم، لا يخطر ببالهم شيء من مخايلها كقوله تعالى: ﴿ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١٤) واللفظ له، ومسلم (٢٩٥٥).

(٢) رواه الطبري في التفسير (١٩/ ٤٥١) بسند صحيح عَنْ أَبِي الْمُغِيرَةِ الْقَوَّاسِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، به. والقواس ذكره الذهبي في الميزان (٤/ ٥٧٦) وقال: ذكره سليمان التيمي ولينه. وقال ابن المديني: لا أعلم أحدا روى عنه غير عوف ا.هـزاد الحافظ في لسان الميزان (٩/ ١٦٨): وقال إسحاق بن منصور عن ابن مَعِين: ثقة. وذَكره ابن حِبَّان في "الثقات ا.هـفالراجح فيه أنه ثقة كما قال ابن معين.

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [يوسف] فلا يغتروا بعدم ظهور علائمها حسبما يريدون ولا يزعمون أنها لا تأتي"[١].

وذكر **الحافظ ابن كثير** رحمه الله أن هذه النفخة يسبقها نفخة الفزع فقال:

أَوَّلُ شَيْءٍ يَطْرُقُ أَهْلَ الدُّنْيَا بَعْدَ وُقُوعِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ نَفْخَةُ الْفَزَعِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَأْمُرُ إِسْرَافِيلَ فَيَنْفُخُ فِي الصُّورِ نَفْخَةَ الْفَزَعِ، فَيُطَوِّلُهَا، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا السَّمَاوَاتِ إِلَّا فَزِعَ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَلَا يَسْمَعُهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا - أَيْ رَفَعَ صَفْحَةَ عُنُقِهِ وَأَمَالَ الْأُخْرَى -، يَسْتَمِعُ هَذَا الْأَمْرَ الْعَظِيمَ الَّذِي قَدْ هَالَ النَّاسَ وَأَزْعَجَهُمْ عَمَّا كَانُوا فِيهِ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا، وَشُغْلِهِمْ بِهَا، وَوُقُوعُ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ... ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى إِسْرَافِيلَ أَنْ يَنْفُخَ نَفْخَةَ الصَّعْقِ، فَيَصْعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَأْمُرُهُ فَيَنْفُخُ فِيهِ أُخْرَى فَيَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ...إلخ[٢]

وذكر رحمه الله حديث الصور المشهور وفيه أن « **أَنَّ إسرافيل يُنْفَخُ فِيهِ ثَلَاثُ نَفَخَاتٍ؛ الْأُولَى نَفْخَةُ الْفَزَعِ، وَالثَّانِيَةُ نَفْخَةُ الصَّعْقِ، وَالثَّالِثَةُ نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**» وهو حديث ضعيف[٣].

النفخة الأولى يتبعها تغيير عام في الكون:

والنفخة الأولى يتبعها تغيير عام في الكون كلِّه عُلْوِيّه وسُفْلِيّه،

وقد قال النبي ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ**»[٤].

يعني ليقرأ هذه السور الثلاث ليرى ما سيكون في ذلك اليوم من عظيم الأمور،

---

(١) روح المعاني، ط دار الكتب العلمية، (٣٠/١٢).

(٢) البداية والنهاية ت التركي (١٩/ ٣٠٣).

(٣) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (١٠). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وانظر: فتح الباري (٣٦٨/١١) وضعيف الترغيب والترهيب (٢/ ٤٩١) رقم (٢٢٢٤)

(٤) تقدم تخريجه في المجلس الحادي والعشرين.

قال الله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ۝٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ۝٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧ ﴾ [التكوير].

تتغير معالم الكون: الشمس، والقمر، والسماء، والنجوم، والجبال، كلُّ ذلك يتغير.

وقال تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ ﴾ يعني: تشقّقت،

﴿ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝٤ ﴾ [الإنفطار]

وقال تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ۝٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ۝٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٥ ﴾ [الإنشقاق]

كلُّ ذلك يقع بعد النفخة الأولى في الصُّور.

النفخة الأولى يتبعها قبض السماوات والأرض:

كذلك جاء عن النبي ﷺ الخبرُ بأن الله حينئذٍ يقبض الأرض، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٦٧ ﴾ [الزمر].

قال ﷺ: «**يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟!**»[(١)].

وهذا والله أعلم يكون بعد النفخة الأولى وهلاك الخلق؛ لأنّ المقصود إظهارُه هو: انفرادُه تعالى بالملك عند انقطاع دعوى المدعين وانتساب المنتسبين؛ فقد ذهب كلُّ مَلِكٍ ومُلْكُه، وكلُّ جبار ومتكبر ومُلْكُه، وانقطعت نِسْبتُهم ودعاويهم، وهو مقتضى قوله ﷺ: «**أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟!**» ذكر هذا القرطبيُّ رحمه الله[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) تفسير القرطبي (٣٠١/١٥).

النفخة الأولى يتبعها فناء من في السماوات والأرض:

وبعد النفخة الأولى يكون فناء من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله.

قال الله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزمر]

وفي قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ بيان أن هناك من استُثني مما يقع له من هذه النفخة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

"وَأَمَّا الِاسْتِثْنَاءُ فَهُوَ مُتَنَاوِلٌ لِمَنْ فِي الْجَنَّةِ مِنْ الْحُورِ الْعِينِ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَيْسَ فِيهَا مَوْتٌ وَمُتَنَاوِلٌ لِغَيْرِهِمْ وَلَا يُمْكِنُ الْجَزْمُ بِكُلِّ مَنْ اسْتَثْنَاهُ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ أَطْلَقَ فِي كِتَابِهِ. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَأَجِدُ مُوسَى آخِذًا بِسَاقِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي هَلْ أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ كَانَ مِمَّنْ اسْتَثْنَاهُ اللَّهُ**»[(١)] ... فَإِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَجْزِمْ بِكُلِّ مَنْ اسْتَثْنَاهُ اللَّهُ لَمْ يُمْكِنَّا أَنْ نَجْزِمَ بِذَلِكَ وَصَارَ هَذَا مِثْلُ الْعِلْمِ بِقُرْبِ السَّاعَةِ وَأَعْيَانِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يُخْبِرْ بِهِ وَهَذَا الْعِلْمُ لَا يُنَالُ إلَّا بِالْخَبَرِ ... ا.هـ[(٢)]

النفخة الثانية نفخة الإحياء والحشر:

أما النفخة الثانية فيكون على إثرها قيامُ الناس من القبور. كما قال الله تعالى:

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [يس: ٥١].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزمر: ٦٨]

فيترتب على النفخة الثانية قيامُ الناس من قبورهم.

ويقول ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أيضا: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ ﴾ [النازعات]

---

(١) رواه البخاري (٢٤١١، ٣٤١٤) ومسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) مجموع الفتاوى (٣٦/١٦).

بالساهرة أي: على وجه الأرض.

قال ابن كثير رحمه الله: "أي: فإنما هو أمر من الله لا مثنوية فيه ولا تأكيد، فإذا الناس قيام ينظرون، وهو أن يأمر تعالى إسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث، فإذا الأولون والآخِرُون قيامٌ بين يدي الرب عز وجل ينظرون"(١).

النفخة الثانية يتتابع بعدها أهوالُ يوم القيامة:

وبعد النفخة الثانية يكون قيام الناس من قبورهم وتتابعُ أهوالُ القيامة.

كما جاء في قول النبي ﷺ وهو من تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

قَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ ...فذكر الحديث وفيه قَالَ: " فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا، قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، قَالَ فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**»(٢) إلى آخر ما ورد في الحديث.

فدلّ هذا الحديث على أن من آثار النفخة الثانية تتابعَ أهوال القيامة،

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من أهل الجنة الآمِنِين في عرصات القيامة.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣١٤/٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٠) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

إخواني: يقول النبي ﷺ: «**مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الجَنَّةُ**»(١)

ويقول: «**جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ**»(٢)

فالمؤمن ينبغي له أن يستعد لهذه الأحداث العظيمة التي تتتابع والتي تكون بغتة، فمن كان في غفلة في هذه الدنيا فعليه أن يراجع نفسه

والله المستعان.

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٥٧) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

الإيمان
بالبعث والنشور

المجلس الخامس والعشرون [١]

الشعبة السابعة من شعب الإيمان: الإيمان بالبعث والنشور

الشعبة السابعة من شعب الإيمان شعبة متعلقة بركن الإيمان باليوم الآخر، وهي الإيمان بالبعث والنشور بعد الموت. فهي جزء من الإيمان باليوم الآخر الذي هو ركن من أركان الإيمان الستة؛ فلا يصح إيمانٌ إلا بها.

حكم منكر البعث والنشور:

ومنكرُهُ كافرٌ، والأدلة في ذلك كثيرة جدًّا كما سيأتي معنا، ومنها:

قول الله ﷻ: ﴿ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥ ﴾ [الرعد: ٥].

يقول الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: "أجمع المسلمون على أن من أنكر البعث فلا إيمان له ولا شهادة"[٢].

تعريف الإيمان البعث والنشور:

يقول البيهقي رحمه الله: "والإيمان بالبعث هو: أن يؤمن بأن الله تعالى يعيد الرُّفات من أبدان الأموات، ويجمع ما تفرق منها في البحار وبطون السباع وغيرها حتى تصير بهيئتها الأولى، ثم يجمعها حية، فيقوم الناس كلهم بأمر الله تعالى أحياءً صغيرُهم وكبيرُهم حتى السقط الذي قد تم خلقه ونفخ فيه الروح، فأما الذي لم يتم خلقه أو لم ينفخ فيه الروح أصلًا فهو وسائر الأموات بمنزلة واحدة والله تعالى أعلم"[٣].

ويقول ابن كثير رحمه الله: "البعث وهو: المعاد وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة"[٤]

---

(١) كان في يوم الاثنين الخامس والعشرين من شهر رمضان ١٤٤١هـ.

(٢) التمهيد (١١٦/٩).

(٣) شعب الإيمان (٤١٠/١).

(٤) تفسير ابن كثير (٣٩٥/٥).

من أدلة الإيمان بالبعث والنشور

الإيمان بالمعاد بيّنه القرآن وبيّنته سنةُ النبي العدنان عليه الصلاة والسلام وجاءت الدلالة عليه دلالة قاطعة بينة. ولذا فإن أصحاب الإلحاد الذين ينكرون وجود الله ﷻ ومن ثَمّ ينكرون البعث والجزاء والنشور، ويرون أنه ليس ثمة يوم آخر هؤلاء كالذي يغطي الشمس بيده، ويريد أن يزيح نور الشمس بيده؛ لأن القرآن الكريم جاءت فيه الأدلة متنوعة للدلالة على هذا الأمر العظيم وهو بعث الناس بعد الموت من قبورهم.

الإخبار بوقوع الساعة وقربها:

فمن ذلك أن الله ﷻ أخبر بوقوع يوم القيامة، وهذا الإخبار جاء متنوِّعًا.

فمن ذلك أن الله ﷻ يقول: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ [طه: ١٥].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الحجر].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ﴾ [الأنعام: ١٣٤] وغير ذلك من الأدلة.

إذًا هذا النوع الأول وهو إخبار الله سبحانه إخبارًا مؤكّدًا بأن الساعة آتية، وأنه لا بُدّ أن يُبعَث الناسُ من قبورهم.

القسم من الله تعالى بقيام الساعة ومن أصدق من الله حديثًا:

وفي مواضع يقسم الله تعالى على ذلك، كما قال ﷻ:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [النساء: ٨٧].

فقولُه سبحانه: ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ اللام هنا يُسمِّيها العلماء بلام القسم أي: والله ليجمعنكم الله فهي لام القسم[(١)].

ويقول ﷻ: ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ ﴾ فهذه أربعة أقسام جوابها: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الذاريات].

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٢٣٢) ومشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٢٤٦)

المواضع التي أمر الله نبيه بالقسم فيها على البعث والمعاد:

وتقدم ذكر الثلاث الآيات التي أمر الله فيها نبيّه ﷺ أن يُقسِمَ على صدق البعث ومجيء البعث يوم القيامة، وهي قوله ﷻ: -وهو **الموضع الأول**-: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ ﴾ [سبأ: ٣].

ويقول سبحانه في سورة يونس -وهو **الموضع الثاني**-: ﴿ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ ﴾ يعني البعث والجزاء والنشور، فيقول الله: ﴿ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ ﴾ [يونس: ٥٣].

ويقول ﷻ في سورة التغابن -وهو **الموضع الثالث**-: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ ﴾ [التغابن: ٧]. فهذه ثلاثة مواضع في القرآن يأمر الله ﷻ فيها نبيّه ﷺ أن يُقسِمَ على أن البعث حق.

المدح للمؤمنين المصدقين بالبعث والنشور:

ويأتي في القرآن مَدْحُ المؤمنين الذين آمنوا بالله واليوم الآخر، مثل قول الله ﷻ: ﴿ الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥ ﴾ [البقرة].

الذم لمن كذّب بالمعاد:

كما ورد في كتاب الله سبحانه الذمُّ لمن كذّب بالمعاد والبعث والنشور، يقول سبحانه: ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ٤٥ ﴾ [يونس].

إخبار الله تعالى بأن القيامة حق:

كذلك يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ ﴾ [فاطر: ٥] فهذا خبرٌ من ربنا ﷻ ووَعْدٌ صادق وخبر لازم أنّ يوم القيامة آتٍ لا محالة، ﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧ ﴾ [النساء]، ﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢ ﴾ [النساء].

الاستدلال بالنشأة الأولى على البعث والمعاد:

كذلك إذا تأملنا في كتاب الله ﷻ نجد أنّ الله ﷻ يستدِلُّ بالنشأة الأولى على النشأة الأخرى. فتأمل قوله سبحانه: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ ﴾ [مريم] يعني أنّ المكذبين يقولون: كيف سنبعث بعد أن متنا ؟! فقال الله: ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ ﴾ [مريم] يعني: إحياؤُك بعد وفاتك أهونُ من خلقك الأول على الله، كما قال ﷻ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحقاف]، وفي أول سورة الحج يقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ [الحج: ٥].

يسوق لك الله سبحانه حياتك، وكيف بدأت، ويُذكِّرُك أنه ﷻ خَلَقَك من عدم، فليست إعادتك بعد موتك بأعظم على الله ﷻ.

ضرب الأمثال على المعاد:

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْۦِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج].

فالقرآن يُبيِّنُ لك ما كان عليه الإنسان: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ ﴾ [الإنسان] وقوله: ﴿ هَلْ أَتَىٰ ﴾ يعني: قد جاء عليه وقتٌ كنت فيه عدما، ولم تكن فيه شيئًا مذكورًا، ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان].

وانظر أيضًا إلى قول الله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ﴾ فيقول الله ﷻ مجيبًا لهم: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [الإسراء].

ويقول ﷻ: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾ [يس].

ويقول ﷻ: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ [غافر: ٥٧].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "من المعلوم ببداهة العقول أن خلق السماوات والأرض أعظمُ من خلق أمثال بني آدم، والقدرة عليه أبلغُ، وأنّ هذا الأيسر أولى بالإمكان والقدرة من ذلك"[(١)].

ويقول ابن أبي العز رحمه الله -شارح الطحاوية-: "أخبر أنّ الذي أبدع السماوات والأرض، على جلالتهما، وعِظَمِ شأنهما، وكِبَرِ أجسامهما، وسعتِهما، وعجيبِ خلقهما، أقدرُ على أن يحيِيَ عظامًا قد صارت رميمًا، فيردّها إلى حالتها الأولى"[(٢)].

إذًا هذه كلُّها أدلة من القرآن متنوعة في بيان أن الله سبحانه قادرٌ على أن يبعث العباد بعد الموت وأنّ إنكار من أنكر من الكافرين والمكذِّبين إنما هو تَعَامٍ عن الحق وإنكارٌ للفطرة وتكذيبٌ لله ولرسله عليهم السلام.

التكذيبُ بالبعث تكذيبٌ بألوهية الله وربوبيته:

كذلك يأتي في كتاب الله ﷻ بيانُ أن من تمام ألوهية الله وربوبيته قدرتَه على تحويل الخلق من حال إلى حال؛ فالتكذيبُ بالبعث والجزاء والنشور هو: تكذيبٌ بألوهية الله وربوبيته. يقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الأنعام].

فالإله الحق والرب سبحانه هو القادر على ذلك.

---

(١) الفتاوى الكبرى (١/١٢٧).

(٢) شرح الطحاوية لابن أبي العز (٢/٥٩٥).

ويقول ﷻ: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ ﴾ [يس: ٧٨] أي: وضرب لنا هذا المكذّب بالبعث ﴿ مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ ﴾. جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ ومعه عَظْمٌ يَفُتُّه بين يديه، ويقول يا محمد، أتزعم أن الله يبعث هذا؟! فنزلت الآيات: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس].(١)

---

(١) قال ابن كثير في التفسير (٦/ ٥٩٤): قَالَ مُجَاهِدٌ، وعِكْرِمَة، وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، والسُّدِّي. وَقَتَادَةُ: جَاءَ أُبي بْنُ خَلَفٍ لَعَنَهُ اللَّهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِي يَدِهِ عَظْمٌ رَمِيمٌ وَهُوَ يُفَتِّتُه وَيُذْرِيهِ فِي الْهَوَاءِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، أَتَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ هَذَا؟ فَقَالَ: «**نَعَمْ، يُمِيتُكَ اللَّهُ تَعَالَى ثُمَّ يَبْعَثُكَ، ثُمَّ يَحْشُرُكَ إِلَى النَّارِ**». وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ آخِرِ "يس": ...، إِلَى آخِرِهِنَّ. وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الحسين بْنِ الْجُنَيْدِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الزَّيَّاتُ، عَنْ هُشَيْم، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابن عباس ﷺ، أن العاصي بْنَ وَائِلٍ أَخَذَ عَظْمًا مِنَ الْبَطْحَاءِ ففتّه بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُحْيِي اللَّهُ هَذَا بَعْدَ مَا أَرَى؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**نَعَمْ، يُمِيتُكَ اللَّهُ ثُمَّ يُحْيِيكَ، ثُمَّ يدخلك جهنم**». قال: وَنَزَلَتِ الْآيَاتُ مِنْ آخَرِ "يس". وَرَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هُشَيْمٍ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَذَكَرَهُ وَلَمْ يَذْكُرِ "ابْنَ عَبَّاسٍ" ا هـ. قلت: حديث ابن عباس ﷺ المذكور حديث صحيح، رواه أيضا الإسماعيلي في المعجم (٣٥٩) وابن مردويه في تفسيره -كما في الدر المنثور (٧٤/٧)- ومن طريقه رواه الضياء المقدسي في المختارة (٨٧/١٠)- من طريق أبي كريب محمد بن العلاء حدثنا عثمان به -وعثمان صدوق- وقد توبع؛ فقد رواه الحاكم في المستدرك (٣٦٠٦) -وعنه البيهقي في البعث (١٥)- من طريق عمرو بن عون -وهو ثقة ثبت- قال حدثنا هشيم أنبأنا أبو بشر به. وقال الحاكم: هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ا.هـ قلت: رجاله رجال الشيخين، وليس على شرطهما، فإن الحاكم رواه من طريق عمرو بن عون -وهو من شيوخ البخاري-؛ ومسلم إنما يروي عنه بواسطة، وتلميذه عند الحاكم هو الفضل الشعراني وليس هو من رجال الكتب الستة. -وهو ثقة-، ثم إن في سنده اختلافا وهو لا يضر -إن شاء الله-؛ فقد اختلف فيه على هشيم، فرواه عثمان الزيات وعمرو -كما تقدم وتابعهما محمد بن حسان - كما في تلخيص المتشابه في الرسم للخطيب (١/ ٣٨٦)- موصولا -بذكر ابن عباس ﷺ-. ورواه يعقوب بن =

وهذه الآيات فيها جملة من الدلائل على تحقق البعث والجزاء والنشور، فالله سبحانه احتجّ بالإبداء على الإعادة، وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى؛ إذ كلُّ عاقلٍ يعلم ضرورةً أن من قَدَرَ على هذه قَدَرَ هذه. وأكّد سبحانه الأمر بحجة قاهرة وبرهان ظاهر، فقال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [يس]. فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر الذي هو في غاية الحرارة واليبوسة من الشجر الأخضر المتلِئ بالرطوبة والبرودة!! فهذا ضربٌ للأمثال وتبيينٌ من الله ﷻ، ثم يأتي التأكيد من الله ﷻ على ذلك في هذه الآيات: يقول: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ ﴾. ثم يؤكِّد اللهُ ﷻ أنّ فعله ليس بمنزلة غيره: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾. [يس]

أمثلة حسية رآها الناس لإحياء الموتى:

ومن دلائل القرآن على تحقق البعث والجزاء والنشور أنّ الله ﷻ أرى الناسَ بعضَ هذه الأمور في هذه الدنيا؛ ليتبين لهم أن الله ﷻ على كل شيء قدير. **ومن هذه الأمثلة:**

المثال الأول:

يقول البيهقي رحمه الله: "وقد نبّهَنا اللهُ ﷻ على إحياء الموتى بما أخبر من إراءة إبراهيم عليه السلام إحياء الأموات، وقد نَقَلَتْهُ عامّةُ أهل الملل"[(١)].

فهذا أمرٌ بيّنه اللهُ ﷻ في القرآن، وتناقلته عامة أهل الملل كما يقول البيهقي رحمه الله، وذلك في قول الله ﷻ في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ

إبراهيم الدورقي -كما في تفسير الطبري (١٩/ ٤٨٧)، وهو ثقة حافظ-؛ وفضيل بن عبد الوهاب -كما في الأهوال لابن أبي الدنيا (٨٨) وهو ثقة- عن هشيم به مرسلاً -ليس فيه ذكر ابن عباس-؛ وخالفهم جميعا: محمد بن بكار -كما عند الحارث بن أبي أسامة في مسنده (بغية الباحث/٧١٩) وهو ثقة- فرواه عن هشيم عن حصين عن أبي مالك -وهو غزوان الغفاري- مرسلا وسمى الرجل "أبي بن خلف". فالظاهر صحة الحديث موصولا بذكر ابن عباس وهو زيادة ثقة مقبولة لم يوجد ما يوجب التوقف فيها.

(١) شعب الإيمان (١/٤١٠).

حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ [البقرة]. أَخَذَ أربعة من الطير، وقطّعها ثم أحياها الله ﷻ ورآها إبراهيمُ عليه السلام فهذا مثلٌ حيٌّ شاهده الناس، وعرفته الأمم، وتناقلته الملل أن إبراهيم عليه السلام طلب من ربه ذلك، وأن الله ﷻ أراه إحياء هذه الطيور بعد أن قُطِّعَتْ أجزاءً.

المثال الثاني:

قال البيهقي: "وبما أخبر به عن: ﴿ ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَـٰهُمۡۚ ﴾". وذلك في قول الله ﷻ في سورة البقرة: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَـٰهُمۡۚ ﴾ [البقرة: ٢٤٣] أناس فرُّوا من ديارهم وهم ألوف خشيةَ الموت، فأماتهم الله ثم أَمَرَ بإحيائهم، فأحياهم ﷻ وهذا مما يعرفه بنو إسرائيل.

المثال الثالث:

ثم قال البيهقي: "وَبِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ الَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ، وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا"[(١)].

يعني بذلك قولَ الله ﷻ: ﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٩]. رآها خاويةً على عروشها، فتعجب كيف يكون إحياء الله لها بعد موتها؟! قال الله: ﴿ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ [البقرة].

ويقول بعض أهل التفسير: إن هذا هو عزير عليه السلام،[(٢)] وأن الله سبحانه أماته مائة عام ثم أحياه، فرجع إلى أهله وأبنائه وهو على عمره السابق، فرأوه حيًّا بعد أن كان ميتًا.

---

(١) شعب الإيمان (١/٤١٠).

(٢) نقله الطبري في التفسير (٤/ ٥٧٨) عن جماعة منهم: ناجية بن كعب وسليمان بن بريدة وقتادة والربيع بن أنس وعكرمة والسدي والضحاك ونقل عن غيرهم أنه إِرْمِيَا بْنُ حَلْقِيَّا وروى عن ابْن إِسْحَاقَ أَنَّ =

المثال الرابع:

قال البيهقي: "وبما أخبر به عن عصا موسى عليه السلام وقَلْبِه إيّاها حيةً ثم إعادتها خشبةً ثم جعلها عند محاجة السحرة حيَّةً ثم إعادتِها خشبةً، وقد اشتركت عامةُ أهلِ الملل في نقله"(١). إذًا هذا أيضًا من الأمور التي تدل على تحقق البعث والجزاء والنشور.

المثال الخامس:

قال البيهقي: "وبما أخبر به من شأن أصحاب الكهف الذين ضرب على آذانهم زيادةً على ثلاثمائة سنة ثم أحياهم؛ ليدل قومهم عندما أعثرهم عليهم على أنّ ما أنذروا به من البعث بعد الموت حقٌّ لا ريب فيه"(٢).

المثال السادس:

ومن ذلك ما جعله الله تعالى من آيات عيسى ابن مريم عليه السلام من إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم بإذن الله تعالى، حيث كان يصنع من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله، وكان يُحيِي الموتى بإذن الله كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنه في كتابه الكريم.

المثال السابع:

وفي سورة البقرة ذكر لنا ربنا سبحانه وتعالى أيضًا قصة قتيل بني إسرائيل وقصة ذبح البقرة، وأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [البقرة]. وذلك أنه لما قَتَلَ بنو إسرائيل قتيلًا، واتّهم كُلُّ قبيلٍ القبيلَ الآخر بقتله أَمَرَهُمْ نبيُّهم موسى عليه السلام أن يذبحوا بقرة ثم قال: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ ﴾ يعني: خذوا بعضًا من هذه البقرة واضربوا به الميت فإنّ الله سبحانه سيُحْيِيه، فكان كما أخبرهم نبيُّهم موسى عليه السلام فقام، وشاهده الناس.

إِرْمِيَا هُوَ الْخَضِرُ. وقال الطبري: **وَلَا بَيَانَ عِنْدَنَا مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي يَصِحُّ مِنْ قِبَلِهِ الْبَيَانُ عَلَى اسْمِ قَائِلِ ذَلِكَ، ...وَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى مَعْرِفَةِ اسْمِهِ، إِذْ لَمْ يَكُنِ الْمَقْصُودُ بِالْآيَةِ تَعْرِيفَ الْخَلْقِ اسْمَ قَائِلِ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ بِهَا تَعْرِيفُ الْمُنْكِرِينَ قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَى إِحْيَائِهِ خَلْقَهُ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، وَإِعَادَتِهِمْ بَعْدَ فَنَائِهِمْ**...إلخ. وكلام الإمام الطبري يكتب بماء الذهب.

(١) شعب الإيمان (٤١٠/١).

(٢) المرجع السابق.

المثال الثامن:

وفي سورة البقرة مثالٌ آخرُ، وهو في قصة قوم موسى عليه السلام حين قالوا له: ﴿ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً ﴾ [البقرة: ٥٥] فأماتهم الله تعالى، ثم أحياهم، وفي ذلك يقول الله تعالى مخاطبًا بني إسرائيل: ﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ۝٥٥ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٥٦ ﴾ [البقرة: ٥٥-٥٦].

ذكر ما اشتملت عليه سورةُ البقرة من المواضع:

وقد اشتملت سورةُ البقرة وحدها على خمسة أمثلة حِسِّيّة تدل على تحقق البعث والنشور ووجوب الإيمان به:

الموضع الأول: هو المتقدم في قصة قوم موسى عليه السلام حين قالوا له: ﴿ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً ﴾ [البقرة: ٥٥]

الموضع الثاني: في قصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل، فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة، فيضربوه ببعضها؛ ليخبرهم بمن قتله.

الموضع الثالث: في قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم فرارًا من الموت وهم ألوف فأماتهم الله تعالى، ثم أحياهم، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ۝٢٤٣ ﴾ [البقرة].

الموضع الرابع: في قصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها المتقدمة.

الموضع الخامس: في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ ﴾ الآية.

هذه خمس قصص في سورة البقرة، وهي أمثلة حسية واقعية تدل على تحقق البعث بعد الموت وإحياء الموتى. وأنه حقٌّ لا مِرْية فيه.

ضرب المثل على أن البعث حق بإحياء الله الأرض بالنبات:

وجاء من الأدلة في كتاب الله أيضًا ضربُه المثل بإحيائه الأرض بالنبات. فإن الله ﷻ يقول: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [فصلت].

إخبار الله آدم عليه السلام بالبعث عند إهباطه الأرض:

ولما أهبط الله ﷻ آدم إلى الأرض عرّفه بالبعث والمعاد، فقال له: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [البقرة] وقال: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [البقرة].

اعتراف إبليس بالبعث:

وفي قصة إبليس وطرده من رحمة الله ﷻ: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الحجر].

إخبار الأنبياء أقوامهم بالبعث:

وإذا تأملنا في قصص الأنبياء سنجد أنه ما من نبي بعثه الله ﷻ إلا وقد أنذر قومه، وأخبرهم بالبعث والجزاء والنشور ويوم الدين ويوم القيامة. يقول الله ﷻ في شأن أهل النار: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الزمر: ٧١]. فالكفار كلُّهم يُسأَلون يوم القيامة، فيقولون: نعم قد جاءنا رسل وأخبرونا عن هذا اليوم العظيم.

إخبار نوح عليه السلام قومه بالبعث:

ونوح عليه السلام أخبر قومه ففي قصة نوح أخبر الله تعالى أنه قال لقومه: ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾ [نوح].

إخبار هود عليه السلام بالبعث:

وفي قصة هود عليه السلام يقول ربنا ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ

مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المؤمنون]. وهذا يدل على أنه أخبرهم بيوم البعث والجزاء والنشور، فكذّبوا ذلك؛ فأخذتهم الصاعقة، وعذّبهم الله ﷻ.

إخبار إبراهيم عليه السلام بالبعث:

وفي قصة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام أنه دعا لمكة وأهلها، قال: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [البقرة]

إخبار شعيب عليه السلام قومه بالبعث:

وفي قصة شعيب عليه السلام يخبرنا الله ﷻ أنه قال: ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [العنكبوت].

إخبار موسى عليه السلام بالبعث:

وكذلك في قصة موسى عليه السلام في مناجاته لله ﷻ: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [طه].

وهكذا في قصص بقية الأنبياء فما من نبي بعثه الله ﷻ إلا وبيّن لقومه أن الساعة حق، وأن البعث والنشور بعد الموت حق، وأنّ من كذّب ذلك كان من أهل النار.

تكذيب العاصي بن وائل بالبعث ونزول القرآن في ذلك:

وجاء في صحيح البخاري عن الخباب بن الأرت رضي الله عنه أنه قال: كُنْتُ قَيْنًا فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ لِي عَلَى العَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ، قَالَ: لاَ أُعْطِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَقُلْتُ: "لاَ أَكْفُرُ حَتَّى يُمِيتَكَ اللَّهُ، ثُمَّ تُبْعَثَ"، قَالَ: دَعْنِي حَتَّى أَمُوتَ وَأُبْعَثَ،

فَسَأُوتَى مَالًا وَوَلَدًا فَأَقْضِيكَ، فَنَزَلَتْ: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ۝٧٨﴾ [مريم][(١)].

إخبار نبينا ﷺ عن حال أهل القبور وأنهم يبعثون:

وأخبرنا النبي ﷺ أنّ المؤمن في قبره منعّمٌ حتى يبعثه الله يوم القيامة، وأنّ الكافر معذّبٌ حتى يبعثه الله يوم القيامة يقول النبي عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[(٢)].

مزيد من أدلة السنة على البعث والنشور:

ويقول النبي ﷺ كما في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الله: «**كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي، كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ ...**»[(٣)] الحديث.

وجاء معناه في صحيح البخاري أيضا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.[(٤)]

أولُ من يبعث نبيُّنا محمد ﷺ:

وأخبرنا النبي ﷺ أنه هو أوّلَ من يبعث وأول من ينشق عنه القبر ﷺ. ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**»[(٥)].

وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنِّي أَوَّلُ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ بَعْدَ النَّفْخَةِ الآخِرَةِ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى مُتَعَلِّقٌ بِالعَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَكَذَلِكَ كَانَ أَمْ بَعْدَ النَّفْخَةِ**»[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٩١).

(٢) المرجع السابق (١٣٧٩) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) المرجع السابق (٤٩٧٤).

(٤) المرجع السابق (٤٤٨٢).

(٥) أخرجه مسلم (٢٢٧٨).

(٦) أخرجه البخاري (٤٨١٣).

وقال ﷺ: «يَصْعَقُ النَّاسُ حِينَ يَصْعَقُونَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ قَامَ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالعَرْشِ، فَمَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ»(١).

يُبعَث الناسُ على نياتهم:

وأخبر النبي ﷺ أن الناس إذا بُعِثُوا يُبعَثون على نياتهم، ويُبعَثُون على أعمالهم، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «يَغْزُو جَيْشٌ الكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ، يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ»(٢) يعني: فإن ربك لا يظلم أحدًا. وعنها رضي الله عنها أيضا أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَؤُمُّونَ بِالْبَيْتِ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، قَدْ لَجَأَ بِالْبَيْتِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الطَّرِيقَ قَدْ يَجْمَعُ النَّاسَ-يعني قد يكون فيهم من ليس منهم- قَالَ: «نَعَمْ، فِيهِمُ الْمُسْتَبْصِرُ وَالْمَجْبُورُ وَابْنُ السَّبِيلِ، يَهْلِكُونَ مَهْلَكًا وَاحِدًا، وَيَصْدُرُونَ مَصَادِرَ شَتَّى، يَبْعَثُهُمُ اللهُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ»(٣).

يُبعَث كلُّ عبد على ما مات عليه من عمل:

وفي صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال ﷺ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»(٤). يعني على ما مات عليه من عمل.

فاجتهد يا عبد الله في إصلاح عملك؛ لتموت على عمل صالح.

ويقول ﷺ: «مَنْ مَاتَ عَلَى مَرْتَبَةٍ مِنْ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ بُعِثَ عَلَيْهَا»(٥) يعني من رباط أو حج أو عمرة أو غير ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥١٨) واللفظ له، ومسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢١١٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٨٤).

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٧٨).

(٥) أخرجه أحمد (٢٣٩٤١) من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه. وصححه شيخنا العلامة الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٥٦٨) وانظر: السلسلة الصحيحة (١/ ٥٧٢).

وفي قصة الرجل الذي وقصته الدابة في الحج قال النبي ﷺ: «**اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ، وَلاَ تُحَنِّطُوهُ، وَلاَ تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُلَبِّيًا**»(١).

وفي سنن أبي داود عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه:

أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ، دَعَا بِثِيَابٍ جُدُدٍ فَلَبِسَهَا، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الْمَيِّتَ يُبْعَثُ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي يَمُوتُ فِيهَا**»(٢)

-هكذا أجراه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه على ظاهره-،

والصحيح أن المراد به العمل كما قال البيهقي وغيره(٣).

والحديث رواه ابن حبان في صحيحه وقال: أَرَادَ بِهِ فِي أَعْمَالِهِ كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ ﴾ [المدثر] يُرِيدُ بِهِ: وَأَعْمَالَكَ فَأَصْلِحْهَا لَا أَنَّ الْمَيِّتَ يُبْعَثُ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي قُبِضَ فِيهَا، إِذِ الْأَخْبَارُ الْجَمَّةُ تُصَرِّحُ عَنِ الْمُصْطَفَى ﷺ بِأَنَّ النَّاسَ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا ا.هـ(٤)

وقَالَ الْخَطَّابِيُّ: ... وَالْعَرَبُ تَقُولُ فُلَانٌ طَاهِرُ الثِّيَابِ إِذَا وَصَفُوهُ بِطَهَارَةِ النَّفْسِ وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْعَيْبِ وَدَنَسِ الثِّيَابِ إِذَا كَانَ بِخِلَافِ ذَلِكَ ا.هـ(٥)

وقال المنذري: وقد قال كل من وقفت على كلامه من أهل اللغة إن المراد بقوله «**يُبْعَثُ فِي ثِيَابِهِ**» التي قبض فيها أي في أعماله قال الهروي ... وليس قول من ذهب إلى الأكفان بشيء لأن الميت إنما يكفن بعد الموت انتهى قال المنذري: وفعل أبي سعيد

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٦٥) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، ومسلم (١٢٠٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود (٣١١٤) وصححه الحاكم (١٢٦٠) وقال على شرط الشيخين ووافقه الألباني في الصحيحة (١٦٧١) وفيه نظر فالحديث من رواية يحي بن أيوب عن ابن الهاد، وليست هذه السياقة في سنده من شرطهما. ويحي فيه ضعف، قال المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٠٥): وفي إسناده يحي بن أيوب وهو الغافقي المصري احتج به البخاري ومسلم وغيرهما وله مناكير وقال أبو حاتم لا يحتج به وقال أحمد سيئ الحفظ وقال النسائي ليس بالقوي ا.هـ

(٣) «شعب الإيمان» (١/ ٥٤٩ ط الرشد) وانظر: «البعث والنشور للبيهقي ت الشوامي» (ص٢٢٤) و«جامع المسائل - ابن تيمية - ط عطاءات العلم» (٤/ ٢٢٤)

(٤) صحيح ابن حبان (٧٣١٦)

(٥) «معالم السنن» (١/ ٣٠١)

راوي الحديث يدل على إجرائه على ظاهره وأن الميت يبعث في ثيابه التي قبض فيها وفي الصحاح وغيرها أن الناس يبعثون عراة ا.هـ[١]

ما تتميز به هذه الأمة عند البعث:

وأخبرنا النبي ﷺ أن هذه الأمة تتميز حين يبعث الناس، ففي مسند الإمام أحمد عن كعب بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ، وَيَكْسُونِي رَبِّي ﷻ حُلَّةً خَضْرَاءَ، ثُمَّ يُؤْذَنُ لِي، فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَقُولَ، فَذَاكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ**»[٢]

---

(١) الترغيب والترهيب (٤/ ٢٠٥) وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١١/ ٣٨٣): وَيُجْمَعُ بَيْنَهُمَا بِأَنَّ بَعْضَهُمْ يُحْشَرُ عَارِيًا وَبَعْضَهُمْ كَاسِيًا أَوْ يُحْشَرُونَ كُلُّهُمْ عُرَاةً ثُمَّ يُكْسَى الْأَنْبِيَاءُ فَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَوْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْقُبُورِ بِالثِّيَابِ الَّتِي مَاتُوا فِيهَا ثُمَّ تَتَنَاثَرُ عَنْهُمْ عِنْدَ ابْتِدَاءِ الْحَشْرِ فَيُحْشَرُونَ عُرَاةً ثُمَّ يَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمَ **وَحَمَلَ بَعْضُهُمْ حَدِيثَ أَبِي سَعِيدٍ عَلَى الشُّهَدَاءِ لِأَنَّهُمُ** الَّذِينَ أُمِرَ أَنْ يُزَمَّلُوا فِي ثِيَابِهِمْ وَيُدْفَنُوا فِيهَا فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَبُو سَعِيدٍ سَمِعَهُ فِي الشَّهِيدِ فَحَمَلَهُ عَلَى الْعُمُومِ وَمِمَّنْ حَمَلَهُ على عُمُومه معَاذ بن جبل فَأخْرج ابن أَبِي الدُّنْيَا [في كتاب الأهوال (٢٢٤)، وفي كتاب النفقة على العيال (٥١٥) ورواه ابن أبي شيبة (١١١٣٢) -ومن طريقه ابن المنذر في الأوسط (٢٩٨٥)-] بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْأَسْوَدِ قَالَ دَفَنَّا أُمَّ مُعَاذَ بْنِ جَبَلٍ [في مصادر التخريج أنها امرأته لا أمه، وعند ابن المنذر "أوصى بامرأة"] فَأَمَرَ بِهَا فَكُفِّنَتْ فِي ثِيَابِ جُدُدٍ وَقَالَ: « **أَحْسِنُوا أَكْفَانَ مَوْتَاكُمْ فَإِنَّهُمْ يُحْشَرُونَ فِيهَا**» قَالَ وَحَمَلَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى الْعَمَلِ وَإِطْلَاقِ الثِّيَابِ عَلَى الْعَمَلِ وَقَعَ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وَقَوله تَعَالَى ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ ﴾ [المدثر] عَلَى أَحَدِ الْأَقْوَالِ وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ قَالَ مَعْنَاهُ وَعَمَلَكَ فَأَخْلِصْهُ. وَيُؤَكِّدُ ذَلِكَ حَدِيثُ جَابِرٍ ... وَحَدِيثُ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ ... وَرَجَّحَ الْقُرْطُبِيُّ الْحَمْلَ عَلَى ظَاهِرِ الْخَبَرِ ... قَالَ فَيُحْمَلُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ عَلَى الشُّهَدَاءِ لِأَنَّهُمْ يُدْفَنُونَ بِثِيَابِهِمْ فَيُبْعَثُونَ فِيهَا تَمْيِيزًا لَهُمْ عَن غَيرهم وَقد نَقله ابن عَبْدِ الْبَرِّ عَنْ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ وَمِنْ حَيْثُ النَّظَرُ إِنَّ الْمَلَابِسَ فِي الدُّنْيَا أَمْوَالٌ وَلَا مَالَ فِي الْآخِرَةِ مِمَّا كَانَ فِي الدُّنْيَا وَلِأَنَّ الَّذِي يَقِي النَّفْسَ مِمَّا تَكْرَهُ فِي الْآخِرَةِ ثَوَابٌ بِحُسْنِ عَمَلِهَا أَوْ رَحْمَةٌ مُبْتَدَأَةٌ مِنَ اللَّهِ وَأَمَّا مَلَابِسُ الدُّنْيَا فَلَا تُغْنِي عَنْهَا شَيْئًا قَالَهُ الْحَلِيمِيُّ ا.هـ

(٢) مسند أحمد (١٥٧٨٣) وصحيح ابن حبان (٦٤٧٩) والحاكم (٣٣٨٣) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٧٠) قلت: وتعقب شيخنا الوادعي الحاكم فقال في كتاب الشفاعة (ص: ٥١): قد اختلف في سماع عبد الرحمن من جده كعب، ولا يضر هنا لأنه في الشواهد ا.هـوقال الحافظ في التهذيب: وقع في صحيح البخاري في الجهاد تصريحه بالسماع من جده . وقال الذهلي في العلل: ما أظنه سمع من جده شيئا. وقال الدارقطني: روايته عن جده مرسل. وقال أبو العباس الطرقي: إنما روى عن جده أحرفا في الحديث، ولم يمكنه الحديث بطوله فاستثبته من أبيه . اهـ

قوله «عَلَى تَلٍّ» أي: على موضع مرتفع. فهذا من تمييز الله ﷻ لهذه الأمة التي شرّفها الله ﷻ وكرّمها على سائر الخلق.

وقال القرطبي: وذهب أبو حامد في كتاب كشف علوم الآخرة إلى حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**بالغوا في أكفان موتاكم فإن أمتي تحشر بأكفانها وسائر الأمم عراة**» ورواه أبو سفيان مسنداً. وهذا الحديث لم أقف عليه. والله أعلم بصحته، وإن صح فيكون معناه فإن أمتي الشهداء تحشر بأكفانها حتى لا تتناقض الأخبار والله أعلم ا.هـ[١]

من أذكار اليوم والليلة المشتملة على ذكر البعث والنشور:

وقد كان من دعاء النبي ﷺ إذا استيقظ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**»[٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ: «**اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ**» وَإِذَا أَمْسَى قَالَ: «**اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ**»[٣] وفي رواية: «**وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**»[٤].

الأهوال العظيمة عند البعث:

كان من دعاء نبينا ﷺ إذا أراد أن ينام وتوسد يمينه: «**رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ**»[٥].

---

(١) «التذكرة بأحوال الموتى» (ص٥٣٧) وقال الحافظ في الفتح (١١/ ٣٨٤): وَذَهَبَ الْغَزَالِيُّ إِلَى ظَاهِرِ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ وَأَوْرَدَهُ بِزِيَادَةٍ لَمْ أَجِدْ لَهَا أَصْلًا وَهِيَ فَإِنَّ أُمَّتِي تُحْشَرُ فِي أَكْفَانِهَا وَسَائِرُ الْأُمَمِ عُرَاةٌ ا.هـ

(٢) أخرجه البخاري (٦٣١٢) عن حذيفة ﷺ وفي (٦٣٢٥) عن أبي ذر ﷺ وهو في صحيح مسلم (٢٧١١) من حديث البراء ﷺ.

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٦٨).

(٤) رواها الترمذي (٣٣٩١).

(٥) رواه الترمذي (٣٣٩٨) من حديث حذيفة ﷺ و(٣٣٩٩) من حديث البراء ﷺ وأبو داود (٥٠٤٥) من حديث أم المؤمنين حفصة ﷺ. وابن ماجه (٣٨٧٧) من حديث ابن مسعود ﷺ والبزار (٣١١٠) من حديث أنس ﷺ.

وفي صحيح مسلم عَنِ الْبَرَاءِ ﷺ، قَالَ: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَحْبَبْنَا أَنْ نَكُونَ عَنْ يَمِينِهِ، يُقْبِلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، قَالَ: فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ - أَوْ تَجْمَعُ - عِبَادَكَ**»(١).

فهذا يبين لنا أنه حين يبعث الله ﷻ العباد تكون هناك أهوالٌ عظيمةٌ جدًّا، وسيأتي معنا إن شاء الله تعالى ذِكْرُ بعض هذه الأهوال في مجلس قادم

والله أعلم.

(١) رواه مسلم (٧٠٥) وفي إسناده ومتنه علة نبه عليها العلامة الألباني ﷺ في الصحيحة (٦/ ٥٨٩) وفي صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٣٣٤).

الإيمان بالحشر

المجلس السادس والعشرون [١]

الشعبة الثامنة من شعب الإيمان: الإيمان بالحشر

الشعبة الثامنة عَنْوَنَ لها الإمام البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: "الثامن من شعب الإيمان وهو بابٌ في حشر الناس بعدما يبعثون من قبورهم إلى الموقف الذي بين لهم من الأرض، فيقومون ما شاء الله تعالى، فإذا جاء الوقت الذي يريد الله محاسبتهم فيه أَمَرَ بالكتب التي كتبها الكرام الكاتبون بذكر أعمال الناس فأوتوها، فمنهم من يؤتى كتابه بيمينه، فأولئك هم السعداء، ومنهم من يؤتى كتابه بشماله أو وراء ظهره، وهؤلاء هم الأشقياء، قال الله تعالى في المطففين: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ٤-٦]" وقال: "وأخبر أن الناس يكونون يوم القيامة واقفين على أقدامهم، وأبان أنه لا حال لهم يومئذ سوى القيام"[٢].

الإيمان بالحشر بعد البعث من الإيمان باليوم الآخر:

ذكر البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الشعبة مستقلة، وأفردها بالعدد، وهي شعبة: الحشر، وذكر بعدها الشعبة التاسعة، وهي ما يتعلق بذكر الجنة والنار وما بين هاتين الشعبتين سَرَدَ أمورًا كثيرة مما يتعلق بأمور الآخرة وبأمور الموقف وما يكون بعد حشر الناس إلى رب العالمين عَلَيْهِ السَّلَامُ في أرض المحشر من تطاير الصحف والميزان والسوط والحوض والشفاعة، وسنأتي -إن شاء الله تعالى- على ذكر كلٍّ من هذه الأمور بإذن الله تعالى، وكلُّها داخلةٌ في الإيمان باليوم الآخر الذي هو ركن من أركان الإيمان.

تعريف الحشر:

أصل الحشر الجمع لكنه مع سَوق[٣]. ويعرفه العلماء بأنه: "حَشْرُ الْأَمْوَاتِ مِنْ قُبُورِهِمْ وَغَيْرُهَا بَعْدَ الْبَعْثِ جَمِيعًا إِلَى الْمَوْقِفِ"[٤].

---

(١) كان في يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شهر رمضان ١٤٤١هـ.

(٢) شعب الإيمان (١/٤١٥).

(٣) ينظر: «مجمل اللغة لابن فارس» (ص٢٣٦)

(٤) ينظر: «فتح الباري لابن حجر» (١١/ ٣٧٩)

وقال القاسمي رحمه الله: "الحشر: اسمٌ يقع على ابتداء خروجهم من الأجداث إلى انتهاء الموقف"(١).

فالحشر متعلق بالبعث، فبعد أن يقوم الناس من قبورهم، ويبعثهم الله ﷻ يأمر الله ﷻ بهم فيُحشَرُون من قبورهم إلى أرض الموقف للحساب والجزاء ولما سيأتي إن شاء الله تعالى من الأمور التي تظهر في ذلك اليوم العظيم.

الآيات الواردة في الحشر:

وقد ورد في باب الحشر آياتٌ كثيرةٌ وأحاديثُ عدةٌ

يقول ﷻ: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٩٦ ﴾ [المائدة].

ويقول ﷻ: ﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨ ﴾ [الأنعام].

ويقول ﷻ: ﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٥١ ﴾ [الأنعام: ٥١].

ويقول ﷻ: ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ١٢٨ ﴾ [الأنعام].

ويقول ﷻ: ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ ﴾ [يونس: ٤٥].

ويقول سبحانه: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحۡشُرُهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٢٥ ﴾ [الحجر: ٢٥].

ويقول الله ﷻ: ﴿ وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ٤٧ ﴾ [الكهف].

فذكر الله ﷻ في هذه الآية المباركة أن هنالك أمورًا تتغير يوم القيامة، وهذا من أهوال يوم القيامة أن الجبال تزول، وأن الأرض تكون ظاهرة لا معلمة فيها لأحد كما

---

(١) محاسن التأويل (٨٢/٢).

سيأتي. ثم يقول ﷻ: ﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ ﴾ يعني جميعا ﴿ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ فلا يتخلف أحدٌ عن أرض المحشر.

وقال ﷻ: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [الكهف: ٩٩] فيأتي الحشر بعد النفخُ في الصور.

ويقول سبحانه: ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ [يس: ٥٣] أي: فإذا هم مجتمعون لدينا قد أُحضِرُوا فأُشهِدوا موقفَ العرض والحساب، ولم يتخلّف عنه منهم أحدٌ.

ويقول ربُّنا ﷻ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الملك: ٢٤]

أهمية التذكير بالحشر:

قال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

قال الطبري: "فمجازيكم هو بأعمالكم، المحسنُ منكم بإحسانه والمسيءُ بإساءته، ومُوَفٍّ كلّ نفس منكم ما عملت وأنتم لا تظلمون"(١).

وقال ابن عاشور رحمه الله: الْأَمْرُ فِي اعْلَمُوا لِلتَّذْكِيرِ، لِأَنَّ ذَلِكَ مَعْلُومٌ عِنْدَهُمْ ا.هـ(٢)

وقال أيضاً: لَمَّا أُرِيدَ تَحْقِيقُ الْخَبَرِ افْتُتِحَ بِالْأَمْرِ بِالْعِلْمِ، لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى تَحْقِيقِ الْخَبَرِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: لَا تَشُكُّوا فِي ذَلِكَ، فَأَفَادَ مُفَادَ إِنَّ ا.هـ(٣)

وقال: افْتِتَاحُ الْكَلَامِ بِكَلِمَةِ اعْلَمْ إِيذَانٌ بِالِاهْتِمَامِ بِمَا سَيَقُولُهُ، فَإِنَّ قَوْلَكَ فِي الْخِطَابِ: اعْلَمْ إِنْبَاءٌ بِأَهَمِّيَّةِ مَا سَيُلْقَى لِلْمُخَاطَبِ ا.هـ(٤)

وقال: مِنْ أَسَالِيبِ الْكَلَامِ الْبَلِيغِ أَنْ يُفْتَتَحَ بَعْضُ الْجُمَلِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى خَبَرٍ أَوْ طلب فهم بِاعْلَم أَوْ تَعَلَّمْ لَفْتًا لِذِهْنِ الْمُخَاطَبِ. **وَفِيهِ تَعْرِيضٌ غَالِبًا بِغَفْلَةِ الْمُخَاطَبِ عَنْ أَمْرٍ مُهِمٍّ** فَمِنَ الْمَعْرُوفِ أَنَّ الْمُخْبِرَ أَوِ الطَّالِبَ مَا يُرِيدُ إِلَّا عِلْمَ الْمُخَاطَبِ فَالتَّصْرِيحُ بِالْفِعْلِ الدَّالِّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ مَقْصُودٌ لِلِاهْتِمَامِ، ... وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيءَ ﷺ قَالَ لِأَبِي مَسْعُودٍ

---

(١) تفسير الطبري (٣/٥٧١).

(٢) التحرير والتنوير (٢/ ٢٦٤)

(٣) المرجع السابق (٢/ ٢٣٠)

(٤) المرجع السابق (٢/ ٢١١)

الْأَنْصَارِيِّ ﷺ وَقَدْ رَآهُ يَضْرِبُ عَبْدًا لَهُ «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ: أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ»[١] ا.هـ[٢]

الداعي إلى أرض المحشر:

كذلك أخبرنا الله ﷻ أن الناس يسمعون داعيًا يدعوهم إلى أرض المحشر كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [طه]. قال القاسمي رحمه الله: "﴿ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ ﴾ أي: يجيبون الداعي إلى المحشر، فينقلبون من كل صوب إليه ﴿ لَا عِوَجَ لَهُۥ ﴾ أي: لا يعوج له مَدْعُوٌّ، ولا ينحرف عنه. بل يستوون إليه، متبعين لصوته، سائرين بسير"[٣].

وقال القرطبي رحمه الله: "يريد بالداعي إسرافيل عليه السلام إذا نفخ في الصور" ﴿ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ قال: "الهمس الصوت الخفي قاله مجاهد"[٤]

ويقول ربنا ﷻ: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٥٢]. قال القرطبي: "الدعاء: النداء إلى المحشر بكلامٍ تَسْمَعُه الخلائق"[٥].

وقال ﷻ: ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ ﴾ [ق].

يخرجون إلى أرض المحشر سراعا:

ويقول ربنا ﷻ: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [يس]. وينسلون أي: يسرعون في المشي من القبور إلى المحشر، والنَّسْل نوع من أنواع المشي وهو الإسراع[٦].

---

(١) رواه مسلم (١٦٥٩)

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٣١٤)

(٣) محاسن التأويل (١٤٨/٧).

(٤) تفسير القرطبي (٢٤٧/١١).

(٥) المرجع السابق (٢٧٥/١٠).

(٦) نَسَلَ في العَدْو يَنْسِلُ وينسُل نَسْلًا ونَسَلًا ونَسَلَانًا، أي: أسرع. انظر: الصحاح للجوهري وتاج العروس للزبيدي مادة (نسل).

فأخبرنا ربنا ﷻ أنهم يحشرون إلى أرض المحشر بهذه الصفة: ﴿ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [يس: ٥٢].

ويقول ربنا ﷻ: ﴿ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ﴿٤٤﴾ ﴾ [ق]

﴿ سِرَاعٗاۚ ﴾ سراعًا: جَمْعُ سريع أي: يخرجون من قبورهم إلى أرض المحشر سراعًا.

وقال تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [المعارج: ٤٣] ﴿ يُوفِضُونَ ﴾ أي: يسرعون، والنُّصُب: جمع نَصْبٍ، وهو الصنم.

خشعا أبصارهم سراعا:

وقال تعالى: ﴿ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ﴿٧﴾ مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ ﴾ [القمر] أي: مسرعين مادِّين أعناقهم. فانظروا كيف يُقبِل الناس إلى المحشر لا اختيار لهم في ذلك، يسمعون الداعي، فيقبلون إلى أرض المحشر كأنهم جراد منتشر!!

الملائكة تسوقهم إلى المحشر:

ويقول ربنا سبحانه: ﴿ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ﴿٢١﴾ ﴾ [ق] أي: مَلَكٌ يسوقها إلى المحشر، ومَلَكٌ يشهد عليها بأعمالها. فهذه إذًا صفةٌ من الصفات التي يأتي الناس بها إلى أرض المحشر، يأتون ومعهم ملائكة، مَلَكٌ يسوق الواحد منهم، ومَلَكٌ يشهد عليه بأعماله

لا يتخلف أحد عن أرض المحشر:

وقال ﷻ: ﴿ وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الكهف]. فدلت الآية أنه لا يستطيع أحدٌ أن يتخلف عن أرض المحشر يوم القيامة.

فالله ﷻ سيحشر الأولين والآخرين على كثرتهم، سيحشرهم جميعًا في مكان واحد للجزاء والحساب، المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وكلٌّ ينال جزاءه.

يأتون أفواجا:

ويقول ربنا سبحانه: ﴿ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ﴿١٨﴾ ﴾ [النبأ].

فدلت هذه الآية أن الناس يأتون يوم القيامة إلى أرض المحشر أفواجًا أي:

أُمَمًا، كلُّ أمة مع إمامهم قال القرطبي: "وقيل: زُمَرًا وجماعات"[١].

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [النمل: ٨٣] ﴿ فَوْجًا ﴾ أي: زمرة وجماعة، ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ أي: يُدفَعون ويُساقُون إلى موضع الحساب ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [النمل].

فهذه جملةٌ من الآيات الكثيرة المتعلِّقة بهذه المسألة، وقد وَرَدَ الإيمانُ بالحشر كثيرًا في القرآن، وجاء بيانُه في آيات وأدلة عدة.

وجوب الإيمان بالحشر:

إذًا كلمة الحشر تعني كلّ ما يحصل من أحداث منذ أن يُبعَث الناس من قبورهم إلى انتهاء أرض الموقف وانفصال الناس إلى الجنة والنار، وكلُّ ذلك مما يجب الإيمان به، ويدخل تحت اسم الحشر. والإيمان بالحشر هو من الإيمان باليوم الآخر، فيجب الإيمان بما يكون يوم القيامة من الحشر والحساب وغيرهما. وهذا كما ذكرنا داخلٌ في الشعبة السادسة، وهي الإيمان باليوم الآخر، وهو أحد أركان الإيمان الستة كما قال النبي ﷺ لجبريل لما سأله: ما الإيمان؟ قال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[٢].

أثر الإيمان بالحشر:

وللإيمانِ بالحشر أثرٌ عظيمٌ على المؤمن؛ فإنه يُورِث عند العبد الخوف مما يكون في ذلك اليوم، فيخشى من الحساب، ويخشى من العذاب، ويدفعه ذلك لفعل الطاعات وترك المنكرات والبُعْد عن عصيان ربِّ الأرض والسماوات.

من أدلة السنة على الحشر:

ومن أدلة السنة: ما جاء في الصحيحين من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

---

(١) تفسير القرطبي (١٩/١٧٥).

(٢) تقدم تخريجه في المجلس الخامس.

«إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِيَ الكُفْرَ، وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا العَاقِبُ»(١).

وعلّق الحافظ ابن حجر على قوله ﷺ: «وأنا الحاشِرُ الذي يُحْشَرُ النَّاسُ علَى قَدَمَيَّ»، فقال: "أَيْ عَلَى أَثَرِي أَيْ: إِنَّهُ يُحْشَر قَبْل النَّاس"(٢).

وجاء في رواية: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى عَقِبِي»(٣) ويُفهَم من تفسير العلماء لهذا الحديث أن النبي ﷺ أوّلُ من يُحشَر. وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٤) يعني: ثم يتتابع الناس بعد ذلك.

وجاء في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يخطب على المنبر ويقول: «إِنَّكُمْ مُلاَقُو اللَّهِ – وفي رواية: إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللهِ- حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا» ثم قرأ النبي ﷺ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ثم قال عليه الصلاة والسلام: «فأوَّلُ مَن يُكْسَى إبْرَاهِيمُ، ثُمَّ يُؤْخَذُ برِجَالٍ مِن أَصْحَابِي ذَاتَ اليَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ، فأقُولُ: أَصْحَابِي! فيُقَالُ: إنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ علَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ، فأقُولُ كما قالَ العَبْدُ الصَّالِحُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٧-١١٨]»(٥)

وَعَنْ عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟! قَالَ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ»(٦).

وقوله ﷺ: «حُفَاةً» أي غير منتعلين،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٩٦)، ومسلم (٢٣٥٤).

(٢) فتح الباري (٦/٥٥٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٥٤).

(٤) أخرجه البخاري (٢٤١٢) وأحمد (١٠٩٨٧) -واللفظ له- من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (٣٤٤٧)، ومسلم (٢٨٦٠)

(٦) أخرجه البخاري (٦٥٢٧) ومسلم (٢٨٥٩) واللفظ له.

«عُرَاةً» أي: غير لابسين،

«غُرْلًا» أي: غير مختونين. فدلّ هذا الحديث على الصفة التي يُحشَر عليها الناس، فإنهم يُحشَرون «حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا»، يقفون بين يدي الله ﷻ.

رحلة جابر بن عبد الله ﷺ لسماع حديث القصاص بين الخلائق:

وفي المسند عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ رَجُلٍ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاشْتَرَيْتُ بَعِيرًا، ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلِي، فَسِرْتُ إِلَيْهِ شَهْرًا، حَتَّى قَدِمْتُ عَلَيْهِ الشَّامَ فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُنَيْسٍ ﷺ، فَقُلْتُ لِلْبَوَّابِ: قُلْ لَهُ: جَابِرٌ عَلَى الْبَابِ، فَقَالَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَخَرَجَ يَطَأُ ثَوْبَهُ فَاعْتَنَقَنِي، وَاعْتَنَقْتُهُ، فَقُلْتُ: حَدِيثًا بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْقِصَاصِ، فَخَشِيتُ أَنْ تَمُوتَ، أَوْ أَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ - عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا**» قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُهْمًا؟ قَالَ: «**لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ بُعْدٍ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ**» قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ ﷻ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا؟ قَالَ: «**بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ**»(١)

الله أكبر! والله إنه لموقف عظيم، يستدعي من الإنسان في هذه الدنيا أن يُقبِل على الله، وأن يهتم بفرائض الله، وأن يؤدي ما أمره الله ﷻ به لا سيّما في هذه الأيام المباركة الفاضلة، ونحن مقبلون على ليلة سبع وعشرين من رمضان، الليلة التي هي أرجى الليالي،

---

(١) مسند أحمد (١٦٠٤٢) وأخرجه ابن أبي شيبة في مسنده (٨٥١) والبخاري في الأدب المفرد (٩٧٠) والحاكم في المستدرك (٨٧١٥) وله طريق أخرى عند الطبراني في مسند الشاميين (١٥٣، ١٥٦) من طريق عثمان بن سعيد الصيداوي، ثنا سليمان (كذا وصوابه: سليم) بن صالح، ثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن الحجاج بن دينار، عن محمد المنكدر، عن جابر به. ورواته مترجمون في التهذيب سوى عثمان وهو مترجم في تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٨/ ٣٦٧)؛ وشيخه مترجم فيه أيضا (٧٢/ ٢٨٦) وهما مجهولان يصلح حديثهما للاعتبار.

فيا أيها العبد المؤمن تذكر هذا الموقف العظيم الذي يُحشَر فيه الناسُ، ومن هول هذا الموقف لا يهتم امرؤ إلا بنفسه.

يُحشَر المؤمنون مكرمين:

وبَيّن اللهُ ﷻ في كتابه أن أهل التقوى يحشرون مكرّمين، فقال سبحانه: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [مريم] قال الطبري رحمه الله: "يوم نجمع الذين اتقوا في الدنيا فخافوا عقابه، فاجتنبوا لذلك معاصيه، وأدّوا فرائضه إلى ربهم ﴿ وَفْدًا ﴾ يعني بالوفد: الركبان"(١). وقال ابن كثير رحمه الله: "يحشرهم يوم القيامة وفدًا إليه، والوفد: هم القادمون ركبانا"(٢) فهذا من تكريم الله ﷻ للمتقين. إن الواحد منا إذا كُرِّم في الدنيا أمام وزير أو رئيس أو أمام جماعة من الناس يفرح فرحًا عظيمًا، فكيف بهؤلاء الذين يُكرّمون أمام الخلائق كلهم، منذ أن خلق الله آدم إلى أن تزول هذه الدنيا؟! يُجمَع كُلُّ الخلائق ويكرم أهل التقوى، وغيرهم يحشرون في ذلة ومهانة، كما قال ﷻ: ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [مريم].

صفة حشر المتكبرين:

وقد جاء في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ**»(٣) يعني في صور الرجال من جهة وجوههم وهيئتهم لكنهم أمثال الذر في الصغر والحقارة والذل، يغشاهم الذل من كل مكان. نسأل الله السلامة والعافية

صفة حشر المجرمين والكافرين:

ويقول الله ﷻ: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ [طه]

---

(١) تفسير الطبري (١٥/٦٢٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/٢٦٣).

(٣) سنن الترمذي ت شاكر (٢٤٩٢) ومسند أحمد (١١/ ٢٦٠) رقم (٦٦٧٧) والبخاري في الأدب المفرد (٥٧٧). وقال الترمذي هذا حديث حسن. وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٩١١) وقال المنذري: (بُوْلَسُ) بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح اللام بعدها سين مهملة. و (الخَبَالُ) بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة ا.هـ

قيل: معناه زرق العيون من شدة العطش الذي يكون بهم عند الحشر

وقيل: أريد بذلك أنهم يحشرون عميا.(١)

ويقول ﷻ مُبيِّنًا حال من أعرض عن ذكره: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه: ١٢٤] أي: أعمى البصر؛ ولهذا يقول: ﴿ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٥-١٢٦](٢).

ويقول ربنا ﷻ في آية أخرى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ ﴾ [الإسراء: ٩٧]

فيأتون على هذه الهيئة من الذل والحقارة؛

كما في الصحيحين عن أنس ﷺ أن رجلًا قال: يا نبي الله، يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال:

«أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟!»(٣)

وفي الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ: صِنْفًا مُشَاةً، وَصِنْفًا رُكْبَانًا، وَصِنْفًا عَلَى وُجُوهِهِمْ»**، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ؟ قَالَ: **«إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَمَا إِنَّهُمْ يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَشَوْكٍ»**(٤)

وقوله: "**«يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَشَوْكٍ»** الحَدَب: -بفتحتين-: الغليظ المرتفع من الأرض، أي: يجعلون وجوههم مكان الأيدي والأرجل في التوقي عن مؤذيات الطرق، وقد غُلت أيديهم وأرجلهم، وذلك لمّا لم يجعلوها ساجدة لخالقها.

-نسأل الله السلامة والعافية- .

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٦/ ١٦١).

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم ط عالم الفوائد (١/ ١٢٣)

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٢٣)، ومسلم (٢٨٠٦).

(٤) أخرجه الترمذي (٣١٤٢) وأحمد (٨٦٤٧)، وسنده ضعيف، لكن يشهد له ما قبله.

طرائق حشر الناس يوم القيامة:

وجاء في مسند الإمام أحمد من حديث حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْبَهْزِيِّ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ أنه قال للنبي ﷺ: إِنِّي حَلَفْتُ هَكَذَا وَنَشَرَ أَصَابِعَ يَدَيْهِ حَتَّى تُخْبِرَنِي مَا الَّذِي بَعَثَكَ اللهُ بِهِ؟ قال: «بَعَثَنِي اللهُ بِالْإِسْلَامِ» إلى أن قال النبي ﷺ له: «**هَاهُنَا تُحْشَرُونَ. هَاهُنَا تُحْشَرُونَ. هَاهُنَا تُحْشَرُونَ، ثَلَاثًا، رُكْبَانًا وَمُشَاةً، وَعَلَى وُجُوهِكُمْ**» وفي رواية: «**... وَتُجَرُّونَ عَلَى وُجُوهِكُمْ**» ثم قال «**تُوفُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ ...**»[(١)] الحديث.

فبَيّن النبي ﷺ أن الناس يحشرون يوم القيامة على طرائق، فمنهم من يحشر مكرمًا، ومنهم من يحشر على هيئة الذل والمهانة، نسأل الله ﷻ السلامة.

وفي الصحيحين عن أنس ﷺ أن رجلًا قال: يا نبي الله، يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «**أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟!**»[(٢)]

ويقول ﷻ في بيان حال المشركين: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [يونس].

يقول الطبري رحمه الله: " يقول تعالى ذكره: ويوم نجمع الخلق لموقف الحساب جميعًا ﴿ ثُمَّ نَقُولُ ﴾ حينئذ ﴿ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ بالله الآلهة والأنداد ﴿ مَكَانَكُمْ ﴾ أي: امكثوا مكانكم وقفوا في موضعكم ﴿ أَنتُمْ ﴾ أيها المشركون ﴿ وَشُرَكَآؤُكُمْ ﴾ الذين كنتم تعبدونهم من دون الله من الآلهة والأوثان ﴿ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾ يقول: ففرّقْنا بين المشركين بالله وما أشركوه به"[(٣)] وهنا يبدأ كلٌّ واحد يتبرأ من الآخر، ويُكذِّب الآخر.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣١٤٣) وأحمد (٢٠٠١١).

(٢) تقدم (ص: ١٣٠).

(٣) تفسير الطبري (١٢/١٧٠)

آخر من يحشر:

وجاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**يَتْرُكُونَ المَدِينَةَ عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ، لاَ يَغْشَاهَا إِلَّا العَوَافِ-يُرِيدُ عَوَافِيَ السِّبَاعِ وَالطَّيْرِ-وَآخِرُ مَنْ يُحْشَرُ رَاعِيَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ، يُرِيدَانِ المَدِينَةَ، يَنْعِقَانِ بِغَنَمِهِمَا فَيَجِدَانِهَا وَحوشًا، حَتَّى إِذَا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الوَدَاعِ، خَرَّا عَلَى وُجُوهِهِمَا**»[(١)].

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله:

"قوله: «**فيجدانها وحوشًا**» أو يجدانها ذات وحوش أو يجدان أهلها قد صاروا وحوشًا، وهذا على أن الرواية بفتح الواو أي: يجدانها خالية وفي رواية مسلم: «**فيجدانها وَحْشًا**» أي: خالية ليس بها أحد، والوَحْش من الأرض: الخلاء"[(٢)].

صفة أرض المحشر:

جاء في الصحيحين بيانُ صفة الأرض التي يحشر الناس عليها، قال النبي ﷺ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ، لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ**»[(٣)].

قوله: «**عَفْرَاءَ**»: قال الخطابي: العفر: بياض ليس بالناصع"[(٤)]

وقال عياض: "العفر: بياض يضرب إلى حمرة قليلًا"[(٥)]،

وقوله: «**كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ**» أي: "الدقيق النّقي من القشر والنخالة. قاله الخطابي[(٦)].

وقوله: «**لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ**» أي: ليس بها علامة سكنى، أو بناء، ولا أثر.

وفي الحديث: إشارة إلى أن أرض الدنيا اضمحلّت، وأُعدمت، وأن أرض الموقف تجددت وأنها أكبر من هذه الأرض الموجودة جدّاً. قيل: والحكمة في صفة الأرض المذكورة

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٧٤)، ومسلم (١٣٨٩).

(٢) فتح الباري (٩١/٤) وانظر طبعة الأرناؤوط (٢٢٦/٦)

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠) من حديث سهل بن سعد ﷺ.

(٤) «أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)» (٣/ ٢٢٦٨).

(٥) «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» (٢/ ٩٧)

(٦) «أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)» (٣/ ٢٢٦٨)

أن ذلك اليوم يوم عدل، وظهور حقّ، فاقتضت الحكمة أن يكون المحل الذي يقع فيه ذلك طاهراً عن عمل المعصية والظلم، ولأن الحكم فيه إنما يكون لله وحده، فناسب أن يكون المحل خالصاً له وحده، قاله أبو بكر ابن أبي جمرة[١] رحمه الله [٢].

مكان الناس عند الحشر:

وسألت عائشة رضي الله عنها رسولَ الله ﷺ عن قوله ﷻ: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ فقالت: فأين يكون الناس يومئذ؟ يا رسول الله. فقال: «**عَلَى الصِّرَاطِ**»[٣].

حشر الدواب

ودلت الأدلة أن الدواب تُحشَر مع الخلائق أيضًا يقول ربنا ﷻ: ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ ﴾ [التكوير] يعني جمعت بعد أن ماتت.

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۝٣٨ ﴾ [الأنعام].

فتحشر الأمم كلها من الدواب والطير، فيُنْصَف بعضُهم من بعض حتى إنه يؤخذ للجماء من القرناء.

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**»[٤]

الشاة الجلحاء والجماء: التي ليس لها قرن. فإذا ظلمت في الدنيا من ذات القرن يؤتى بها يوم القيامة فيقاد لها.

---

(١) هو محمد بن أحمد بن عبد الملك بن أبي جمرة الأموي، فقيه مالكي من أعيان الأندلس، توفي سنة (٥٩٩هـ). انظر: شذرات الذهب (٣٤٢/٤)، وسير أعلام النبلاء - ط الرسالة- (٢١/ ٣٩٨)

(٢) انظر: فتح الباري (٣٧٥/١١) وشرح النووي (١٣٤/١٧)

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٩١)

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٨٢). ورواه أحمد في المسند (٧٩٩٦) بلفظ: «**... حَتَّى تُقَادَ الشَّاةُ الْجَمَّاءُ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

وهذا تصريحٌ بحشر البهائم يوم القيامة وإعادتِها كما يُعاد أهلُ التكليف، وكما يعاد الأطفالُ والمجانين ومن لم تبلغه الدعوة.

يجمع الله الخلائق في صعيد واحد:

وقال سبحانه: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الشورى] ففي يوم القيامة «**يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ**»(١)

فيحكم فيهم بحكمه العدل الحق سبحانه.

قال الله سبحانه: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الجاثية]

وقال ﷻ: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المرسلات].

فيكون مرجع الخلائق إلى الله سبحانه كما قال ﷻ: ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المائدة]

وكما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الزخرف].

وقال سبحانه: ﴿ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [يونس].

وقال ﷻ: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة].

فالناس كلهم سيجمعون بين يدي الله ﷻ ويُجازَى كُلٌّ بحسب عمله، المحسنُ بإحسانه والمسيءُ بإساءته، -نسأل الله العفو والعافية-.

(١) صحيح البخاري (٤٧١٢) وصحيح مسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

الإيمان
بأهوال يوم القيامة

المجلس السابع والعشرون[١]

بعض الأهوال المتعلقة بأحوال الناس يوم القيامة:

ذكرنا أنّ الحشرَ مبتدؤُه من طلوع الناس من قبورهم إلى نهايةِ الموقف وانقسامِ الناس إلى فريقين: فريقٍ في الجنة، وفريقٍ في السعير، وذلك اليومُ العظيمُ الذي يبدأ من خروج الناس من قبورهم، تتخلَّلُه أحداثٌ عظيمة جاء ذِكْرُها في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ. وفي هذا المجلس سنقف على شيء من هذه الأهوال العظيمة.

الأرض تنطق يوم القيامة عند البعث والحشر:

جاء في سنن الإمام ابن ماجه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «**إِذَا كَانَ أَجَلُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضٍ أَوْثَبَتْهُ إِلَيْهَا الْحَاجَةُ، فَإِذَا بَلَغَ أَقْصَى أَثَرِهِ، قَبَضَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، فَتَقُولُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَبِّ هَذَا مَا اسْتَوْدَعْتَنِي**»[٢]

تنطق الأرض حين إخراج الناس من القبور والبعث والنشور، فتقول: «**رَبِّ هَذَا مَا اسْتَوْدَعْتَنِي**» فيخرج الناس من قبورهم.

يقول ربنا سبحانه: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ [طه] فيخرجون للبعث والحساب.

وهذا من آيات الله العظيمة كما قال ﷻ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الروم].

قال القرطبي رحمه الله: "﴿ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ أي:

---

(١) كان في يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رمضان ١٤٤١هـ.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢٦٣). وهو في السلسلة الصحيحة (١٢٢٢). ورجح جماعة وقفه كما في العلل لابن أبي حاتم، والعلل للدارقطني وانظر: أحاديث معلة ظاهرها الصحة (٣١٠) وللموقوف حكم الرفع فمثله لا يقال من قبيل الرأي. وفي جامع الترمذي (٢١٤٧) بسند صحيح عَنْ أَبِي عَزَّةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا قَضَى اللَّهُ لِعَبْدٍ أَنْ يَمُوتَ بِأَرْضٍ جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً، أَوْ قَالَ: بِهَا حَاجَةً**»

الذي فَعَلَ هذه الأشياء قادرٌ على أن يبعثكم من قبوركم، والمرادُ: سرعةُ وجودِ ذلك من غير توقف ولا تلبُّث، كما يجيب الداعيَ المطاعَ مدعُوُّه"[١].

وقال الحافظ ابن كثير: "﴿ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ أي: إذا أمركم بالخروج منها فإنه لا يخالَفُ ولا يمانَعُ"[٢] كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الإسراء]

وكما قال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ ﴾ [النازعات]

وكما قال ربُّنا ﷻ: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [يس].

إذا بُعثِرت القبور يقومون متفرِّقين:

يقوم الناسُ من قبورهم ينظرون كالحيارى متفرِّقين، يقول سبحانه: ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ ﴾ [القارعة] يعني: منتشرين متفرِّقين بين ذهاب ومجيء من حيرتهم مما هم فيه.

إذا قاموا من قبورهم إلى المحشر يستقلون مدة الحياة الدنيا:

يتساءلون فيما بينهم كما قال الله ﷻ: ﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون].

هذه الدنيا التي طال زمانها وتعدّدت سنونها يقولون عنها يوم القيامة: ﴿ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ يا سبحان الله! فالمدة قصيرة جدًّا ﴿ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾. ويقول ربنا ﷻ: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾ [النازعات]

قال ابن كثير رحمه الله: "أي: إذا قاموا من قبورهم إلى المحشر يستقصرون مدة الحياة الدنيا، حتى كأنها عندهم كانت عشية من يوم أو ضحى من يوم"[٣]، و"العشية: ما بين

---

(١) تفسير القرطبي (١٩/١٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٨٦/٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٣١٨/٨)

الزوال إلى الغروب، والضحى: ما بين طلوع الشمس إلى الزوال، وهذا تحديد بنصف نهار"[١] فهم يستقِلُّون هذه المدة.

ويقول ﷻ في آخر سورة الروم: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ سبحان الله: ﴿ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الروم]

يقولون: ما لبثنا غير ساعة وزمن قصير جدًّا.

قال الله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الروم].

وهذا يدل على عظيم هول يوم القيامة، وأنّ الناس يدهشون ويصبحون حيارى كالفراش المبثوث، كأنهم جراد منتشر، يقول قائلهم: إن لبثنا إلا يومًا أو بعض يوم، ويقول آخر: إنما هي عشية أو ضحاها، ويقول آخرون: ما لبثنا غير ساعة.

والدنيا لو تأملها الإنسان وتفكر فيها فإنها قصيرة لا تساوي شيئا عند ما أعد الله لعباده من النعيم في الآخرة؛ فإنها "ظِلٌّ زَائِلٌ وَحَالٌ حَائِلٌ، وَرُكْنٌ مَائِلٌ وَرَفِيقٌ خَاذِلٌ، وَمَسْئُولٌ بَاخِلٌ، وَغُولٌ غَائِلٌ، وَسُمٌّ قاتل، وكُلُّ وُعُودِهَا غُرُورٌ بَاطِلٌ"[٢]

وقال النبي ﷺ: «**وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟**»[٣]

السُّوَر التي صوّرت يوم القيامة:

وقد أرشدنا نبينا ﷺ إلى السور التي صورت موقف القيامة، فقال: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ**» رواه الترمذي من حديث ابن عمر[٤].

وهذه السور الثلاث فيها ما يتعلق بتغير كل ما هو حولنا من شمس وقمر وسماء وأرض ونجوم.

---

(١) أضواء البيان (٤٢٨/٨).

(٢) من التبصرة لابن الجوزي (١/ ٢٧٨)

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٥٨) من حديث مستور بن شدّاد رضي الله عنه.

(٤) تقدم تخريجه في المجلس الرابع والعشرين.

تغير السماء:

ذكر ﷻ تغيُّرَ السماء وانفطارَها ومَوَرَانَها، فقال ﷻ: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ۝١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ۝١٨ ﴾ [المزمل] منفطر أي: متشقِّق، فالسماء مثقلة بذلك اليوم، متصدِّعة، متشقِّقة.

وقال سبحانه: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ ﴾ [الطور] أي: تضطرب اضطرابًا عظيمًا. وقال ﷻ: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ۝٣٧ ﴾ [الرحمن].

قال القاسمي رحمه الله: " أي: انفطرت، فاختلّ نظامُها العلوي، ﴿ فَكَانَتْ وَرْدَةً ﴾ أي: كَلَوْنِ الورد الأحمر ﴿ كَٱلدِّهَانِ ﴾ أي: كالدهن الذي هو الزيت"(١)

وقال ﷻ: ﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ ﴾ [المعارج]

وقال ﷻ: ﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝١٦ ﴾ [الحاقة] أي: منشقّة متصدِّعة.

فهذه السماء التي حثّنا الله ﷻ على النظر إليها؛ إذ هي من آيات الله ﷻ العظيمة يقول ﷻ: ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ ﴾ [الملك]

فهذه السماء التي ليس فيها تشقُّقٌ ولا تصدُّعٌ، والتي زيّنَها الله ﷻ ﴿ بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾ [الصافات: ٦] تتصدّعُ وتتشقّقُ وتصبحُ ﴿ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾ [الرحمن: ٣٧]، كما قال ﷻ: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ ﴾ [الإنشقاق]

قال ابن جرير رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: إذا السماء تصدّعت وتقطّعت فكانت أبوابًا، قولُه: ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ يقول: وسمعت السماوات في تصدعها وتشققها لربها وأطاعت له في أمره إيّاها، والعربُ تقول: أَذِنَ لك في هذا الأمر إذنًا بمعنى: استمع لك"(٢)

ويقول ﷻ في آية أخرى: ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ ﴾ [المرسلات] أي: تشقّقت وتفطّرت، فهذا من وصف الله ﷻ للسماء وحالها يوم القيامة،

---

(١) تفسير القاسمي (١١٠/٩)

(٢) تفسير الطبري (٢٢٩/٢٤، ٢٣٠).

ويقول ﷻ: ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ١٩ ﴾ [النبأ]

ويقول ﷻ: ﴿ وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلٗا ٢٥ ﴾ [الفرقان]

قال القرطبي: "﴿ بِٱلۡغَمَٰمِ ﴾ أي: عن الغمام"(١).

وقال سبحانه: ﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ٤٨ ﴾ [إبراهيم] فتُبدّلُ السماوات، وتتشقّقُ ويُصِيبُها من الأهوال ما جاء في هذه الآيات العظيمة.

وسُيِّرت الجبال:

أما عن الجبال فإن الله ﷻ يقول: ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ١٤ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١٥ ﴾ [الحاقة] تُدَكُّ وتزلزل زلزلة واحدة، وترفع عن أماكنها.

ويقول ربنا ﷻ: ﴿ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ ﴾ [النمل: ٨٨] تَمُرُّ مرّ السحاب أي: تُزال عن أماكنها، وهذا يكون يوم القيامة.

وقال ﷻ: ﴿ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ٩ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ١٠ ﴾ [الطور].

ويقول ﷻ: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ١٠٦ ﴾ [طه]. **وذكر الشنقيطي** رحمه الله في تفسيره(٢): أن الجبال:

- تُنزَع من أماكنها وتُحمَل فتُدَكُّ دكًّا
- ثم تسير في الهواء بين السماء والأرض
- ثم تُفتّتُ حتى تصير كالدقيق الملتوت بسمن
- ثم تصير كالرمل المتهايل
- ثم تكون كالعهن المنفوش
- ثم تصير كالهباء المنبث
- ثم تصير سرابًا والسراب لا شيء،

---

(١) تفسير القرطبي (٢٣/١٣).

(٢) ينظر: أضواء البيان (٩٧/٤).

وبيّن أنه ﷻ ينسفها نسفًا، وذَكَرَ الآياتِ التي تدُلُّ على ذلك من وصف ربنا ﷻ للجبال.

فمما ورد من تفتُّتِ الجبال قوله تعالى: ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ ﴾ [الواقعة:] بُسّت أي: فُتِّتَتْ فصارت كالدقيق المبلول.

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝١٤ ﴾ [المزمل] والكثيب المهيل: هو ما أشبه الدقيق والسّويق.

وقال ﷻ: ﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ ﴾ [المعارج] والعهن: هو الصوف المصبوغ.

يا سبحان الله! هذه الجبال القوية الثابتة، وذاك الصخر الصلب يصبح كالقطن المنفوش!

ويقول ﷻ: ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ ﴾ [الواقعة]

وفي سورة طه: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ ﴾ أي: بساطًا واحدًا، والقاع: هو المستوي من الأرض.

وقال تعالى: ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠ ﴾ [النبأ]

أي: كالسراب يعني أنها تصبح لا شيء.

تغير الأرض:

وأما عن الأرض فإن الله ﷻ ذكر ما يحصل فيها من تغير في مواضع شتَّى، فيقول ﷻ: ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ ﴾ [الواقعة]

قال ابن كثير: " أي: حُرِّكت تحريكًا فاهتزّت واضطربت بطولها وعرضها؛ ولهذا قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وغير واحد في قوله: ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴾ أي: زُلْزِلَت زلزالًا شديدًا"[(١)].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝١٤ ﴾ [المزمل]

---

(١) تفسير ابن كثير (٥١٤/٧).

وقال سبحانه: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ ﴾ [الزلزلة] إلى آخر السورة.

فقوله: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ أي: تحركت من أسفلها ﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ تُلقِي ما فيها من الموتى، وتقول كما مر معنا في الحديث: «**رَبِّ هَذَا مَا اسْتَوْدَعْتَنِي**».

ويقول ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢ ﴾ [الحج].

يدُكُّ الله ﷻ الأرض والجبال: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١ ﴾ [الفجر] تضطرب اضطرابًا عظيمًا ثم يُسوِّيها الله ﷻ وتستوي مع الجبال تنسف الجبال وتستوي الأرض حتى تصبح كبساط واحد كما تقدم معنا في الآيات

ويقول ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝٤٧ ﴾ [الكهف].

قوله: ﴿ بَارِزَةً ﴾ قال البغوي رحمه الله: "أي: ظاهرةً ليس عليها شجر ولا جبل ولا نبات كما قال: ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ۝١٠٧ ﴾ [طه] قال عطاء: هو بروز ما في باطنها من الموتى وغيرهم فترى باطن الأرض ظاهرًا"(١).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥ ﴾ [الإنشقاق]. قال الطبري رحمه الله: "﴿ مُدَّتْ ﴾ : بُسِطت فزِيدَ في سعتها"(٢).

﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ أي: ألقت ما في بطونها من الموتى إلى ظهرها، وتخلت منهم إلى الله، فتبسط، وتفرش، وتوسع، وتمد بأمر من الله ﷻ وتُخرِج ما في بطنها.

وجاء في صحيح الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا، أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ، فَيَقُولُ: فِي**

(١) معالم التنزيل (٥/١٧٥، ١٧٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/٢٣٢).

هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدَعُونَهُ، فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا»(١)

وهذا الحديث ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره عند قول الله ﷻ: ﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ أي: أَلْقَتْ ما فيها من الأموات ﴿ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴾ يستنكر الإنسان ما يحصل من التغيرات الكونية التي يراها، فيستنكر أمر الأرض بعدما كانت قارّةً، ساكنةً، ثابتةً، وهو مستقِرٌّ عليها، -فاللَّهُمَّ رحماك يا رب، رحماك يا رب-.

وأخبرنا النبي ﷺ عمّا يقع من تبدُّلِ الأرض.

قال ﷺ كما في الصحيحين من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ**»(٢). -وقد تقدم معنا في الدرس الماضي-،

قال النبي ﷺ: «**لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ**» يعني ليس فيها علامة سُكْنى ولا بناء ولا أثر ولا شجر ولا حجر ولا غير ذلك.

تغير البحار:

وأما ما جاء في شأن البحار يوم القيامة فإن الله ﷻ يقول: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ [الإنفطار: ٣] أي: فُتِحَ بعضُها إلى بعض، فتزول الحواجز التي بينها بسبب اضطراب الأرض وارتجافها وزلزلتها، فتصبح البحار كلها بحرًا واحدًا ثم تشتعل.

كما قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ ﴾ [التكوير]

وقال تعالى: ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦ ﴾ [الطور] وقد ذكر غير واحد من أهل التفسير أنها توقد، فتصير على عظمها نارًا تتوقد، -نسأل الله السلامة والعافية-.

تغير الشمس والقمر والنجوم:

وأما ما جاء في الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة فإن الله تعالى يقول: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ ﴾ [التكوير]

ويقول ﷻ: ﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ ﴾ [القيامة]

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١٣).

(٢) تقدم في المجلس السادس والعشرين.

ويقول النبي ﷺ -كما في البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه- «**الشَّمْسُ وَالقَمَرُ مُكَوَّرَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(١).

والمقصود بالتكوير: أنها تُزال عن أماكنها، وتُلقى عن فلكها، ويُمحى ضوؤُها.

وقوله تعالى: ﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ﴾ قال الحافظ ابن جرير رحمه الله: "وجمع بين الشمس والقمر في ذهاب الضوء؛ فلا ضوء لواحد منهما"(٢).

ثم تَقْرُب الشمس من رؤوس الخلائق كما قال النبي ﷺ «**تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ**» إلى آخر الحديث، خرجه مسلم من حديث المقداد بن أسود رضي الله عنه(٣).

ويقول جل جلاله: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨ ﴾ [القيامة]

ويقول جل جلاله: ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨ ﴾ [المرسلات] أي: طمسها بذهاب ضيائها، فليس لها نور، وليس لها ضوء، وكذلك القمر لا نور له ثم تتساقط النجوم والكواكب.

كما أخبر الله جل جلاله: ﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢ ﴾ [التكوير].

وكما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ ﴾ [الإنفطار].

كُرَب يوم القيامة:

هذه كلها أهوال عظيمة تقع يوم القيامة؛ ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾ [المطففين] وهي كُرَبٌ عظيمة؛ ولهذا سمّى النبيُّ ﷺ ما يقع في ذلك اليوم بالكرب، قال ﷺ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(٤).

ففي يوم القيامة كُرَبٌ عظيمة: «**تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ...فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٠).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/٤٨١).

(٣) سيأتي تخريجه في المبحث الآتي.

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا»[(١)].

يوم القيامة تَذْهَلُ كُلُّ مرضعة عمّا أرضعت:

وتأملوا قول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ ﴾. المرضعة التي فُطِرت على حب ولدها، والإحسان إليه، يقول الله فيها: ﴿ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ﴾. وذلك من شدة الفزع والهول! ﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ ﴾ أي: تحسبهم أيها الرائي لهم سكارى من الخمر وليسوا سكارى ﴿ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢ ﴾ [الحج] إنه الهول الذي أذهب عقولهم، وأفزع قلوبهم، وملأها ذعرًا، وبلغت القلوب الحناجر، وشخصت الأبصار.

يوم القيامة يشيب الولدان:

وفي ذلك اليوم لا يجزي والدٌ عن ولده ولا مولودٌ هو جازٍ عن والده شيئًا، بل يقول ربنا ﷻ: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ۝١٧ ﴾ [المزمل].

هؤلاء الوِلْدان الذين ما عملوا في الدنيا شيئًا يأتون يوم القيامة شيبًا!!

تشيب رؤوسهم وهم صغار!! فما أعظمه من هول!

الوليد الذي لم يرتكب جُرْمًا يشيب شعر رأسه؛ لشدة ما يرى من أهوال في ذلك اليوم ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ۝١٨ ﴾ [المزمل].

تشخص أبصار الظلمة في ذلك اليوم:

وتشخص أبصار الظلمة في ذلك اليوم -أي: لا تطرف من شدة ما ترى من الأهوال وما أزعجها من القلاقل- قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ۝٤٢ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ۝٤٣ ﴾ [إبراهيم]. ومُهْطِعِينَ أَيْ: مُسْرِعِينَ، ومُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ: أي

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٤) من حديث المقداد بن الأسود ﷺ.

رَافِعِي رُءُوسِهِمْ. وأَبْصَارُهُمْ طَائِرَةٌ شَاخِصَةٌ، لِكَثْرَةِ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْهَوْلِ وَالْمَخَافَةِ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ أَيْ: خَاوِيَةٌ خَالِيَةٌ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ لِكَثْرَةِ الْوَجِلِ وَالْخَوْفِ.

قلوب واجفة وأبصار خاشعة:

ويقع الرعب والفزع، فيصيب العباد أجمع، وتبلغ القلوب الحناجر

كما قال الله: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ ﴾ ترتفع وبقية الأفئدة هواء، ووصلت القلوب من الروع والكرب إلى الحناجر شاخصة أبصارهم ﴿ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ [غافر]

وقال تعالى: ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ ﴾ [النازعات]

واجفة أي: منزعجة من شدة ما ترى وتسمع، والأبصار ذليلة حقيرة، قد مَلَكَ قلوبهم الخوفُ، وأذهل أفئدتَهم الفزعُ، إنه ذلكم اليوم الذي تتقلب فيه القلوب والأبصار.

كما قال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النور] يعني لشدة الهول في ذلك اليوم، في ذلك اليوم الأبصار تكون كما ذكرنا خاشعة ذليلة ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴾ وفي آية أخرى: ﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ ﴾ [القمر]

وقال تعالى: ﴿ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ ﴾ [القلم: ٤٣]

وقال ﷻ: ﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴾ [الأنبياء: ٩٧].

أسمع بهم وأبصر:

وفي ذلك اليوم يقول ربنا: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [مريم].

فيخبر سبحانه عن الكفار يوم القيامة أنهم يكونون أسمع شيء وأبصره.

كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ﴾ [السجدة: ١٢]

لكن في وقت لا ينفع فيه ولا يجدي فيه السمع والبصر، ولو كان هذا قبل معاينة العذاب لكان نافعًا لهم ومنقذًا لهم من عذاب الله ﷻ ولهذا قال: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾

أي: ما أسمعهم وما أبصرهم يوم يأتوننا يعني يوم القيامة، يشاهدون النار ويعاينون الحق، فيؤمنون، ولكن لا ينفع ذلك الإيمان، ولا ينفع الندم، ولاتَ ساعةَ مَنْدَم، نسأل الله السلامة والعافية.

تتقطع الأنساب:

وفي ذلك يوم تتقطع فيه الأنساب بين الناس: ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [المؤمنون]

لا ينفع الإنسان يومئذ الأنساب، ولا يرثي والدٌ لولده ولا يلوي عليه.

لا يسأل حميم حميمًا:

بل قال الله: ﴿ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ﴾ [المعارج]

أي: لا يسأل القريبُ قريبَه وهو يبصره، ولو كان عليه من الأوزار ما أثقل ظهره وهو أعزُّ الناس عليه في الدنيا، لا يلتفت إليه، ولا يحمل عنه وزن جناح بعوضة من عمله.

يفر المرء من أقرب الناس إليه:

يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه قال تعالى: ﴿ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤ ﴾ [المعارج]

فليس في القيامة مخلوق إلا وهو نصب عين صاحبه من الجن والإنس، يبصر الرجل أباه وأخاه وقرابته وعشيرته ولا يسأله ولا يكلمه ﴿ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ۝٣٧ ﴾ [عبس]

سبحان الله! فلنتفكّرْ في عظيم هول هذا اليوم الذي يفر فيه كُلُّ واحد من الآخر!

وفي تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله:

عَنْ عِكْرِمَةَ رحمه الله قَالَ: يَلْقَى الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ فَيَقُولُ لَهَا: يَا هَذِهِ، أَيُّ بَعْلٍ كنتُ لَكِ؟ فَتَقُولُ: نِعْمَ الْبَعْلُ كنتَ! وَتُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَتْ، فَيَقُولُ لَهَا: فَإِنِّي أطلبُ إِلَيْكِ اليومَ حَسَنَةً وَاحِدَةً تَهَبِينَهَا لِي لَعَلِّي أَنْجُو مِمَّا تَرَيْنَ. فَتَقُولُ لَهُ: مَا أَيْسَرَ مَا طلبتَ، وَلَكِنِّي لَا أُطِيقُ أَنْ أُعْطِيَكَ شَيْئًا أَتَخَوَّفُ مِثْلَ الَّذِي تَخَافُ. قَالَ: وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَلْقَى ابْنَهُ فَيَتَعَلَّقُ بِهِ فَيَقُولُ: يَا بُنَيَّ، أَيُّ وَالِدٍ كنتُ لَكَ؟ فَيُثْنِي بِخَيْرٍ. فيقولُ لَهُ: يَا بُنَيَّ، إِنِّي احْتَجْتُ إِلَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ حَسَنَاتِكَ لَعَلِّي أَنْجُو بِهَا مِمَّا تَرَى. فَيَقُولُ وَلَدُهُ: يَا أَبَتِ، مَا أَيْسَرَ مَا طَلَبْتَ، وَلَكِنِّي أَتَخَوَّفُ مِثْلَ الَّذِي تَتَخَوَّفُ، فَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُعْطِيَكَ شَيْئًا. ثم قرأ الآيات. وقال: وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ-فِي أَمْرِ الشَّفَاعَةِ-: أَنَّهُ إِذَا طُلِبَ إِلَى كُلٍّ مِنْ أُولِي الْعَزْمِ أَنْ يَشْفَعَ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْخَلَائِقِ، يَقُولُ: نَفْسِي نَفْسِي، لَا أَسْأَلُهُ اليومَ إِلَّا نَفْسِي[1]. قال: حتى إِنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ يَقُولُ: لَا أَسْأَلُهُ الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي، لَا أَسْأَلُهُ مَرْيَمَ الَّتِي وَلَدَتْنِي[2] ا.هـ[3]

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٣٣٤٠) ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: حلية الأولياء (٥/ ٣٧٢).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ت سلامة (٨/ ٣٢٥).

كل نفس بما كسبت رهينة:

وقال الله سبحانه: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المدثر: ٣٨] أي: مرتهنة فينشغل الإنسان بنفسه

﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الممتحنة: ٣]

ويقول الله ﷻ: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ ﴾ أي الأحباء المتوادُّون في الدنيا: ﴿ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٧]

قال الله عقب ذلك مباشرة: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٨] وهذا خطاب لأهل الإيمان.

وكان النبي ﷺ يقول لقومه: «**يا بَنِي عبدِ مَنافٍ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، يا بَنِي عبدِ المُطَّلِبِ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، يا أُمَّ الزُّبَيْرِ بنِ العَوّامِ عَمَّةَ رَسولِ اللَّهِ، يا فاطِمَةُ بنْتَ مُحَمَّدٍ، اشْتَرِيا أَنْفُسَكُما مِنَ اللَّهِ لا أَمْلِكُ لَكُما مِنَ اللَّهِ شيئًا، سَلاني مِن مالِي ما شِئْتُما**»[(١)].

إنه ذلك اليوم الذي يفزع فيه العصاة والمجرمون والكفار، ويأمن من أمّنه اللهُ ﷻ بتوحيده وإيمانه.

هذه جملةٌ مما يقع من الأهوال في يوم القيامة،

وللحديث بقيةٌ إن شاء الله في المجلس القادم، والله تعالى أعلم،

وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

(١) أخرجه البخاري (٣٥٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المجلس الثامن والعشرون [١]

تتمة في ذكر بعض الأهوال المتعلقة بأحوال الناس يوم القيامة:

في ذلكم اليوم العظيم الذي يقف فيه الناس لرب العالمين، ينتظرون الحساب والجزاء من الملك العدل الحق ﷻ. وينقسمون أقساما كما يلي:

انقسام الناس يوم القيامة:

جاءت الأدلة مبينة أن الناس في عرصات القيامة يختلفون اختلافًا كبيرًا:

فمنهم: أهل الإيمان الأبْرَار ومنهم: الكفّار والفُجّار.

وأهل الإيمان أقسام ثلاثة كما قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ ﴾ [فاطر]..

حال الكفار يوم القيامة عند خروجهم من قبورهم:

وقد بيّنَتِ الأدلةُ شيئًا من أحوال كلٍّ، فنذكر:

أوّلًا بعضَ ما يتعلق بحال الكفار في يوم القيامة، نسأل الله السلامة والعافية.

فتأمّلُوا قولَ الله ﷻ مُبيِّنًا حالَ الكفار عند خروجهم من القبور، قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ٤٣ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ٤٤ ﴾ [المعارج]

والأجداث هي القبور، وهذ الآياتُ تصوِّر لنا سرعةَ خروجهم من القبور في ذلك اليوم، منطلقين إلى المنادي، كما كانوا يُسرِعون إلى الأصنام التي كانوا يعبدونها في الدنيا،

---

(١) كان في يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر رمضان ١٤٤١هـ.

ولكنهم لا ينطلقون فَرِحين بَطِرين متكبِّرين كما كان حالهم من قبل بل هم أَذِلّاءُ، أبصارُهم خاشعة، يعلوهم الصّغار، كما ذكر الله ﷻ.

ويقول ربنا ﷻ في سورة القمر: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨ ﴾ [القمر]

فهم يعترفون بصعوبة الموقف الذي شاهدوه وعاينوه.

ويقول الله ﷻ أيضًا في سورة يس: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ﴾ [يس]. فهذه وَلْوَلَةٌ، ينادون بالويل والثبور متسائلين حين يُنفَخ في الصور عمّن أقامهم من رقدتهم ومن أحياهم من موتهم وقد كانوا ينكرون ذلك! نسأل الله السلامة والعافية.

قال بعض السلف: " إِنَّ الْقِيَامَةَ فِي كِتَابِ اللَّهِ لَمَعَارِيضُ صِفَةٍ، ذَهَبَتْ فَظَاعَتُهَا بِأَوْهَامِ الْعُقُولِ، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ الْقَوْمُ فِي رَقْدَةٍ مِثْلِ ظَاهِرِ قَوْلِهِمْ لَمَا دَعَوْا بِالْوَيْلِ عِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ مِنْ بَعْثِهِمْ، وَلَمْ يُوقَفُوا بَعْدُ مَوْقِفَ عَرْضٍ، لَا مِثْلَهُ إِلَّا وَقَدْ عَايَنُوا خَطَرًا عَظِيمًا، وَحَقَّتْ عَلَيْهِمُ الْقِيَامَةُ بِالْجَلَائِلِ مِنْ أَمْرِهَا، وَلَئِنْ كَانُوا فِي طُولِ الْإِقَامَةِ فِي الْبَرْزَخِ يَأْلَمُونَ وَيُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَمَا دَعَوْا بِالْوَيْلِ عِنْدَ انْقِطَاعِ ذَلِكَ عَنْهُمْ إِلَّا وَقَدْ نُقِلُوا إِلَى ظُلْمَةٍ هِيَ أَعْظَمُ مِنْهُ، وَلَوْلَا أَنَّ الْأَمْرَ عَلَى ذَلِكَ لَمَا اسْتَصْغَرَ الْقَوْمُ مَا كَانُوا فِيهِ فَسَمَّوْهُ رُقَادًا، وَإِنَّ فِي الْقُرْآنِ دَلِيلًا عَلَى ذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٣٤ ﴾ [النازعات][(١)].

ويقول ربنا ﷻ أيضًا في تصوير حالهم يوم القيامة: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ۝٤٢ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ۝٤٣ ﴾ [إبراهيم]

فهذه الآية تُبيِّنُ لنا ما هم فيه من الفزع والخوف حتى إنّ قلوبهم هواء، وأفئدتهم

---

(١) الأهوال لابن أبي الدنيا (٨٦)

هواء؛ لأن القلوب قد بلغت الحناجر من الخوف والفزع والهول.

وقوله تعالى: ﴿ عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ يدخل فيه الكُفّارُ دخولًا أوليًا؛ إذ الشرك بالله ﷻ هو أظلم الظلم، -نسأل الله السلامة والعافية-.

وقوله: ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ أي: أذلاء، وتأمل وصف القرآن لهم! ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾، ويقول الله ﷻ: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ [غافر] والآزفة: اسم من أسماء يوم القيامة واليوم الآخر، والمقصود بها: القريب العاجل، فهي يومُ القيامة. وأولئك الظالمون يأتون على هذا الوصف الذي ذكره الله ﷻ. قلوبهم وأفئدتهم؛ ملئت من الخوف والفزع.

ويقول الله ﷻ: ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [إبراهيم]

قال الطبري رحمه الله: "تعاين الذين كفروا بالله، فاجترموا في الدنيا الشركَ يومئذ، يعني: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ [إبراهيم: ٤٨]

﴿ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ ﴾ [إبراهيم] يقول: مُقرّنة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأصفاد، وهي: الوثاق من غُلٍّ وسلسلة، واحدُها: صَفَدٌ"[1]

فهم موثقون في الأغلال والسلاسل، والسرابيلُ: هي القُمُص التي يلبسونها، والقطران: المادّة التي تُطلى بها الإبل إذا أصابها الجرب، وقيل: هو النحاس.

دنو الشمس من رؤوس الخلائق:

وفي ذلك اليوم العظيم تدنو الشمس من رؤوس العباد حتى لا يكون بينها وبينهم إلا مقدار ميل واحد، ولولا أنهم مخلوقون خلقًا غير قابل للفناء لانصهروا وذابوا وتبخّروا، ولكنهم بعد الموت لا يموتون، ويذهب عرقهم في الأرض حتى يرويها ثم يرتفع

(١) تفسير الطبري (١٣/٧٤٠).

فوق الأرض ويأخذهم على قدر أعمالهم كما تقدم معنا في حديث المقداد بن الأسود، وفيه أن النبي ﷺ قال: «**وَمِنْهُم مَنْ يُلجِمُه العَرَقُ إلجامًا**»(١).

يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قرأ ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين: ٦] قال ﷺ: «**يَقُومُ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ**»(٢).

وجاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ**»(٣).

هذا بيان وتصوير للموقف يوم القيامة، وكيف أن هؤلاء يعانون معاناةً عظيمةً من الوقوف يوم القيامة،

يقول ابن القيم رحمه الله: وقد أشار النبي ﷺ إلى أن كمال ما يُستمتع به من الطيبات في الآخرة بحسب كمال ما قابله من الأعمال في الدنيا، ثم قال: وَمِنْهَا: طُولُ وُقُوفِهِ فِي الْمَوْقِفِ وَمَشَقَّتُهُ عَلَيْهِ وَتَهْوِينُهُ " عَلَيْهِ " إنْ طَالَ وُقُوفُهُ فِي الصَّلَاةِ لَيْلًا وَنَهَارًا لِلَّهِ، وَتَحَمَّلَ لِأَجْلِهِ الْمَشَاقَّ فِي مَرْضَاتِهِ وَطَاعَتِهِ خَفَّ عَلَيْهِ " الْوُقُوفُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ(٤)

المؤمن في مأمن من هول يوم القيامة:

والمؤمن في مأمن بإذن الله سبحانه وتعالى. كما في المسند عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إِنِّي لَقَائِمٌ أَنْتَظِرُ أُمَّتِي تَعْبُرُ الصِّرَاطِ، إِذْ جَاءَنِي عِيسَى فَقَالَ: هَذِهِ الْأَنْبِيَاءُ قَدْ جَاءَتْكَ يَا مُحَمَّدُ يَسْأَلُونَ-أَوْ قَالَ: يَجْتَمِعُونَ إِلَيْكَ-وَيَدْعُونَ اللهَ، أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ جَمْعِ الْأُمَمِ، إِلَى حَيْثُ يَشَاءُ اللهُ، لِغَمِّ مَا هُمْ فِيهِ؛ فَالْخَلْقُ مُلْجَمُونَ فِي الْعَرَقِ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَهُوَ عَلَيْهِ كَالزُّكْمَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَتَغَشَّاهُ الْمَوْتُ ...**» الحديث(٥).

---

(١) تقدم في المجلس السابع والعشرين.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٣٨)، ومسلم (٢٣٣٧).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٣٢) واللفظ له، ومسلم (٢٨٦٣).

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٨٤)

(٥) أخرجه أحمد (١٢٨٢٤) وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٦٣٩). وحسنه شيخنا الوادعي في كتاب =

تتابع الحسرات يوم القيامة:

ومن أعظم ما يكون على الكفار يوم القيامة تتابعُ الحسرات عليهم، فكُلّما شاهدوا شيئًا وعاينوه مما كانوا ينكرونه ازدادت حسرتهم؛ ولهذا سُمِّيَ يومُ القيامة بيوم الحسرة، يقول الله ﷻ: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [مريم]. فحين يرى الكفارُ العذابَ والهُونَ الذي يصيبهم ويصيب أمثالهم من الكفرة المشركين تأخذهم الحسرة والندامة؛ فيوقن الكافر أن ذنبه غير مغفور.

يقول الله سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الروم] أي: ييأسون من رحمة الله ﷻ، نسأل الله العفو والعافية.

وقال الله سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٧]؛ الظالم: هو المشرك، فيزداد ندمه وتزداد حسرته على عدم اتباعه للرسول ﷺ، وينادي على نفسه: ﴿ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان]

ويقول ربنا ﷻ: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٤٢]

يتمنّون أن يُهلِكهم الله ويجعلهم ترابًا كما قال ربنا سبحانه: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴾ [النبأ: ٤٠]

وفي ذلك اليوم يُحبِطُ اللهُ ﷻ أعمالهم كما قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان]

الشفاعة (٦٨). والحديث من رواية حرب بن ميمون عن النضر بن أنس عن أبيه. وقد قال الدارقطني - كما في تعليقاته على المجروحين لابن حبان (ص: ٧٩)-: حَرْب... يحدث عَن النَّضر بْن أنس بنسخة لَا يُتَابع عَلَيْهَا ا.هـوحرب هذا روى له مسلم حديثا واحدا في المتابعات. وانظر ترجمته وتوثيقه -تفصيلا وتحقيقا بما لا تكاد تجده في مكان غيره- في الصحيحة للعلامة الألباني (٦/ ٢٦٨).

وتأمل قول الله ﷻ في تشبيه أعمال الكفار: ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ﴾ [النور: ٤٠]، وهذا مثل لأعمالهم الفاسدة التي لا يرجى من ورائها الخير.

وثمّة أعمالٌ عملوها كانوا يظنون أنها تُغني عنهم من الله شيئًا كأعمال البِرّ، فقال الله: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النور]

ويقول سبحانه: ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ ﴾ [آل عمران: ١١٧] والصِّرُّ: هو البرد الشديد، فالرياح الباردة تحطم الزرع، فكذلك الكفر والشرك يحرق الأعمال الصالحة.

لا تقبل أعمال البر من الكافر يوم القيامة:

ولا يقبل الله ﷻ للكافر عملًا، قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان]، فمن تصدّق أو عمل من الطاعات والإحسان والخير والبر وهو لا يؤمن بالله واليوم الآخر، فإن الله ﷻ لا يقبل منه عملًا.

و «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ**» كما قال نبينا ﷺ (١)

وقال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٦٢، ٤٢٠٣) ومسلم (١١١) من حديث أبي هريرة ﷺ. **وفي الباب** عن عبد الله بن مسعود ﷺ أخرجه البخاري (٦٥٢٨، ٦٦٤٢) ومسلم (٢٢١) وعن عمر بن الخطاب ﷺ أخرجه مسلم (١١٤) وعن كعب بن مالك ﷺ أخرجه مسلم (١١٤٢) وعَنْ علي بن أبي طالب ﷺ. أخرجه الترمذي (٨٧١، ٣٠٩٢) والنسائي (٢٩٥٨) وغيرهما. وعن ابن عباس ﷺ أخرجه الترمذي (٣٠٩١) وقال حسن غريب وصححه الحاكم (٤٣٧٥) وعن بشر بن سحيم ﷺ أخرجه ابن ماجه (١٧٢٠) وصححه ابن خزيمة (٢٩٦٠). وعن سلمان الفارسي رواه أحمد (٢٣٧١٢) وصححه ابن حبان (٧١٢٤).

وعن مصعب بن سعد، قال: سألتُ أبي: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الكهف] هم الحرورية؟ قال: "لا، هم اليهود والنصارى، أما اليهود فكذبوا محمدًا ﷺ، وأما النصارى فكفروا بالجنة، وقالوا: لا طعام فيها ولا شراب"(١)

فهؤلاء يظنون أنهم هم أهل الجنة وأنهم هم أهل الهدى: كما قال الله ﷻ: ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾ فقال الله: ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ﴾ [البقرة]... الآية

ويقول ربنا سبحانه أيضًا: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الكهف].

الخصومة بينهم يوم القيامة:

ومن حسراتهم يوم القيامة أنهم إذا دخلوا النار حصلت بينهم الخصومة. فالخصومة لهم كما قال تعالى: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف]

- فهؤلاء يُعادي بعضهم بعضًا.
- ويخاصم أهل النار بعضهم بعضًا،
- ويحاجُّ بعضُ الأتباع السادةَ المتبوعين،
- ويحاجُّ الضعفاءُ المستكبرين،
- ويحاجُّ الإنسان قرينه،
- بل يخاصم الكافر أعضاءَه!!

وقد وضح ذلك القرآن توضيحًا بيِّنًا، فمن ذلك:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٨).

قولُ الله ﷻ: ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الشعراء]. ﴿ تَٱللَّهِ ﴾ يُقسِمُون على ذلك ﴿ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾. يعني: كانوا يشركون مع الله؛ ولهذا قال العلماء: الشرك هو التسوية أي: تسوية غير الله بالله. والكفار هنا يقولون: ﴿ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فكيف بمن كفر بالله وجحد وجود الله وادّعى أن لا إله؟! -نسأل الله السلامة-. والآيات في تلاوم أهل النار كثيرةٌ جدًّا.

حال عصاة المؤمنين:

إذا مات المؤمن على التوحيد فعقيدة أهل السنة والجماعة أن الموحِّدَ مآلُه إلى الجنة، فمن مات على التوحيد قسمان:

أحدهما: من يدخل الجنة دخولًا أوليًا.

والثاني: من يُعذّب على ذنوبه بقدر ما يشاء الله ﷻ ثم يخرج من النار -إن كان قد دخلها-، ويدخل إلى الجنة كما جاءت النصوص بذلك.

وجاءت أحاديث تُبيِّنُ حال بعض العصاة من المؤمنين في عرصات القيامة.

حال الذي لا يؤدي الزكاة يوم القيامة:

فمن هؤلاء العصاة أولئك الذين لا يؤدون الزكاة التي هي حق المال؛ فقد جاء في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ -يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ- ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلاَ:** ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ ﴾ [آل عمران: ١٨٠]»[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٠٣).

الشجاع الأقرع: الحية الذكر المتمعّط شعرُ رأسِه لكثرة سُمِّه. وقوله: «لَهُ زَبِيبَتَانِ» أي: نقطتان سوداوان فوق عيني الحية، فيؤتى بالمال نفسه الذي مَنَعَه، فيُحوّل مالُه إلى هذا الأمر ثم يُعذّب به.

وجاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه يؤتى بالمال نفسه فيُعذّب به، يقول النبي ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلاَ فِضَّةٍ لاَ يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحَ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»[(١)]. فقوله في هذا الحديث: «فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ» يدل على أن هذا العذاب ليس لكافر كما قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله[(٢)] وغيره؛ لأنه لو كان كافرًا لما قال: «يُرَى سَبِيلُهُ» إنما يقال هو من أهل النار، فدلّ ذلك على أن هذا العذاب لعصاة المؤمنين والذين لم يخرجوا زكاة مالهم.

حال المتكبرين يوم القيامة:

وجاء في بيان حال المتكبر يوم القيامة الحديث في سنن الترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ»[(٣)]. «يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ» يعني: يأتي مثل الذرة، مثل صغار النمل، لا يعبأ به الناس بل يطؤونه بأقدامهم وأرجلهم وهم لا يشعرون.

حال من كتم علما يوم القيامة:

وتأمل ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤ ﴾ [البقرة].

قال ابن كثير: "وقوله: ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ ﴾ وذلك لأنه غضبانُ عليهم؛ لأنهم كتموا وقد علموا، فاستحقُّوا الغضب، فلا ينظر إليهم، ولا

---

(١) أخرجه مسلم (٩٨٧).

(٢) مجموع رسائل وفتاوى ابن عثيمين (١١٣/١٢).

(٣) تقدم (ص: ١٢٧)

يزكيهم، أي: يثني عليهم ويمدحهم بل يعذبهم عذابًا أليمًا"[١].

وقال النبي ﷺ: «**مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[٢] فهذه فضيحة عظيمة لهم يوم القيامة. -نسأل الله السلامة-

المسبل تكبرا والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب يوم القيامة:

ويقول النبي ﷺ: «**ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**-هذه عقوبتهم في عرصات القيامة، فمن هم؟ -قال أبو ذر: من هم؟ يا رسول الله خابوا وخسروا. قال: **الْمُسْبِلُ**-يعني: المسبل إزاره قيل: يعني تكبرًا-**وَالْمَنَّانُ وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ**»[٣].

فهؤلاء أصنافٌ من العصاة، يُعذّبون بهذا العذاب يوم القيامة،

-نسأل الله السلامة والعافية-.

شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر:

وقد ورد مثل هذه العقوبة في أحاديث أخرى، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في صحيح مسلم: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**»[٤]. فهؤلاء أصنافٌ ثلاثة ليس عندهم ما يدعو إلى المعصية، لكنهم فعلوها! فشيخ كبير يفترض أن يكون قد استطاع أن يسيطر على شهوته ومع ذلك زنى! وملك ليس ثمة ما يدعوه إلى الكذب ومع ذلك فهو كذّاب! وعائل أي: فقير ليس هناك ما يدعوه إلى الكبر ومع ذلك فهو متكبر!

والكبر كما قال النبي ﷺ: «**بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**»[٥].

العاقُّ لوالديه والمرأة المترجلة والديوث:

وفي سنن النسائي ومسند الإمام أحمد ومستدرك الحاكم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

---

(١) تفسير ابن كثير (١/٤٨٤).

(٢) أخرجه أحمد (٧٥٧١)، وأبو داود (٣٦٥٨)، والترمذي (٢٨٦١)، وابن ماجه (٢٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٣٠٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (١٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم (٩١) من حديث ابن مسعود الله رضي عنه.

قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُّ بِوَالِدَيْهِ، وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ-الْمُتَشَبِّهَةُ بِالرِّجَالِ-وَالدَّيُّوثُ»(١)

والديوث: هو الذي يرضى الخبث في أهل بيته، فهؤلاء أصناف بيّنت السنة أن لهم هذه العقوبة، وهم من عصاة المؤمنين. فأقْبِلْ أيها المؤمن على التوبة إلى الله ﷻ قبل الممات حتى لا تأتي في ذلك اليوم، فتقف موقف الذُّلِّ والمهانة، نسأل الله السلامة.

المكثرون هم المقلُّون إلا من أدّى حق المال:

كذلك من هؤلاء أولئك الذين يمُنُّ الله ﷻ عليهم بالمال والنعمة، فيركنون إلى الدنيا، ويُكثِرُون من التمتع بنعيمها على حساب دينهم، وفي أمثالهم يقول النبي ﷺ: «إِنَّ الْمُكْثِرِينَ هُمُ الْمُقِلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ خَيْرًا، فَنَفَحَ فِيهِ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَوَرَاءَهُ، وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا»(٢).

من أخذ أرضًا بغير حق:

في مسند الإمام أحمد عن يعلى بن مرة أنه سمع النبي ﷺ يقول: «مَنْ أَخَذَ أَرْضًا بِغَيْرِ حَقِّهَا، كُلِّفَ أَنْ يَحْمِلَ تُرَابَهَا إِلَى الْمَحْشَرِ»(٣)

فتصوّرْ أنّ من الناس من يحشر يوم القيامة ويُكلّف بنقل ما أخذه في الدنيا ظلمًا وعدوانًا يُكلّف بنقل ترابها. وبه فسر بعض العلماء ما في الصحيحين: « مَنِ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا طَوَّقَهُ اللهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»(٤).

ويقول النبي ﷺ: «مَنْ أَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ»(٥).

---

(١) أخرجه أحمد (٦١٨٠) واللفظ له، والنسائي (٢٥٦٢)، والحاكم (٢٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٤٣)، ومسلم (٩٤) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد (١٧٥٦٩) وهو في السلسلة الصحيحة (٢٤٠)

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٥٢)، ومسلم (١٦١٠) من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (٢٤٥٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

لكل غادر لواء:

وجاء عن النبي ﷺ أنه أخبر أيضًا بأن الإنسان الذي يأتي يوم القيامة قد غدر يكون له لواء يشاهده كلُّ أحد في ذلك اليوم، فيكون له علامة مميزة.

قال ﷺ: «**إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ**» متفق عليه(١).

وقال ﷺ: «**لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ**» متفق عليه(٢).

وقال ﷺ: «**لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ عِنْدَ اسْتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» رواه مسلم(٣)

فتأمل حينما يؤتى بالغادر يوم القيامة في العرصات، وأمام الخلائق، ليس هذا فحسب بل ويوضع له لواء يشاهد عن بُعْدٍ: هذه غدرة فلان بن فلان.

والغادر: هو الذي يواعِدُ على أمر ولا يفي به. **واللواء المقصود به**: الراية العظيمة، فتُرفَع للغادر رايةٌ يسجّل عليها، ويُفضَح يوم القيامة.

ويقول النبي ﷺ: «**لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِهِ، أَلاَ وَلاَ غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أَمِيرِ عَامَّةٍ**»(٤). يعني: الحاكم إذا غدر؛ لأنّ ضرره يتعدّى إلى خلق كثير.

الغالُّ يوم القيامة:

ومن أصحاب العقوبات يوم القيامة صاحبُ الغُلول، وهو الذي يأخذ من الغنيمة على وجه الخفية، وهو ذنب يخفي تحته شيئًا من الطمع والأثرة. قال الله سبحانه في عقوبته: ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ﴾ [آل عمران: ١٦١].

ومن ذلك: التلاعب بالأموال العامة من الموظفين والحُكّام والعُمّال والولاة والمسؤولين عنها. فهؤلاء بيّن النبي ﷺ عقوبتهم، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٧٧)، ومسلم (١٧٣٥) واللفظ له من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٨٦)، ومسلم (١٧٣٧) واللفظ له من حديث عبد الله بن مسعود وأنس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه مسلم (١٧٣٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) المرجع السابق، وهو من روايات حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

قام خطيبًا، فَذَكَرَ الغُلُولَ، فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ، ثُمَّ قالَ: «**لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي. فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ...**»(١)

فهذا الذي سرق بعيرًا يجيء به حاملًا إيّاه يوم القيامة، وهكذا الحال فيمن أخذ بقرة أو أخذ شاة يأتي يوم القيامة يصيح، ويقول: يا رسول الله أَغِثْنِي، فيقول له: «**لا أَمْلِكُ لكَ شيئًا، قدْ أَبْلَغْتُكَ**» وآخر يأتي بذَهَبٍ، وآخر يأتي بفضة، وهكذا من غلّ شيئًا أو سرق شيئًا جاء يحمله يوم القيامة.

فاحذر أيها العامل والموظف، احذر من التلاعب والتصرُّف في الأموال العامة بغير حق وبغير إذن؛ فإنّ لها من الله طالبًا يوم القيامة.

قال النبي ﷺ لحِبِّه عَائِشَةَ رضي الله عنها: «**يَا عَائِشَةُ إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ طَالِبًا**» رواه ابن ماجه وأحمد وصححه ابن حبان(٢)

وفي المسند عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ**»(٣)

ذو الوجهين:

ومن أولئك المعذّبين: ذو الوجهَيْنِ،

يقول النبي ﷺ: «**مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا، كَانَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ**»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٣١).

(٢) سنن ابن ماجه (٤٢٤٣) ومسند أحمد (٢٤٤١٥) واللفظ له وصحيح ابن حبان (٥٥٦٨) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥١٣، ٢٧٣١)

(٣) مسند أحمد (٢٢٨٠٨) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٨٩، ٣١٠٢)

(٤) أخرجه أبو داود (٤٨٧٣)، وابن حبان (٥٧٥٦) كلاهما من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما.

ويقول عليه الصلاة والسلام في ذم ذي الوجهين: «تَجِدُونَ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ»(١).

الحاكم المحتجب عن الرعية:

وانظر أيضا في حال من احتجب عن رعيته، يقول النبي عليه الصلاة والسلام: «مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ ﷻ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ، وَخَلَّتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ، احْتَجَبَ اللَّهُ عَنْهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَفَقْرِهِ»(٢)

فاحذر أيها المسؤول من تجاهل المسؤوليات التي أنيطت بك، فيحتجب الله ﷻ عنك يوم القيامة، نسأل الله السلامة والعافية.

من كذب في حلمه ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون:

وممن يعاقب أيضًا: من كذب في حلمه، يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

-كما في صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما-: «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ -يعني يُؤتى بالشعيرة الصغيرة ويقال له: اعقد بينها وبين أخرى- قال: وَلَنْ يَفْعَلَ، وَمَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ أَوْ يَفِرُّونَ مِنْهُ صُبَّ فِي أُذُنِهِ الْآنُكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣)

والآنُكُ: النحاس الحار، -نسأل الله السلامة والعافية-.

المُراؤون يوم القيامة:

وفي المرائين يقول النبي ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ يُشَاقِقْ يَشْقُقِ اللَّهُ عَلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»(٤)

قوله: «من سمّع» أي: بعمله بأن أراد السُّمعة به،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩٤)، ومسلم (٢٥٢٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٩٤٨)، والترمذي (١٣٣٢)، عن أبي مريم الأزدي رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٤٢).

(٤) أخرجه البخاري (٧٢٥٢) من حديث جندب رضي الله عنه.

وفي المسند عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ، سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ، وَصَغَّرَهُ وَحَقَّرَهُ**».(١)

وفي الصحيحين عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ رَاءَى رَاءَى اللَّهُ بِهِ**».(٢)

ويقول ﷺ أيضًا: «**مَنْ قَامَ مَقَامَ رِيَاءٍ وَسُمْعَةٍ رَاءَى اللهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَسَمَّعَ**»(٣)

قوله: من راءى يرائي الله به، أي: من أراد بعمله الرياء يفضح يوم القيامة. فالجزاء من جنس العمل.

وأخبرنا النبي ﷺ أنّ أول من تسعر بهم النار يوم القيامة ثلاثة: قارئ للقرآن، ومجاهد، ومتصدق، أرادوا بعملهم الثناء من الناس؛ فيُسحَبُون على وجوههم يوم القيامة(٤).

أصحاب الغلو في الصالحين شرار الخلق يوم القيامة:

وأخبر النبيُّ ﷺ عن عبدة القبور، والأولياء وذلك لما قيل له: إن كنيسة بأرض الحبشة فيها تصاوير، قال ﷺ: «**إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(٥).

المصوِّرُون للصور المحرّمة:

ويقول النبي ﷺ عن أصحاب الصور الذين يصنعون هذه الصور المحرّمة: «**إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**»(٦).

يعني: أنهم في عذاب مستمر.

---

(١) مسند أحمد (١١/ ٥٦) ط الرسالة رقم (٦٥٠٩) وصححه الألباني في الصحيحة (٢٥٦٦)

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٧)

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٣٢٢) من حديث أبي هند الدَّاري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (١٩٠٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٦) أخرجه البخاري (٥٩٥١)، ومسلم (٨١٠٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ويقول عليه الصلاة والسلام: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ»(١).

من ضَرَبَ بسوط ظلمًا اقتُصّ منه:

وقد جاء أيضًا عن النبي ﷺ كما في الأدب المفرد للبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ ضَرَبَ ضَرْبًا اقْتُصَّ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

وفي رواية: «مَنْ ضَرَبَ ضَرْبًا ظُلْماً ...»(٢)

وفي رواية: «مَنْ ضَرَبَ سَوْطًا ظُلْمًا اقْتُصَّ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣)

يؤتى به يوم القيامة، فيُضرب كما ضرب في الدنيا، فكم ستجد من أناس في عرصات القيامة تُرفَع عليهم الأسواطُ، ويُضرَبون كما ضَرَبوا في الدنيا ظلمًا.

وَعَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رضي الله عنهما قَالَ: «لَا يَضْرِبُ أَحَدٌ عَبْدًا لَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لَهُ إِلَّا أُقِيدَ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٤). فالمملوك والخادم والضعيف والمستضعف الذين يُستَضْعَفون في هذه الدنيا ولا ناصر لهم، يأتون يوم القيامة ويأخذون حقوقهم(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٦٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٨٥، ١٨٦) وحسنه الألباني.

(٣) أخرجه البزار (٩٤٤٦، ٩٥٣٥) والطبراني في الأوسط (١٤٤٥) وحسنه الهيثمي في المجمع (٣٥٣/١٠) والمنذري والألباني وانظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٩١) والصحيحة (٢٣٥٢)

(٤) أخرجه عبد الرزاق (١٧٩٥٤)، وابن أبي شيبة (٢٥٤٦١) عن وكيع والبخاري في الأدب المفرد (١٨١) واللفظ له عن محمد بن يوسف، وقبيصة، كلهم (عبد الرزاق ووكيع ومحمد وقبيصة) عن الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن ميمون بن أبي شبيب عن عمار به. وحبيب مدلس وقد عنعن. وخالفهم الأشجعي فرواه عن الثوري به فرفعه. رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/ ٣٧٨) وقال: غريب من حديث الثوري وحبيب، لم يروه عنه مجودا إلا الأشجعي ا.هـ وحسنه الألباني لشواهده انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٨٠) والصحيحة (٢٣٥٢)

(٥) وقد يشكل على هذا ما ورد في الصحيح أن المجازاة يوم القيامة إنما هي بالحسنات والسيئات -كما سيأتي، والظاهر أنه لا تعارض فقد دلت هذه الأحاديث -كما يقول العلامة ابن عثيمين- على أن الآخرة فيها تكليف، قال: لكنه ليس كالتكليف في الدنيا، أرأيتم قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٤٢﴾ [القلم]. وهذا تكليف، فالآخرة فيها شيء من التكليف لكن ليس =

فإن الله ﷻ هو الذي يقضي بين العباد، ويحكم بينهم يوم القيامة، فاللَّهُمَّ سلِّم سلِّم.

قاتل نفسه ومن لعن مؤمنًا أو قذفه:

ويؤتى بقاتل نفسه، فيُعذَّب، يقول النبي ﷺ: «**وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ**»(١).

من قذف مملوكه بغير حق أقيم عليه الحد يوم القيامة:

ويقول ﷺ: «**مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ وَهُوَ بَرِيءٌ مِمَّا قَالَ جُلِدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ**»(٢) فهذا أيضًا ممن يُعذَّبون يوم القيامة.

وجاء أيضًا في الصحيح عن أبي هريرة ﷺ قال: قال أبو القاسم ﷺ: «**مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ بِالزِّنَى يُقَامُ عَلَيْهِ الْحَدُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ**»(٣)

«**مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ**» ولو كان القاذف ذا مكانة في الدنيا، وقذف خادمه بالزنى واتهمه بالباطل فإنه يأتي يوم القيامة، فيقام عليه حدُّ الزنا في عرصات القيامة.

فهذه أصنافٌ من أولئك العصاة، نسأل الله السلامة والعافية.

أيها العاصي تُبْ ولا تأمن مكر الله:

أخي المسلم، لا تأمن مكر الله، ولا تقل: لا يُعذِّب اللهُ بالذنب الواحد، فإنما خرج آدم عليه السلام من الجنة بأكلة حين ذاق الشجرة، وطُرِدَ إبليس من الجنة بسجدة أباها، وقال ﷺ: «**دَخَلَتْ امْرَأَةُ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ**»(٤) فذنبٌ واحدٌ يُوجِبُ العقوبة في الآخرة إن لم يَتُبِ اللهُ ﷻ على صاحبه.

كالتكليف في الدنيا اهـ انظر: «فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام» (٥/ ٣٨٢)

(١) أخرجه البخاري (٦٨٥٨) واللفظ له، ومسلم (١٦٦٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٤٧) من حديث ثابت بن الضحاك ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٥٨) ومسلم (١٦٦٠) واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري (٣٣١٨)، ومسلم (٢٦١٩).

حال المؤمنين يوم القيامة:

أما المؤمنون الأتقياء فقد جاءت الأخبار ببيان سعادتهم وببيان حسن وِفادتهم على الله ﷻ بسبب أعمالهم الصالحة التي عملوها. يقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنبياء]

فهم في أمن منذ أن يُبعَثُوا من قبورهم، يُؤَمِّنُهم الله، قال ﷻ: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزخرف] ويقول ﷻ: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يونس].

وروي عنْ أَبِيْ سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ ﷻ، قَالَ: «**وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ، إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» والصحيح فيه أنه من مراسيل الحسن البصري [(١)].

---

(١) ضعيف؛ أخرجه يحي بن صاعد في زوائده على الزهد لابن المبارك برقم (١٥٨) والبزار (٨٠٢٩) وابن حبان (٦٤٠) والبيهقي في شعب الإيمان (٧٥٩) وفي الآداب (٨٢٦) وابن عساكر في المعجم (١٤٢٨) من طريق عبد الوهاب بن عطاء حدثنا مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ. وعبد الوهاب صدوق، وصححه العلامة الألباني في الصحيحة (٧٤٢) **لكن الحديث أعل بتفرد عبد الوهاب به**. ولذا قال الدارقطني في العلل (١٣٩٦) : لا يَصِح هَذا عَن مُحمد بن عَمرو، عَن أَبي سَلَمة، وإنما يُعرَف هَذا من حَديث عَوف، عَن الحَسن مُرسَلٌ ا.هـ قلت: والمرسل رواه عبد الله بن المبارك في الزهد (١٥٧) قَالَ: أَخْبَرَنَا عَوْفٌ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فذكره مرسلا. ورواه البزار (٨٠٢٨) قال: حَدَّثنا مُحَمد بن يحيى بن ميمون، قَال: حَدَّثنا عَبد الوهاب بن عطاء (عن) عوف به. ورواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٥١٠، ٥٤٧، ١٣٣٤) من طريق بشر بن المفضل عن عوف به. ورواه ابن عساكر في تاريخه (٥٤/ ٢٦٧) من حديث أنس وفي إسناده أبو جعفر أبّان النجيرمي وهو كذاب. ورواه الطبراني في مسند الشاميين (٤٦٢، ٣٤٩٥) وعنه وعن غيره أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٨٩و٩٨/٦) من حديث شداد بن أوس وفي سنده عمر بن صبح وهو وضاع.

أصنافٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظلِّه :

وهناك أصنافٌ يُظِلُّهم الله في ظِلِّه يوم لا ظِلّ إلا ظِلُّه. ومنهم سبعة ذكرهم النبي ﷺ: «**الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»(١).

وينادي الله سبحانه يوم القيامة: «**أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟! الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي**»(٢).

وقال ﷺ: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ**»(٣)

ويقول ﷺ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ غَرِيمِهِ أَوْ مَحَا عَنْهُ كَانَ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٤).

ويقول ابن القيم رحمه الله: وقد أشار النبي ﷺ إلى أن كمال ما يُستمتع به من الطيبات في الآخرة بحسب كمال ما قابله من الأعمال في الدنيا، ثم قال: وَمِنْهَا: اسْتِظْلَالُهُ بِظِلِّ الْعَرْشِ أَوْ ضِحَاؤُهُ لِلْحَرِّ وَالشَّمْسِ إِنْ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْخَالِصَةِ وَالْإِيمَانِ مَا يُظِلُّهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ مِنْ حَرِّ الشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي وَالظُّلْمِ اسْتَظَلَّ هُنَاكَ فِي ظِلِّ أَعْمَالِهِ تَحْتَ عَرْشِ الرَّحْمَنِ. وَإِنْ كَانَ ضَاحِيًا هُنَا لِلْمَنَاهِي وَالْمُخَالَفَاتِ وَالْبِدَعِ وَالْفُجُورِ ضَحَى هُنَاكَ لِلْحَرِّ الشَّدِيدِ ا.هـ(٥)

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) المرجع السابق (٣٠٠٦) من حديث أبي اليسر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد (٢٢٥٥٩) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

(٥) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٨٤)

أصنافٌ آمنون يوم القيامة:

ويقول ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»(١).

ويقول ﷺ: «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْكُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(٢).

ويقول ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»(٣)

فهؤلاء أصنافٌ آمِنون يوم يخاف الناس.

فضل الشهيد:

ويقول ﷺ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ، اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ»(٤)

فما أعظم هذا الفوز الذي يفوزه هؤلاء يوم القيامة!

فضل من كظم غيظه وهو قادر على إنفاذه:

ويقول عليه الصلاة والسلام: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ الْحُورِ شَاءَ»(٥)

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠) من حديث عبد الله بن عمر ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٢٧) من حديث عبدالله بن عمرو ﷺ.

(٤) أخرجه أحمد (١٧١٨٢)، والترمذي (١٦٦٣)، وابن ماجه (٢٧٩٩) عن الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يكَرِبَ ﷺ.

(٥) أخرجه أحمد (١٥٦٣٧)، وأبو داود (٤٧٧٧)، والترمذي (٢٠٢١)، وابن ماجه (٤١٨٦) من حديث معاذ بن أنس ﷺ.

الله أكبر! عملٌ عظيمٌ وشأنه يسيرٌ على من يسّره الله ﷻ عليه، ويكون فيه هذا الجزاء العظيم عند الله، والله يحب المحسنين.

فضل المؤذنين:

ويقول عليه الصلاة والسلام: «**الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١).

قيل: إن ذلك يكون لجمالهم ولحسنهم فلما طالت أصواتهم بكلمات الأذان الذي يُعلَن فيه التوحيد ويُدعَى فيه للصلاة طالت أعناقُهم يوم القيامة.

فضل من شاب شيبة في الإسلام:

ويقول ﷺ: «**مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ [فِي سَبِيلِ اللَّهِ] كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ القِيَامَةِ**»(٢)

هذا الشيب الذي يظهر في المؤمن والمؤمنة يكون نورًا لصاحبه يوم القيامة!

ويقول ﷺ: «**لَا تَنْتِفُوا الشَّيْبَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَشِيبُ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»

وفي رواية: «إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً» رواه أبو داود(٣)

ورواه أحمد بلفظ «**لَا تَنْتِفُوا الشَّيْبَ، فَإِنَّهُ نُورُ الْمُسْلِمِ، مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً، وَكَفَّرَ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً، وَرَفَعَهُ بِهَا دَرَجَةً**»(٤)

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الترمذي (١٦٣٤) والنسائي (٣١٤٤) والزيادة منه، من حديث كعب بن مرة رضي الله عنه. وأخرجه ابن حبان (٢٩٨٣) بسند قوي من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه دون زيادة النسائي، ورواه الترمذي (١٦٣٥) والنسائي (٣١٤٢) وأحمد في المسند (١٧٠٢٠) عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ، بلفظ: «**مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ القِيَامَةِ**» وهو في المسند (٢٣٩٥٢) من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٥٠/٢٠) برقم (٣١٥) من حديث معاذ رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٢٠٢) من طريقين عن ابن عجلان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم. ورواه الترمذي (٢٨٢١) والنسائي (٥٠٦٨) بلفظ: «**نَهَى عَنْ نَتْفِ الشَّيْبِ**» وزاد الترمذي «**إِنَّهُ نُورُ الْمُسْلِمِ**»

(٤) مسند أحمد (٦٦٧٢)

وفي صحيح ابن حبان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَنْتِفُوا الشَّيْبَ فَإِنَّهُ نُورٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ كُتِبَ لَهُ بِهَا حَسَنَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، وَرُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ**»(١).

فضل الوضوء:

ويقول ﷺ: «**إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ**»(٢) وبذلك يعرفهم النبي ﷺ.

فهذا تطوافٌ يسيرٌ في بيان شيء من أحوال الناس يوم القيامة، وما يكون من حال المؤمن وحال العاصي وما يكون من حال الكافر.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أهل الإيمان.

(١) أخرجه ابن حبان (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦) واللفظ له، ومسلم (٢٤٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.

الإيمان بالشفاعة

المجلس التاسع والعشرون [١]

الشفاعة:

تقدم معنا أن الإيمانَ باليوم الآخر يتضمّنُ أمورا منها: الإيمانُ بالموت وسكراته وما يقع فيه من أهوال، ويتضمّنُ الإيمانَ بحياة البرزخ، ويتضمّنُ الإيمانَ بالبعث والجزاء والنشور وما يكون منذ أن يموت الإنسان إلى أن يَقْسِم اللهُ ﷻ العبادَ إلى فريقين: فريقٍ في الجنة، وفريقٍ في السعير، جعلنا الله وإيّاكم من أهل الجنة. ومن الأمور العظيمة التي تكون في يوم القيامة الشفاعة.

تعريف الشفاعة:

يقول العلماء في تعريف الشفاعة: هي "التوسُّط للغير بجلبِ منفعةٍ أو دفعِ مَضَرّةٍ"[٢] وقيل أيضًا في تعريفها: "هي التوسُّطُ بالقول في وصول شخصٍ إلى منفعةٍ من المنافع الدنيويّةِ أو الأُخرَويّة أو خلاصِه من مضَرّة"[٣].

وحقيقةُ الشفاعةِ أنّ الله ﷻ يتفضّلُ على أهل الإخلاص، فيغفرُ لهم بواسطة دعاء من أذن الله ﷻ له أن يشفع؛ ليكرمه.

الشفاعة ملك لله:

وقد دلّت الأدلة على أنّ الشفاعة: مِلْكٌ له ﷻ، ليس لأحد من خلقه حقٌّ فيها إلا بإذنه ﷻ يقول الله ﷻ: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: ٤٤] فهي مِلْكٌ لله، ليس لأحد فيها شيء. وسيأتي مزيد شرح لهذا.

---

(١) كان في يوم الأحد الخامس عشر من شهر شوال من عام ١٤٤١هـ.

(٢) شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (١/٤٨٥).

(٣) تفسير أبي السعود (٢/٢١٠).

الشفاعة لمن أَذِنَ الله له ورضي عنه :

وقال الله ﷻ: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

فأخبر سبحانه أنها لا تكون إلا بإذنه.

وقال ﷻ: ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾ [يونس: ٣].

وقال سبحانه: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النجم].

فأخبرنا ﷻ أيضًا أن الشفاعة لا تكون إلا لمن أَذِنَ الله ﷻ له، ورضي عنه. وبيّن ﷻ أنها لا تكون إلا من بَعْدِ إِذْنِه، وَلا يَأْذَنُ فيها إلا لأوليائه المرتضَيْنَ الأخيار، قال ﷻ: ﴿ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [النبأ].

وقال ﷻ: ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [مريم]

وقال سبحانه: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وقال ﷻ: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [طه].

وهو سبحانه لا يرتضي إلا أهل التوحيد والإخلاص، وأما غيرُهم فإنّ الله ﷻ يقول في حقهم: ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ [غافر] أَيْ: لَيْسَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ **بِالشِّرْكِ بِاللَّهِ** مِنْ قَرِيبٍ مِنْهُمْ يَنْفَعُهُمْ، وَلَا شَفِيعٍ يُشَفَّعُ فِيهِمْ.

ويخبر ﷻ أنّ أهل النار يقولون يوم القيامة: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الشعراء]

ويقول ربُّنا ﷻ: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المدثر].

الشفاعة قسمان :

ويتبيّنُ من هذه الأدلة أنّ الشفاعة في كتاب الله تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: شفاعة مثبتة.

والقسم الثاني: شفاعة منفية.

فالشفاعة المثبتة: هي الشفاعة التي ذكر الله ﷻ لنا أنها لا تكون إلا بإذنه، وأنها لا تكون إلا لمن رَضِيَه الله ﷻ.

والشفاعة المنفية: هي الشفاعة في حقِّ الكافرين والمشركين، ومن مات على غير التوحيد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "فنفى عمّا سواه كلّ ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قِسْطٌ من الملك أو يكون عونًا لله، ولم يبق إلا الشفاعة؛ فبيّن أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الربُّ كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨]"[(١)].

فالشفاعةُ في كتاب الله قسمان:

شفاعة مثبتة، وهذه الشفاعة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يتفضّل بها على أهل الإخلاص، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع؛ ليكرمه وينال المقام المحمود.

وأما الشفاعة المنفية فهي ما كان فيها شركٌ، فالمشرك لا يقبل الله جَلَّ جَلَالُهُ فيه الشفاعةَ، وهذا الباب العظيم من الأبواب التي ضلّ فيها المشركون والكافرون وعبدةُ الأوثان والمفتونون المغالُون في الأولياء والعلماء والأنبياء والصالحين،

يقول الله جَلَّ جَلَالُهُ في كتابه الكريم مبيِّنًا خطأ ما كان عليه المشركون: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨]

فهم يزعمون أنّ آلهتهم التي تُعبَد من دون الله ستكون شفيعةً لهم عند الله جَلَّ جَلَالُهُ في الموقف يوم القيامة، وقد ظَنُّوا بالله ظنّ السوء، قال تعالى عنهم: ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ ثم قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يونس].

الشفاعة العظمى يوم القيامة:

من أعظم الشفاعات يوم القيامة الشفاعةُ العظمى التي تكون لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذلك أن الناس حين يجمعهم الله يوم القيامة في صعيد واحد -كما جاء في الأحاديث- يصيبهم الهمُّ والغمُّ والكرب، فيفزعون إلى من يشفع لهم عند الله جَلَّ جَلَالُهُ ليُخلِّصَهم من كرب الموقف، وقد تقدّم معنا في المجلس السابق ذِكْرُ أن الناس حينما يقفون في الموقف العظيم

(١) مجموع الفتاوى (٧/٧٧).

يتصبّبُ منهم العرق وتدنو منهم الشمس مقدارَ ميل، وأنّ من الناس من يغوص في عرقه ويُلجِمُه العرق إلجامًا، وأن منهم من يكون العرق إلى حَقْويه أو إلى ركبتيه، وهاهنا يطلب الناس من يُخلِّصهم في هذا اليوم والموقف العظيمين.

وقد ورد في ذلك أحاديثُ عن النبي ﷺ فمن ذلك:

ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بلَحْمٍ، فَرُفِعَ إلَيْهِ الذِّرَاعُ، وكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَشَ منها نَهْشَةً، ثُمَّ قالَ: «**أنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَومَ القِيَامَةِ، وهلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذلكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ في صَعِيدٍ واحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي ويَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ والكَرْبِ ما لا يُطِيقُونَ ولَا يَحْتَمِلُونَ، فيَقولُ النَّاسُ: ألَا تَرَوْنَ ما قدْ بَلَغَكُمْ، ألَا تَنْظُرُونَ مَن يَشْفَعُ لَكُمْ إلى رَبِّكُمْ؟ فيَقولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: علَيْكُم بآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عليه السلام فيَقولونَ له: أنْتَ أبو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بيَدِهِ، ونَفَخَ فِيكَ مِن رُوحِهِ، وأَمَرَ المَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّكَ، ألَا تَرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ، ألَا تَرَى إلى ما قدْ بَلَغَنَا؟ فيَقولُ آدَمُ: إنَّ رَبِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإنَّه قدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى غيرِي**[1]، **اذْهَبُوا إلى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا** عليه السلام **فيَقولونَ: يا نُوحُ، إنَّكَ أنْتَ أوَّلُ الرُّسُلِ إلى أهْلِ الأرْضِ، وقدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّكَ، ألَا تَرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ؟! فيَقولُ: إنَّ رَبِّي** عز وجل **قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإنَّه قدْ كَانَتْ لي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا علَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى غيرِي، اذْهَبُوا إلى إبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إبْرَاهِيمَ** عليه السلام **فيَقولونَ: يا إبْرَاهِيمُ، أنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وخَلِيلُهُ مِن أهْلِ الأرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّكَ ألَا تَرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ؟! فيَقولُ لهمْ: إنَّ رَبِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ،**

---

(١) آدم عليه السلام ذو جاه عظيم ومنزلة كريمة عند الله عز وجل ولكنه في هذا الموقف استحيا من ربه عز وجل، والله سبحانه قد خص بهذا المقام نبينا محمدا ﷺ.

ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإنِّي قدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ - فَذَكَرَهُنَّ الراوي[1]-، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى غيرِي، اذْهَبُوا إلى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى عليه السلام فيَقولونَ: يا مُوسَى، أنْتَ رَسولُ اللَّهِ، فَضَّلَكَ اللَّهُ برِسَالَتِهِ وبِكَلَامِهِ علَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّكَ، ألَا تَرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ؟! فيَقولُ: إنَّ رَبِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإنِّي قدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى غيرِي، اذْهَبُوا إلى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليهما السلام، فَيَأْتُونَ عِيسَى عليه السلام، فيَقولونَ: يا عِيسَى أنْتَ رَسولُ اللَّهِ، وكَلِمَتُهُ ألْقَاهَا إلى مَرْيَمَ ورُوحٌ منه، وكَلَّمْتَ النَّاسَ في المَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّكَ، ألَا تَرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ؟! فيَقولُ عِيسَى: إنَّ رَبِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، ولَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى غيرِي اذْهَبُوا إلى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا، فيَقولونَ: يا مُحَمَّدُ، أنْتَ رَسولُ اللَّهِ وخَاتِمُ الأنْبِيَاءِ، وقدْ غَفَرَ اللَّهُ لكَ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّكَ، ألَا تَرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ؟! قال: فأنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فأقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عز وجل، ثُمَّ يَفْتَحُ

---

(١) جاء في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ [قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم]: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ عز وجل، قَوْلُهُ ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الصافات]. وَقَوْلُهُ: ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ [الأنبياء: ٦٣]. وَقَالَ: بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةُ، إِذْ أَتَى عَلَى جَبَّارٍ مِنَ الجَبَابِرَةِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَا هُنَا رَجُلًا مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: أُخْتِي، فَأَتَى سَارَةَ قَالَ: يَا سَارَةُ: لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرَكِ، وَإِنَّ هَذَا سَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكِ أُخْتِي، فَلاَ تُكَذِّبِينِي، ...» الحديث رواه البخاري موقوفا (٣٣٥٨) ومرفوعا (٥٠٨٤) ومسلم مرفوعا (٢٣٧١). وهذه الكلمات الثلاث إنما كانت من معاريض الكلام، لكن لما كانت صورتها صورة الكذب أشفق منها؛ استصغارًا لنفسه عن الشفاعة، مع وقوعها؛ لأن من كان أعرف بالله، وأقرب إليه منزلةً كان أعظم خوفًا. قاله البيضاوي. وقوله: «ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ» قال في الفتح: خَصّ الثنتين بذات الله؛ لأن قصة سارة، وإن كانت أيضاً في ذات الله، لكن تضمنت حظّاً لنفسه، ونفعاً له، بخلاف الثنتين الأخيرتين، فإنهما في ذات الله محضاً، وقد وقع في رواية [روها البزار -كما في «البداية والنهاية» (١/ ٣٤٩ ت التركي)- وأبو يعلى (٦٠٣٩) وأبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان (٢/ ١٠٠) وعنه أبو نعيم في طبقات المحدثين بأصبهان (٢/ ١٠٠)-] ....: «إن إِبْرَاهِيمَ لم يكذب قطّ إلا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، كل ذلك فِي ذَاتِ اللَّهِ» ا.هـ قلت: وهي رواية صحيحة على الراجح.

اللَّهُ عَلَيَّ مِن مَحَامِدِهِ وحُسْنِ الثَّنَاءِ عليه شيئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ. فأَرْفَعُ رَأْسِي، فأَقُولُ: أُمَّتِي يا رَبِّ، أُمَّتِي يا رَبِّ، أُمَّتِي يا رَبِّ، فيُقَالُ: يا مُحَمَّدُ، أَدْخِلْ مِن أُمَّتِكَ مَن لا حِسَابَ عليهم مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِن أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيما سِوَى ذلكَ مِنَ الأَبْوَابِ، ثُمَّ قالَ: والذي نَفْسِي بيَدِهِ، إنَّ ما بيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِن مَصَارِيعِ الجَنَّةِ، كما بيْنَ مَكَّةَ وحِمْيَرَ أوْ كما بيْنَ مَكَّةَ وبُصْرَى»[(١)].

وهذا الحديث ونحوه -مما ورد في الشفاعة في الموقف يوم القيامة- فيه الجمع بين نوعين من الشفاعة:

عامة في أهل الموقف كما يدل عليه أول الحديث.

وخاصة لأمته كما يدل عليه آخره «**فأقُولُ: أُمَّتِي يا رَبِّ، أُمَّتِي يا رَبِّ**».

ولذلك ذكر جمع من العلماء أن أحاديث الشفاعة وقع فيها اختصار من بعض الرواة.

قَالَ الدَّاوُدِيُّ: كَأَنَّ رَاوِيَ هَذَا الْحَدِيثِ رَكَّبَ شَيْئًا عَلَى غَيْرِ أَصْلِهِ وَذَلِكَ أَنَّ فِي أَوَّلِ الْحَدِيثِ ذَكَرَ الشَّفَاعَةَ فِي الْإِرَاحَةِ مِنْ كَرْبِ الْمَوْقِفِ وَفِي آخِرِهِ ذَكَرَ الشَّفَاعَةَ فِي الْإِخْرَاجِ مِنَ النَّارِ. قال الحافظ: يَعْنِي وَذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ التَّحَوُّلِ مِنَ الْمَوْقِفِ وَالْمُرُورِ عَلَى الصِّرَاطِ وَسُقُوطِ مَنْ يَسْقُطُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ فِي النَّارِ ثُمَّ يَقَعُ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّفَاعَةُ فِي الْإِخْرَاجِ ا.هـ[(٢)]

وقد بين العلماء[(٣)] أنه يكون أولا الشَّفَاعَة الَّتِي لَجَأَ النَّاسُ فِيهَا إلى النبي ﷺ وَهِيَ الْإِرَاحَةُ مِنْ كَرْبِ الْمَوْقِفِ ثُمَّ تَجِيءُ الشَّفَاعَةُ فِي الْإِخْرَاجِ بعد ذلك. وفسروا حصولَ الإراحةِ من هول الموقف بما ورد في حديث أبي سعيد من الْأَمْرِ بِاتِّبَاعِ كُلِّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ ثُمَّ تَمْيِيزُ الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ حُلُولُ الشَّفَاعَةِ بَعْدَ وَضْعِ الصِّرَاطِ وَالْمُرُورِ

---

(١) البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٣٧-٤٣٨)

(٣) انظر المرجع السابق

عَلَيْهِ فَكَانَ الْأَمْرُ بِاتِّبَاعِ كُلِّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ هُوَ أَوَّلُ فَصْلِ الْقَضَاءِ وَالْإِرَاحَةِ مِنْ كَرْبِ الْمَوْقِفِ(١)

ويؤيده ما رواه البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ جُثًا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ: يَا فُلاَنُ اشْفَعْ، يَا فُلاَنُ اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ المَقَامَ المَحْمُودَ**»(٢)

ورواه البخاري أيضا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ الشَّمْسَ تَدْنُو يَوْمَ القِيَامَةِ، حَتَّى يَبْلُغَ العَرَقُ نِصْفَ الأُذُنِ، فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ اسْتَغَاثُوا بِآدَمَ، ثُمَّ بِمُوسَى، ثُمَّ بِمُحَمَّدٍ ﷺ**»(٣)

قال البخاري: وَزَادَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنِي اللَّيْثُ، حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ: «**فَيَشْفَعُ لِيُقْضَى بَيْنَ الخَلْقِ، فَيَمْشِي حَتَّى يَأْخُذَ بِحَلْقَةِ البَابِ، فَيَوْمَئِذٍ يَبْعَثُهُ اللَّهُ مَقَامًا مَحْمُودًا، يَحْمَدُهُ أَهْلُ الجَمْعِ كُلُّهُمْ**»(٤)

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِنْ إِيرَادِ الْأَئِمَّةِ لِهَذَا الْحَدِيثِ فِي أَكْثَرِ طُرُقِهِ، لَا يَذْكُرُونَ أَمْرَ الشَّفَاعَةِ الْأُولَى، فِي إِتْيَانِ الرَّبِّ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، ...، وَهُوَ الْمَقْصُودُ فِي هَذَا الْمَقَامِ. وَمُقْتَضَى سِيَاقِ أَوَّلِ الْحَدِيثِ؛ فَإِنَّ النَّاسَ إِنَّمَا يَسْتَشْفِعُونَ إِلَى

---

(١) كما في صحيح البخاري (٤٥٨١) عن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ عنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ«... إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ، إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ بَرٌّ أَوْ فَاجِرٌ، وَغُبَّرَاتُ أَهْلِ الكِتَابِ فَيُدْعَى اليَهُودُ فَيُقَالُ لَهُمْ: مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ فَقَالُوا: عَطِشْنَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ أَلاَ تَرِدُونَ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لَهُمْ: مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَكَذَلِكَ مِثْلَ الأَوَّلِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ، أَوْ فَاجِرٍ، أَتَاهُمْ رَبُّ العَالَمِينَ فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا، فَيُقَالُ: مَاذَا تَنْتَظِرُونَ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى أَفْقَرِ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ رَبَّنَا الَّذِي كُنَّا نَعْبُدُ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: لاَ نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا»

(٢) صحيح البخاري (٤٧١٨).

(٣) المرجع السابق (١٤٧٥).

(٤) المرجع السابق معلقا عقب الحديث (١٤٧٥).

آدَمَ فَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي أَنْ يَفْصِلَ اللَّهُ ﷻ بَيْنَ النَّاسِ؟ لِيَسْتَرِيحُوا مِنْ مَقَامِهِمْ ذَلِكَ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ سِيَاقَاتُهُ مِنْ سَائِرِ طُرُقِهِ، فَإِذَا وَصَلُوا إِلَى الْمَحَزِّ إِنَّمَا يَذْكُرُونَ الشَّفَاعَةَ فِي عُصَاةِ الْأُمَّةِ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنَ النَّارِ، وَكَأَنَّ مَقْصُودَ السَّلَفِ فِي الِاقْتِصَارِ عَلَى هَذَا الْمِقْدَارِ مِنَ الْحَدِيثِ هُوَ الرَّدُّ عَلَى الْخَوَارِجِ وَمَنْ تَابَعَهُمْ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، الَّذِينَ يُنْكِرُونَ خُرُوجَ أَحَدٍ مِنَ النَّارِ بَعْدَ دُخُولِهَا، فَيَذْكُرُونَ هَذَا الْقَدْرَ مِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي فِيهِ النَّصُّ الصَّرِيحُ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ فِيمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ مِنَ الْبِدْعَةِ الْمُخَالِفَةِ لِلْأَحَادِيثِ .ا.هـ[١]

-ثم ذكر حديث ابن عمر المتقدم-.

الشفاعة العظمى يوم القيامة هي المقام المحمود:

والشفاعة العظمى هي المقام المحمود الذي وعده الله ﷻ لنبيه ﷺ كما قال تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء]. فالناس إذا ضاق بهم الموقف، وطال المقام، واشتدّ القلق، وألجمهم العرقُ التمسوا الشفاعة في أنْ يفصل اللهُ بينهم، فيأتون آدمَ فنوحًا ثم إبراهيمَ ثم موسى ثم عيسى، وكلُّهم يقول: نفسي نفسي، وهم من أشدِّ الأنبياء قربًا إلى الله، وأعظم الناس جاهًا ومنزلة عند الله ﷻ حتى ينتهوا إلى نبينا محمد، فيقول: «**أَنَا لَهَا**»[٢] فيشفع ﷺ عند الله سبحانه في أهل الموقف أن يعجل الله ﷻ لحسابهم. وقد تقدم حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّهُ قَالَ: «**... فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ المَقَامَ المَحْمُودَ**»[٣]

وروى مسلم عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: ضَرَبَ فِي صَدْرِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَفِضْتُ عَرَقًا وَكَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى اللهِ ﷻ فَرَقًا، فَقَالَ لِي: «**يَا أُبَيُّ أُرْسِلَ إِلَيَّ أَنِ اقْرَإِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنِيهَا، فَقُلْتُ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي، اللهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي، وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ،**

---

(١) البداية والنهاية ط هجر (١٩/ ٤١٩).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) تقدم

حَتَّى إِبْرَاهِيمُ ﷺ»[١]. قال ابن كثير: «وَهَذَا هُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ»[٢].ا.هـ[٣].

وفي مسند الإمام أحمد عن كعب بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ[٤]، وَيَكْسُونِي رَبِّي ﷻ حُلَّةً خَضْرَاءَ، ثُمَّ يُؤْذَنُ لِي، فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَقُولَ، فَذَاكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ»[٥]

الشفاعة لأقوام استحقُّوا دخول الجنة أن يدخلوها:

ويشفع ﷺ لأقوام استحقُّوا دخول الجنة في أن يدخلوها،

وهي النوع الثاني من أنواع الشفاعة الخاصة به ﷺ. يقول ﷺ «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا»، وفي رواية: «أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ»، وفي رواية: «أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ، لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، وَإِنَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ»[٦].

ويقول ﷺ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»[٧].

---

(١) أخرجه مسلم (٨٢٠).

(٢) رواه بهذا اللفظ الترمذي في السنن (٣٦١٥) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ. وأحمد في المسند (٢٥٤٦) من حديث ابن عباس ﷺ وابن حبان (٦٤٧٨) من حديث عبد الله بن سلام ﷺ وهو في صحيح البخاري (٣٣٤٠، ٤٧١٢) ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة ﷺ ولفظهما «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». ورواه مسلم (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة ﷺ دون قوله «وَلَا فَخْرَ» وزاد: «... وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»

(٣) قصص الأنبياء (١/ ٢٤٢)

(٤) أي: على موضع مرتفع

(٥) تقدم (ص ١١١) نهاية المجلس (٢٥).

(٦) أخرجه بروايته كلها الإمام مسلم (١٩٦) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٧) أخرجه مسلم (١٩٧) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَحُذَيْفَةَ رضي الله عنهما، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَجْمَعُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا، اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ، لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ[1]، اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى عليه السلام الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى عليه السلام، فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللهِ وَرُوحِهِ، فَيَقُولُ عِيسَى عليه السلام: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ ...»[2]

شفاعة النبي ﷺ في عمه أبي طالب:

ثالثا: ومن أنواع الشفاعة الخاصة بنبينا ﷺ: شفاعتُه في تخفيف العذاب عن عمِّه أبي طالب؛ فإنه شفع فيه عند الله ﷻ حتى خُفِّف عَنْه العذابُ.

ففي الصحيحين عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ، فَقَالَ: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ أُمُّ دِمَاغِهِ»[3]

---

(١) قوله: «وَرَاءَ وَرَاءَ»: بالفتح فيهما على المشهور والثانية مؤكدة للأولى كقولهم شذر مذر كما في شرح النووي على مسلم (٣/٧١). والمعنى كما قال القاضي عياض في «مشارق الأنوار» (٢/ ٢٨٤): «أي من غير تقريب وَلَا إدلال بخواصها». وقال في «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (١/ ٥٧٦): فيه إشارةٌ إلى تفضيل محمدٍ ﷺ، وفيه حجةٌ على زيادة منزلة محمد ﷺ في القرب على إبراهيم، وليس ذلك إلا بالرؤية والمناجاة - والله أعلم بقوله: " من وراء وراء" ا.هـ وقال النووي رحمه الله في «شرحه على مسلم» (٣/ ٧١): «قَالَ صَاحِبُ التَّحْرِيرِ هَذِهِ كَلِمَةٌ تُذْكَرُ عَلَى سَبِيلِ التَّوَاضُعِ أَيْ لَسْتُ بِتِلْكَ الدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ -ثم نقل النووي عنه أن المعنى-: فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ أَنَا وَرَاءُ مُوسَى الَّذِي هُوَ وراء محمد صلى الله عليه وعليهم أَجْمَعِينَ وَسَلَّمَ.

(٢) أخرجه مسلم (١٩٥). ووهم الحاكم فخرجه في المستدرك على الصحيحين (٨٧٤٩) وصححه على شرطهما. وتعقبه شيخنا الوادعي في تحقيق المستدرك.

(٣) رواه البخاري (٦٥٦٤) ومسلم (٢١٠).

وقال الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ»(١) وقال ﷺ «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ»(٢)

النوع الرابع الشفاعة في أقوام دخلوا النار أن يخرجوا منها:

رابعا: ومن أنواع الشفاعة: **الشفاعةُ فيمن دخل النار من أهل التوحيد أن يخرجوا منها**، فيخرجون قد امتُحِشُوا،(٣) وصاروا فحمًا، فيُطرَحونَ في نَهرِ الحياةِ، فينبُتونَ كما تَنبتُ الحبّةُ في حميلِ السّيلِ كما جاء عن النبي ﷺ في حديث أَبِي سَعِيدٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ»(٤)

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: «يَجْمَعُ اللَّهُ المُؤْمِنِينَ يَومَ القِيامَةِ كَذلكَ، فيَقولونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنا إلى رَبِّنا حتَّى يُرِيحَنا مِن مَكانِنا هذا ... ثم ذكر الحديث بمعناه: **يأتون آدم وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدا** ﷺ قال: فأنْطَلِقُ، فأسْتَأْذِنُ علَى رَبِّي، فيُؤْذَنُ لي عليه، فإذا رَأَيْتُ رَبِّي وقَعْتُ له ساجِدًا، فَيَدَعُنِي ما شاءَ اللَّهُ أنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقالُ لِي: ارْفَعْ مُحَمَّدُ وقُلْ يُسْمَعْ، وسَلْ تُعْطَهْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأحْمَدُ رَبِّي بمَحامِدَ عَلَّمَنِيها، ثُمَّ أشْفَعُ فَيَحُدُّ لي حَدًّا، فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أرْجِعُ، فإذا رَأَيْتُ رَبِّي وقَعْتُ ساجِدًا، فَيَدَعُنِي ما شاءَ اللَّهُ أنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقالُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ وقُلْ يُسْمَعْ، وسَلْ تُعْطَهْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأحْمَدُ رَبِّي بمَحامِدَ عَلَّمَنِيها رَبِّي، ثُمَّ أشْفَعُ فَيَحُدُّ لي حَدًّا -

---

(١) رواه البخاري (٣٨٨٣) ومسلم (٢٠٩).

(٢) رواه مسلم (٢١٢) من حديث ابن عباس ﷺ. ووهم الحاكم فأخرجه في المستدرك على الصحيحين (٨٧٤٠) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ا.هـ وتعقبه شيخنا الوادعي رحمه الله في التعليقات على المستدرك.

(٣) امتحشوا: أي احترقوا. وتروى: " امتَحَشُوا "

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٦٠)، ومسلم (١٨٤) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

يعني يعطيه عددًا معيّنًا من الناس يشفع فيهم ﷺ - ثم يقول ﷺ: **فأقُولُ: يا رَبِّ ما بَقِيَ في النَّارِ إلَّا مَن حَبَسَهُ القُرْآنُ، ووَجَبَ عليه الخُلُودُ»** -يعني من كان من الكافرين-، -نسأل الله السلامة والعافية-.

قال: وقال النبيُّ ﷺ: **«يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَن قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وكانَ في قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ ما يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَن قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وكانَ في قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ ما يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَن قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وكانَ في قَلْبِهِ ما يَزِنُ مِنَ الخَيْرِ ذَرَّةً»**[(١)].

شفاعة المؤمنين لإخوانهم الذين دخلوا النار:

وأخبر النبيُّ ﷺ أن الناجين من عباد الله سبحانه من المؤمنين يجادلون الله ﷻ عن إخوانهم. -وهذا يدل على فضل الأُخُوَّة في الله ﷻ-، كما جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه أيضا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«... ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ»، [وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ]** قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الجِسْرُ؟ قَالَ: **«مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلاَلِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، المُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشَدَةً فِي الحَقِّ، قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ المُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ، وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا، فِي إِخْوَانِهِمْ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، وَيُحَرِّمُ اللَّهُ صُوَرَهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ، وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا... فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالمَلاَئِكَةُ وَالمُؤْمِنُونَ، فَيَقُولُ الجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ،**

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٠)، ومسلم (١٩٣).

فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ امْتُحِشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، ... فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ، ...» الحديث [١]

وفي رواية في المسند وغيره أن النبي ﷺ قال: «يُوضَعُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، عَلَيْهِ حَسَكٌ كَحَسَكِ السَّعْدَانِ، ثُمَّ يَسْتَجِيزُ النَّاسُ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَجْدُوحٌ بِهِ، ثُمَّ نَاجٍ وَمُحْتَبَسٌ بِهِ فَمَنْكُوسٌ فِيهَا قال: فَإِذَا فَرَغَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، يَفْقِدُ الْمُؤْمِنُونَ رِجَالًا كَانُوا مَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا يُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِمْ، وَيُزَكُّونَ بِزَكَاتِهِمْ، وَيَصُومُونَ صِيَامَهُمْ، وَيَحُجُّونَ حَجَّهُمْ وَيَغْزُونَ غَزْوَهُمْ فَيَقُولُونَ: أَيْ رَبَّنَا، عِبَادٌ مِنْ عِبَادِكَ كَانُوا مَعَنَا فِي الدُّنْيَا يُصَلُّونَ صَلَاتَنَا، وَيُزَكُّونَ زَكَاتَنَا، وَيَصُومُونَ صِيَامَنَا، وَيَحُجُّونَ حَجَّنَا، وَيَغْزُونَ غَزْوَنَا لَا نَرَاهُمْ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا إِلَى النَّارِ فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْهُمْ فَأَخْرِجُوهُ»، قال ﷺ: «فَيَجِدُونَهُمْ قَدْ أَخَذَتْهُمُ النَّارُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى قَدَمَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَزرَتْهُ - يعني بلغت إلى حد المئزر- وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى ثَدْيَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى عُنُقِهِ، وَلَمْ تَغْشَ الْوُجُوهَ فَيَسْتَخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا فَيُطْرَحُونَ فِي مَاءِ الْحَيَاةِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْحَيَاةُ؟ قَالَ: «غُسْلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الزَّرْعَةِ. وَقَالَ مَرَّةً: فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الزَّرْعَةُ فِي غُثَاءِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَشْفَعُ الْأَنْبِيَاءُ فِي كُلِّ مَنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا فَيُخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا. قَالَ: ثُمَّ يَتَحَنَّنُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ عَلَى مَنْ فِيهَا، فَمَا يَتْرُكُ فِيهَا عَبْدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا أَخْرَجَهُ مِنْهَا»[٢].

ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين:

وإذا خرج عصاة المؤمنين أهل التوحيد من النار فحينها ﴿ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾، كما ورد في تفسير الآية وهي قول الله ﷻ: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) ومنه الزيادة.
(٢) أخرجه أحمد (١١٠٨١) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢ ﴾ [الحجر] فقد ذكر العلماء في تفسيرها: أنّ عُصاةَ أهلِ التوحيد إذا دخلوا النار يقول لهم الكفار: ما فَضْلُكُمْ علينا؟ نحن في النار وأنتم في النار، فيغضب الله عَزَّوَجَلَّ لذلك فيأمر بإخراج من كان في قلبه مثقالُ حبّةِ خردلٍ ومن قال: لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه من النار، فحينئذ يتمنّى الكافرُ لو كان مسلمًا.

قال الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَأَبِي ذَرٍّ، وَعِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**سَيَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ**» هَكَذَا رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، وَغَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ التَّابِعِينَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ قَالُوا: إِذَا أُخْرِجَ أَهْلُ التَّوْحِيدِ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُوا الجَنَّةَ وَدَّ ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢ ﴾ ا.هـ[1]

وفي المسند عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنِّي لَأَوَّلُ النَّاسِ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْ جُمْجُمَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ، وَأُعْطَى لِوَاءَ الْحَمْدِ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ، وَإِنِّي آتِي بَابَ الْجَنَّةِ، فَآخُذُ بِحَلْقَتِهَا، فَيَقُولُونَ: مَنْ هَذَا؟ فَأَقُولُ: أَنَا مُحَمَّدٌ، فَيَفْتَحُونَ لِي، فَأَدْخُلُ، فَإِذَا الْجَبَّارُ مُسْتَقْبِلِي، فَأَسْجُدُ لَهُ، فَيَقُولُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَتَكَلَّمْ يُسْمَعْ مِنْكَ، وَقُلْ يُقْبَلْ مِنْكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: اذْهَبْ إِلَى أُمَّتِكَ، فَمَنْ وَجَدْتَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ شَعِيرٍ مِنَ الْإِيمَانِ، فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، فَأُقْبِلُ فَمَنْ وَجَدْتُ فِي قَلْبِهِ ذَلِكَ فَأُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ. فَإِذَا الْجَبَّارُ مُسْتَقْبِلِي، فَأَسْجُدُ لَهُ، فَيَقُولُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَتَكَلَّمْ يُسْمَعْ مِنْكَ، وَقُلْ يُقْبَلْ مِنْكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ: اذْهَبْ إِلَى أُمَّتِكَ فَمَنْ وَجَدْتَ فِي قَلْبِهِ نِصْفَ حَبَّةٍ مِنْ شَعِيرٍ مِنَ الْإِيمَانِ فَأَدْخِلْهُمُ الْجَنَّةَ، فَأَذْهَبُ فَمَنْ وَجَدْتُ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَلِكَ أَدْخَلْتُهُمُ**

---

(١) «سنن الترمذي» (٥/ ٢٤ ت شاكر).

الْجَنَّةَ. فَإِذَا الْجَبَّارُ مُسْتَقْبِلِي فَأَسْجُدُ لَهُ، فَيَقُولُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَتَكَلَّمْ يُسْمَعْ مِنْكَ، وَقُلْ يُقْبَلْ مِنْكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: اذْهَبْ إِلَى أُمَّتِكَ فَمَنْ وَجَدْتَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنَ الْإِيمَانِ فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، فَأَذْهَبُ فَمَنْ وَجَدْتُ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَلِكَ أَدْخَلْتُهُمُ الْجَنَّةَ. وَفَرَغَ اللَّهُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ، وَأَدْخَلَ مَنْ بَقِيَ مِنْ أُمَّتِي النَّارَ مَعَ أَهْلِ النَّارِ. فَيَقُولُ أَهْلُ النَّارِ: مَا أَغْنَى عَنْكُمْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ اللَّهَ، لَا تُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا. فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: فَبِعِزَّتِي، لَأُعْتِقَنَّهُمْ مِنَ النَّارِ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ، فَيَخْرُجُونَ وَقَدِ امْتَحَشُوا، فَيَدْخُلُونَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي غُثَاءِ السَّيْلِ، وَيُكْتَبُ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللَّهِ، فَيُذْهَبُ بِهِمْ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَؤُلَاءِ الْجَهَنَّمِيُّونَ. فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: بَلْ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ الْجَبَّارِ»[(١)]

الشفاعة في دخول من لا حساب عليهم الجنة:

خامسا: الشفاعة في دخول من لا حساب عليهم الجنة، وقد تقدم في حديث أبي هريرة ﷺ: «... فأقُولُ: أُمَّتِي يا رَبِّ، أُمَّتِي يا رَبِّ، أُمَّتِي يا رَبِّ، فيُقَالُ: يا مُحَمَّدُ، أدْخِلْ مِن أُمَّتِكَ مَن لا حِسَابَ عليهم مِنَ البَابِ الأيْمَنِ مِن أبْوَابِ الجَنَّةِ، وهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيما سِوَى ذلكَ مِنَ الأبْوَابِ...»[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٤٦٩) والدارمي (٥٣) والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢٦٨) وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٧١٠) وابن منده في الإيمان (٨٧٧) وقال: هذا حديث صحيح مشهور عن ابن الهاد ا.هـ وقال الشيخ الألباني في ظلال الجنة (٢/ ٤٠٧): صحيح على شرط الشيخين ا.هـ قلت: قول ابن منده أصح، فالحديث من رواية الليث عن يزيد بن الهاد عن عمرو مولى المطلب عن أنس، وليس هو هكذا على رسم مسلم، كما في ترجمة ابن الهاد من كتاب "رجال صحيح مسلم" لابن مَنْجُويَه (٢/ ٣٦٢)، والرواة عن الليث، ليسوا على شرط البخاري، فالإسناد صحيح حسب والله أعلم. وللحديث طرق أخرى عن أنس، وشواهد من حديث أبي موسى وابن عباس وجابر والحسين بن علي ﷺ انظرها مخرجة في ظلال الجنة للألباني وفي أنيس الساري (تخريج أحاديث فتح الباري) (١/ ٢٣٥).

(٢) البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة:

هذا هو النوع السادس من الشفاعة، وهذه النوع من أنواع الشفاعة ليس خاصا بنبينا ﷺ، ولكنه المقدّم فيها ثم يشفع بعده الأنبياء والملائكة والأولياء والأفراط أي: الأولاد الصغار الذين يموتون صغارًا فيشفعون ثم يخرج الله ﷻ برحمته من النار أقوامًا بدون شفاعة لا يحصيهم إلا الله ﷻ فيدخلون الجنة(١).

الشفاعة في أقوام قد أُمِرَ بهم إلى النار ألّا يدخلوها:

سابعا: ومن أنواع الشفاعة التي يذكرها العلماء: الشفاعةُ في أقوام قد أُمِرَ بهم إلى النار ألّا يدخلوها.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: وهذه قد يستدل لها: بما رواه مسلم عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:

«مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ»(٢) قال: فإن هذه شفاعة قبل أن يدخل النار، فيشفعهم الله في ذلك ا.هـ(٣) ثم قال: ويشكل على هذا أن هذه شفاعة في الدنيا (٤).

وابن القيم رحمه الله يقول: وَهَذَا النَّوْع لَمْ أَقِف إِلَى الْآن عَلَى حَدِيث يَدُلّ عَلَيْهِ. وَأَكْثَر الْأَحَادِيث صَرِيحَة فِي أَنَّ الشَّفَاعَة فِي أَهْل التَّوْحِيد مِنْ أَرْبَاب الْكَبَائِر إِنَّمَا تَكُون بَعْد دُخُولهمْ النَّار، وَأَمَّا أَنْ يُشْفَع فِيهِمْ قَبْل الدُّخُول، فَلَا يَدْخُلُونَ . فَلَمْ أَظْفَر فِيهِ بِنَصٍّ ا.هـ(٥)

وذكر الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله- أن مما يدل على إثبات هذا النوع من الشفاعة قوله ﷺ **«شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»**(٦) فأثبت ﷺ شفاعته في أهل

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) صحيح مسلم (٩٤٨).

(٣) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٣٣٤)

(٤) انظر: شرح العقيدة الواسطية (٢/ ١٧٨)

(٥) انظر: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته (٢/ ٤٢٥)

(٦) أخرجه أبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، عن أنس رضي الله عنه، وأخرجه الترمذي (٢٤٣٦) وابن ماجه (٤٣١٠) =

الكبائر، وهو يشمل من استحق النار ممن دخل أو لم يدخل، فيُسْتَدَل بعموم هذا الحديث على صحة هذا النوع من الشفاعة، وصحة كونه شفاعة[١].

قصة تبين المعتقد الصحيح في الشفاعة في أهل الكبائر:

قَالَ يَزِيدُ الْفَقِيرُ رَحِمَهُ اللَّهُ: كُنْتُ قَدْ شَغَفَنِي رَأْيٌ مِنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ، فَخَرَجْنَا فِي عِصَابَةٍ ذَوِي عَدَدٍ نُرِيدُ أَنْ نَحُجَّ، ثُمَّ نَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ، قَالَ: فَمَرَرْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ، فَإِذَا: جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَالِسٌ إِلَى سَارِيَةٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الْجَهَنَّمِيِّينَ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ، مَا هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ؟ وَاللهُ يَقُولُ: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢] وَ ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]، فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ؟ قَالَ: فَقَالَ: «أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ عليه السلام - يَعْنِي الَّذِي يَبْعَثُهُ اللهُ فِيهِ -؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمَحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ اللهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ»، قَالَ: ثُمَّ نَعَتَ وَضْعَ الصِّرَاطِ، وَمَرَّ النَّاسِ عَلَيْهِ، - قَالَ: وَأَخَافُ أَنْ لَا أَكُونَ أَحْفَظُ ذَاكَ - قَالَ: غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ زَعَمَ «**أَنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا**»، قَالَ: - يَعْنِي - «**فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَاسِمِ**»، قَالَ: «**فَيَدْخُلُونَ نَهَرًا مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَيَغْتَسِلُونَ فِيهِ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ الْقَرَاطِيسُ**»، فَرَجَعْنَا قُلْنَا: وَيْحَكُمْ أَتُرَوْنَ الشَّيْخَ يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَرَجَعْنَا فَلَا وَاللهِ مَا خَرَجَ مِنَّا غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ. رواه مسلم[٢]

وفي المسند عَنْ طَلْقِ بْنِ حَبِيبٍ، قَالَ: كُنْتُ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ تَكْذِيبًا بِالشَّفَاعَةِ، حَتَّى لَقِيتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ كُلَّ آيَةٍ ذَكَرَهَا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِيهَا خُلُودُ أَهْلِ النَّارِ، فَقَالَ: يَا طَلْقُ، أَتُرَاكَ أَقْرَأَ لِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي، وَأَعْلَمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَاتَّضِعْتُ لَهُ، فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ، بَلْ أَنْتَ أَقْرَأُ لِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي، وَأَعْلَمُ بِسُنَّتِهِ مِنِّي، قَالَ: فَإِنَّ الَّذِي

من حديث جابر رضي الله عنه.

(١) ينظر: «شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ» (ص٢٠٣ و٢١٢ بترقيم الشاملة)

(٢) صحيح مسلم (١٩١).

قَرَأْتَ أَهْلُهَا هُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَلَكِنْ «قَوْمٌ أَصَابُوا ذُنُوبًا، فَعُذِّبُوا بِهَا، ثُمَّ أُخْرِجُوا»، صُمَّتَا - وَأَهْوَى بِيَدَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ - إِنْ لَمْ أَكُنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ»، وَنَحْنُ نَقْرَأُ مَا تَقْرَأُ.(١)

وقالَ نُعَيمُ بنُ حَمَّادٍ قَالَ: سُفْيَانُ -يعْنِي ابنَ عُيَيْنَةَ-: قَدِمَ عَلَيْنَا عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ وَمَعَهُ رَجُلٌ تَابِعٌ لَهُ عَلَى هَوَاهُ قَالَ: فَدَخَلَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ الْحِجْرَ فَصَلَّى فِيهِ، وَخَرَجَ صَاحِبُهُ، فَقَامَ عَلَى عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ وَهُوَ يُحَدِّثُ هَذَا، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَرَجَعَ إِلَى عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ فَقَالَ لَهُ: يَا ضَالُّ أَمَا كُنْتَ تُخْبِرُنَا أَنَّهُ لَا يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ أَحَدٌ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَهُوَ ذَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ يَزْعُمُ أَنَّهُ، سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ» قَالَ: فَقَالَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ: هَذَا لَهُ مَعْنًى لَا تعْرِفُهُ قَالَ: فقَالَ الرَّجُلُ: وَأَيُّ مَعْنًى يَكُونُ لِهَذَا قَالَ: ثُمَّ نَفَضَ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ وَفَارَقَهُ.(٢)

وَقَالَ ابْنُ أَبِي عُمَرَ: حدَّثنا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: إِنَّهُ سَمِعَ عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يُخْرِجُ اللهُ تعالى قَوْمًا مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا امْتَحَشُوا فِيهَا، وَصَارُوا فَحْمًا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرٍ عَلَى بَابِ الجنة، يسمى نهر الحياة، فينبتون فيها كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَوْ كَمَا تَنْبُتُ الثَّعَارِيرُ**(٣)، **فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، فَيُقَالَ: هَؤُلَاءِ عتقاء الله**

---

(١) مسند أحمد (١٤٥٣٤)

(٢) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢٠٤٨) والبيهقي في شعب الإيمان (٣١٩) والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ت بشار (١٤/ ٧٥/ ٤٠٩٩)

(٣) بمثلثة مفتوحة، ثم مهملة، واحدها ثعرور كعصفور، قال ابن الأعرابي: هي قثاء صغار، وقال أبوعبيدة مثله، وزاد: ويقال بالشين المعجمة بدل المثلثة، وقيل: هو نبت في أصول الشمام كالقطن، قال الحافظ: والمقصود الوصف بالبياض والدقة، وجاء في تفسيره في رواية البخاري "٦٥٥٨" بالضغابيس، وفسره الأصمعي بأنه شيء ينبت في أصول الشمام يشبه الهليون، قال الحافظ: هذا التشبيه لصفتهم بعد أن ينبتوا، وأما في أول خروجهم النار فإنهم يكونون كالفحم، ووقع في حديث يزيد الفقير عن جابر عند مسلم: "فيخرجون كأنهم عيدان السمسم، فيدخلون نهراً، فيغتسلون، فيخرجون كأنهم القراطيس البيض" انظر "الفتح" ١/ ٣٢٩ و٤٥٧، ٤٥٨. [من تعليق الشيخ شعيب رحمه الله في تحقيق صحيح ابن حبان]

عَزَّوَجَلَّ **من النار**». وقال رجل متهم برأي الخوارج يقال له هَارُونَ أَبُو مُوسَى أَوْ أَبُو مُوسَى بْنُ هارون: ما هذا الذي تحدث به أبا عَاصِمٍ؟ فَقَالَ: إِلَيْكَ عَنِّي يَا عِلْجُ! فَلَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ أُحَدِّثْ بِهِ[١].

كلمة مهمة للإمام البيهقي:

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ... وَقَدْ ثَبَتَ بِمَا ذَكَرْنَا هَهُنَا، وَفِي كِتَابِ الْبَعْثِ **أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ بِذُنُوبِهِ** غَيْرَ أَنَّ الْقَدْرَ الَّذِي يَبْقَى فِيهَا غَيْرُ مَعْلُومٍ، وَالَّذِي تَلْحَقُهُ الشَّفَاعَةُ ابْتِدَاءً حَتَّى لَا يُعَذَّبَ أَصْلًا غَيْرُ مَعْلُومٍ، **فَالذَّنْبُ خَطَرُهُ عَظِيمٌ، وَشَأْنُهُ جَسِيمٌ**، وَرَبُّنَا غَفُورٌ رَحِيمٌ عِقَابَهُ شَدِيدٌ أَلِيمٌ ا.هـ[٢]

أمة محمد ﷺ أول الأمم دخولا الجنة:

وأوّلُ من يدخل الجنة من الأمم أمّتُه ﷺ فنحن كما قال ﷺ: «**نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ**»[٣]. أي: الآخرون زمنًا المتأخرون وقتًا لكننا الأوّلون السابقون يوم القيامة، وهذا من تكرمة الله ﷻ لهذه الأمة.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال «**أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ**»[٤] فثُلُثَا أهل الجنة من أمة محمد ﷺ.

رسولنا ﷺ أول شافع:

يقول النبي ﷺ «**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا**»،

وفي رواية: «**أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ**»،

---

(١) المطالب العالية (٤٥٦٠) وانظر أيضا: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٢٠٤٨) وشعب الإيمان للبيهقي (٣١٩) وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ت بشار (١٤/ ٤٠٩٩/٧٥)

(٢) شعب الإيمان (١/ ٥٠٦)

(٣) رواه في مسلم (٨٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) سيأتي تخريجه في الجزء السابع مبحث "هذه الأمة هي أكثر أهل الجنة (ح:١٣).

وفي رواية: «أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ، لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، وَإِنَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ»(١).

ويقول ﷺ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»(٢).

من الأعمال الصالحة التي تشفع لصاحبها:

إخواني في الله: اجتهدوا في الأعمال الصالحات التي تقربكم إلى رب الأرض والسماوات؛ فإن الأعمال الصالحة تشفع لصاحبها عند الله ﷻ

كما في صحيح مسلم عن أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ»(٣)

وفي المسند عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ» قَالَ: «فَيُشَفَّعَانِ»(٤)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ، وَهِيَ سُورَةُ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ»(٥)

---

(١) تقدم قريبا

(٢) تقدم قريبا.

(٣) صحيح مسلم (٨٠٤)

(٤) أخرجه أحمد (٦٦٢٦) وهو في صحيح الترغيب والترهيب (٩٨٤)

(٥) أخرجه أبو داود (١٤٠٠) والترمذي (٢٨٩١) وابن ماجه (٣٧٨٦) وهو في صحيح الترغيب والترهيب (١٤٧٤)

وصح عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنَّه قال: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ، مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ قَادَهُ إِلَى النَّارِ»(١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: «نِعْمَ الشَّفِيعُ الْقُرْآنُ لِصَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: يَقُولُ: يَا رَبِّ قَدْ كُنْتُ أَمْنَعُهُ شَهْوَتَهُ فِي الدُّنْيَا فَأَكْرِمْهُ، قَالَ: فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ، قَالَ: فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ زِدْهُ، قَالَ: فَيُحَلَّى حُلَّةَ الْكَرَامَةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ زِدْهُ، قَالَ: فَيُكْسَى تَاجَ الْكَرَامَةِ، قَالَ: فَيَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ، قَالَ: فَيَرْضَى مِنْهُ فَلَيْسَ بَعْدَ رِضَى اللَّهِ عَنْهُ شَيْءٌ»(٢)

ما يمنع من الشفاعة:

واحذروا -رحمكم الله- من الأعمال التي تكون سببًا في حرمان الإنسان من الشفاعة يوم القيامة؛ فإن الشفاعة منزلة عظيمة، يأذن الله ﷻ فيها لمن شاء من عباده، ومن ذلك ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣)

فاحذر أيها العبد المسلم، وأمسك عليك لسانك، وابتعد عن السباب والشتم، وابتعد عن اللعن؛ لتكون بذلك من المقرّبين عند الله ﷻ.

يقول ابن مسعود ﷺ «وَاللَّهِ، إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ فِي الرَّفَاهِيَةِ يُضْحِكُ بِهَا جُلَسَاءَهُ، فَتُرْدِيهِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»(٤)

---

(١) مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٦٠١٠) ومعجم الطبراني الكبير (١٣٢/٩) وروي مرفوعا من حديث ابن مسعود ﷺ رواه الطبراني (١٩٨/١٠) بسند واه، ورواه ابن حبان في صحيحه (١٧٩٣) من حديث جابر ﷺ مرفوعا، ورجح وقفه على ابن مسعود أبو حاتم كما في العلل لابنه (١٦٨١) والدارقطني في العلل (٧٤٨) وانظر السلسلة الصحيحة (٢٠١٩).

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣٠٠٤٧) والدارمي (٣٣٥٤) وهو في سنن الترمذي (٢٩١٥) مرفوعا ثم ذكره موقوفا قال بنحوه وقال الموقوف أصح ا.هـ

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩٨) من حديث أبي الدرداء ﷺ.

(٤) أخرجه حسين المروزي في زوائد الزهد لابن المبارك (٩٩٣) وهناد في الزهد (٢/ ٥٥٢) بسند صحيح وهو عند الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٢٣٧) رقم (٩١٦٠) من طريق آخر عن ابن مسعود ﷺ.

أعنِّي على نفسك بكثرة السجود:

واجتهد -رحمك الله- في الإكثار من الصلوات النوافل؛ فقد روى مسلم من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي، قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»[(١)].

احذر من الاتكال وترك العمل:

واحذر من الوقوع فيما وقع فيه المقصرون وفيما وقع فيه أولئك المفرِّطون في توحيد الله ﷻ الذين يعتقدون أن بعض الناس له الأحقية وله الصلاحية في أن يكون شافعًا له عند الله -بلا عمل-، بل إن بعض الناس يأتي الأموات والأولياء، فيطلب منهم أن يكونوا له شفعاء عند الله.

الشفاعة ملك لله:

واعلم أن الشفاعة ملكٌ لله سبحانه -كما تقدم- فلا تُطلَبُ إلا من الله. قال الله ﷻ: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ ﴾ [سبأ]. قال بعض العلماء: هذه الآية قطعت عروق شجرة الشرك من القلب لمن عقلها[(٢)].

قال ابن القيم رحمه الله: "وقد قطع الله تعالى كلّ الأسباب التي تعلّق بها المشركون جميعًا، قطعًا يعلم من تأمّله وعرفه أنّ من اتّخذ من دون الله وليًّا، أو شفيعًا، فهو ﴿ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ ﴾ [العنكبوت: ٤١]

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٩).

(٢) انظر: كلام شيخ الإسلام في التسعينية (٢/ ٥٢٦) المسائل والأجوبة (ص: ١١٧) واقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٢٢٦) والإخنائية أو الرد على الإخنائي ت العنزي (ص: ٩٩) وسيأتي كلام ابن القيم وانظر: القول السديد للسعدي (٦٧)، ومجموع فتاوى ابن عثيمين (٣١٤/٩).

فقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣ ﴾ [سبأ]

فالمشركُ إنما يتخذ معبوده لما يعتقد أنه يحصل له به من النفع، والنفعُ لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه **الأربع**:

- إما مالكٌ لما يريده عبادُه منه،
- فإن لم يكن مالكًا كان شريكًا للمالك،
- فإن لم يكن شريكًا له كان معينًا له وظهيرًا،
- فإن لم يكن معينًا ولا ظهيرًا كان شفيعًا عنده،

فنفى سبحانه المراتب الأربع نفيًا مترتبًا، متنقلًا من الأعلى إلى ما دونه"[1].

ومن تأمل هذه الآية أيقن أنّ الشفاعة ملك لله سبحانه: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ يعني هؤلاء الذين تدعونهم وتعبدونهم من دون الله ادعوهم هل يملكون شيئًا عند الله؟! إنهم ﴿ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ فالشفاعة لا يملكونها، وكذلك قال سبحانه: ﴿ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ ﴾ يعني ليسوا شركاء في ملك الله ﷻ. ثم قال: ﴿ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢ ﴾ [سبأ] فليسوا معاونين ولا وزراء ولا وجهاء عند الله سبحانه؛ ليأذن لهم وليكونوا مقرّبين عند الله. قال: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ ﴾. فالشفاعةُ لا تكون إلا بإذن الله سبحانه، -نسأل الله ﷻ أن يُشفِّعَ فينا نبيّه محمدًا ﷺ وأن يُصلِح أعمالَنا-.

---

(١) مدارج السالكين (١/٣٥١).

الشفاعة لأهل التوحيد والإخلاص:

والشفاعة عند الله ﷻ يوم القيامة لا تكون إلا لأهل التوحيد أي: الذين ماتوا على توحيد الله؛ ولهذا لما سُئِلَ النبي ﷺ: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: «**مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»(١) فبيّن هذا الحديث أنّ من مات على توحيد الله سبحانه فهو يوم القيامة من أهل الشفاعة الذين يأذن الله ﷻ فيهم بفضله ومنّه وكرمه حتى لو مات على ذنوب عظيمة أو مات على كبيرة فإنه إذا مات على التوحيد يرجى له من الخير ويرجى له عند الله ﷻ من الفضل بقدر توحيده وإيمانه بالله.

وقد جاء ذلك صريحًا في قول النبي ﷺ: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»(٢).

وقال ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ قَدْ دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ، وَخَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٣).

وقَالَ ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا**»(٤)

نسأل الله ﷻ أن يعفو عنّا، وأن يغفر لنا خطأنا وزللنا،
وأن يُثبّتنا على دينه؛ إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، عن أنس رضي الله عنه، وأخرجه الترمذي (٢٤٣٦) وابن ماجه (٤٣١٠) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٠١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه. وفي (٢٠٠) من حديث عن أنس رضي الله عنه

(٤) أخرجه مسلم (١٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه وهو في البخاري (٦٣٠٤) ومسلم (٩٨) دون الجملة الأخيرة.

الإيمان بالحساب والجزاء

المجلس الثلاثون[١]

الإيمان بالحساب

تعريف الحساب:

قال أهل اللغة: الحسْب هو العد والإحصاء[٢].

والحساب شرعا: هو: "أن يُوقِف الحقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عباده بين يديه، ويعرِّفَهم بأعمالهم التي عملوها، وأقوالهم التي قالوها، وما كانوا عليه في حياتهم الدنيا"[٣].

فمن تمام عدله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يوم القيامة أنه يُعرِّف عبادَه مقاديرَ الجزاء على أعمالهم ويذكِّرُهم بما قد نسُوه من ذلك، يقول ربنا ﷻ: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ [المجادلة: ٦].

وجوب الإيمان بالحساب:

الإيمانُ بالحساب، من جملة ما يدخل في الإيمان باليوم الآخر، ونصوصُ الكتاب والسنة الدّالةُ على ذلك كثيرةٌ جدًّا.

فربُّنا ﷻ قد امتدح نفسه في كتابه في سبعة مواضع بأنه سريع الحساب:

فقال ﷻ في أربعة مواضع من كتابه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾

[آل عمران: ١٩٩، المائدة:٤، إبراهيم: ٥١، غافر: ١٧]

وقال ﷻ في موضعين من كتابه: ﴿ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [البقرة: ٢٠٢، النور ٣٩]،

وقال ﷻ: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ [آل عمران].

---

(١) كان في يوم الاثنين السادس عشر من شهر شوال من عام ١٤٤١هـ.

(٢) ينظر: «تهذيب اللغة» (٤/ ١٩١) و«لسان العرب» (١/ ٣١١)

(٣) القيامة الكبرى لعمر الأشقر، (ص: ١٩٣)

فامتدح نفسه ﷻ بذلك؛ فهو يأتي بالعباد يوم القيامة، ويُعرِّفُهم بأعمالهم، لا يحتاج إلى معاونٍ، ولا يحتاج إلى عدٍّ، ولا يحتاج إلى أمر مما يحتاجه البشر.

وإنما قد علم ما كان منهم وما وقع من أعمالهم، فيُعرِّفُهم إيّاها ﴿ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤ ﴾ [المعارج] يحاسبُهم جميعًا، ويُوقِفُهم على أعمالهم، كما قال ﷻ: ﴿ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ ﴾ [المجادلة: ٦] فامتداحُه لنفسه سبحانه بأنه سريع الحساب دالٌّ على هذه المسألة العظيمة، وهي أنّ الحساب حقٌّ وكائنٌ يوم القيامة.

وقال ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إِلاَّ النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»(١).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُكَيْمٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ ﷺ، فِي هَذَا الْمَسْجِدِ بَدَأَ بِالْيَمِينِ قَبْلَ أَنْ يُحَدِّثَنَا فَقَالَ: «**وَاللَّهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَخْلُو بِهِ رَبُّهُ كَمَا يَخْلُو أَحَدُكُمْ بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَيَقُولُ ابْنَ آدَمَ: مَاذَا غَرَّكَ [بِيْ] يَا ابْنَ آدَمَ؟ [مَا غَرَّكَ بِيْ] مَاذَا أَجَبْتَ الْمُرْسَلِينَ يَا ابْنَ آدَمَ؟ مَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ [مَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ، مَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ]**»(٢).

الاستعاذة من سوء الحساب:

أخبرنا ربُّنا ﷻ عن أوليائه المؤمنين بأنهم يسألُونه أن يُعِيذَهم من سوء الحساب يوم القيامة. يقول ربُّنا ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝١٩ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦) من حديث عدي بن حاتم ﷺ.

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (٩٠٧) قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ هِلَالٍ الْوَزَّانِ، عَنْ ابن عُكَيمٍ به. وهذا إسناد صحيح. ومن طريق أبي عوانة رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٨٤٨) والطبراني في الكبير (٨٨٩٩/١٨٠/٩) ومنه الزيادة الأخيرة واللالكائي في شرح السنة (٨٦٠) وأبو نعيم في الحلية (١٣١/١). ورواه ابن المبارك في الزهد (٣٨) وعبد الله بن أحمد في السنة (٤٧٤، ٤٧٥، ١١٥١، ١١٥٢) وابن خزيمة في التوحيد (٣٦٣/١و٤٢٠/٢) والطبراني في المعجمين الأوسط (٤٤٩) والكبير (٨٩٠٠/١٨٢/٩) وابن بطة في الإبانة (٤٣/٧) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٤٠٠) من طرق عَنْ شَرِيكٍ، عَنْ هِلَالٍ به.

ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الرعد]. فأهل الإيمان يخافون سوءَ الحسابِ من ربهم ﷻ. قال أهل التفسير: سوءُ الحساب أن تُحصى عليهم جميعُ أعمالهم، ولا يُغفَر لهم منها شيءٌ(١).

والكفار ينالهم هذا البلاءُ، -نسأل الله العفو والعافية- كما قال ربنا ﷻ: ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الرعد].

وقد أَمَرَ اللهُ ﷻ عبادَه أن يتّقوا هذا اليومَ العظيمَ الذي هو يومُ الحساب والجزاء، يقول ربُّنا ﷻ: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة]. قال العلماء: هذه الآية من آخر ما نزل من القرآن. وقال بعضهم: هي آخر ما نزل من كتاب الله. وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما(٢).

وقال أهل التفسير في قوله سبحانه: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ [الفاتحة] هو يوم الجزاء والحساب(٣).

وقال ربنا ﷻ: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [آل عمران]

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾ كلُّ ما عَمِلْتَه ستجدُه أمامَك يوم القيامة، قال سبحانه: ﴿ وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ ﴾.

ويقول ربُّنا ﷻ: ﴿ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [النحل]

---

(١) انظر تفسير الطبري (٥٠٥/١٣)، وتفسير السمعاني (٨٨/٣)، وتفسير البغوي (٣٠٩/٤).

(٢) انظر تفسير الطبري (٦٧/٥)، وابن كثير (٧٢١/١).

(٣) انظر تفسير الطبري (١٥٨/١).

ويقول ربُّنا ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء].

فأعمالُك يحصيها اللهُ ﷻ عليك، وتجدُها كلّها، ما تذكُرُه منها وما نسِيتَه، تجدها كلّها عند الله يوم القيامة، -نسأل الله ﷻ أن يعفو عنّا، وأن يغفر لنا، وأن يتجاوز عنّا-.

ويقول ربنا ﷻ في كتابه الكريم: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الزمر]

هذه الأعمال التي يعملها الإنسان في الدنيا يحصيها الله سبحانه الله ﷻ، وقد رَصَدَ لها ملائكة، قال ﷻ: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق]

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الإنفطار]. تُحصَى هذه الأعمالُ جميعًا، وتأتي يوم القيامة، فيحاسبك الله ﷻ عليها، يقول ربنا ﷻ: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ ﴾ [النساء]

ويقول سبحانه: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر]

ويقول ﷻ: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ [المجادلة: ٦]. ويقول ﷻ: ﴿ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء].

الحساب بين العرض والمناقشة:

يحاسب الله عبادَه في القيامة ويناقشهم، فيحاسِبُ بالعرض من قضى له بالمغفرة، ويناقِشُ بالحساب من قضى عليه بالعذاب.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "ويحاسب اللهُ الخلائق، ويخلو بعبده المؤمن، فيُقرِّره بذنوبه، كما وَصَفَ ذلك في الكتاب والسنة، وأمّا الكفار: فلا يُحاسَبُون محاسبةَ من تُوزَنُ

حسناتُه وسيئاتُه؛ فإنه لا حسنات لهم، ولكن تُعَدُّ أعمالُهم وتحصى، فيُوقَفون عليها، ويُقرَّرُون بها، ويُجزَون بها"[(١)].

الحساب العسير:

الحساب يشمل كلّ شيء عَمِلَه الإنسانُ، والحسابُ منه العسير، ومنه اليسير، فمنه ما هو تكريم، ومنه ما هو توبيخ وتبكيت، ومنه ما هو فضل وصفح، ومنه ما هو غير ذلك. والمتولّي للحساب هو أكرم الأكرمين صاحب الحق والعدل ربُّنا ﷻ. يقول الله سبحانه: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الزمر].

فتأمل مشهد الحساب يوم القيامة حين يأتي اللهُ سبحانه إتيانًا يليق بجلالته وعظمته، لفصل القضاء: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ﴾ [الفجر] فيجيئ الله ﷻ لفصل القضاء وللحساب، فالله هو المحاسِب، وهو الحكم العدل، قيُّومُ السماوات والأرض، يقول ﷻ: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ [البقرة].

فنؤمن بأن الله ﷻ يأتي إتيانًا يليق بجلالته وعظمته؛ فهو حقٌّ كما أخبر عن نفسه ﷻ ولا نُؤَوِّله ولا نُحرِّفُه ولا نكذِّبُ به؛ فالله ﷻ قد نَصّ في كتابه على إتيانه ومجيئه لفصل القضاء يوم القيامة.

والحساب يوم القيامة كما قال ﷻ: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف] فكلُّ صغير وكبير سيلقاه الإنسانُ يوم القيامة، -نسأل اللهَ السّلامة والعافية-.

---

(١) العقيدة الواسطية: (ص: ٩٨).

الحسابُ عن كل شيء:

يسأل الإنسان في موقف الحساب عن كلِّ ما عَمِلَ من خير ومن شر، فإن خيرًا كان خيرًا، وإن شرًّا كان شرًّا، إلا أن يعفو اللهُ ﷻ عن عباده يوم القيامة. قال ربنا سبحانه: ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ ﴾ [إبراهيم].

كلُّ أمة جاثية للحساب:

وتأمل هذا المشهد الذي يصوِّرُه اللهُ ﷻ يوم القيامة للحساب، يقول ﷻ: ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ ﴾ [الجاثية: ٢٨]، فمِنْ شِدّة الهول تجثوا الأممُ على الرُّكب عندما يُدعَى الناسُ للحساب لعِظَمِ ما يشاهدون ولعِظَم ما هم فيه واقعون.

حساب المؤمن:

ويجعل الله ﷻ حسابَ المؤمن حسابًا يسيرًا، فقد سُئِلَ النبيُّ ﷺ عن الحساب اليسير، فقال ﷺ: «**هو: العَرْضُ**» (١) ومعناه: أن تُعرَض عليه أعمالُه، فيقال له: أتذكر ذنبَ كذا؟ أتذكر ذنبَ كذا؟ ويجعله الله تعالى في كنفه، ويقول له: «**سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ**» (٢).

حساب الكافر:

وأما الكفار والفُجّار فإن الله ﷻ يحاسبهم وتُوزَن لهم أعمالُهم ويُنادَون على رؤوس الخلائق: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [هود] ويقولُ ربُّنا سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [القصص]. ويقول ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾

---

(١) تقدم في المجلس الحادي والعشرين.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤١) واللفظ له، ومسلم (٢٧٦٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

[القصص]. ويقول سبحانه: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١ ﴾ [القارعة] وقال ﷻ في سورة المؤمنون: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ۝١٠٤ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٠٥ ﴾. فيقيم الله ﷻ عليهم الحُجّة، ويُظهِر ﷻ يوم القيامة عدلَه، «**... وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ**»[1] وقال ﷻ: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧ ﴾ [الأنبياء]

والأمر كما ذكر الله ﷻ -وذكرناه آنفًا- ﴿ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩ ﴾ [الكهف].

حسنات الكفار في الدنيا:

فإن قال قائل: فما هو حال حسنات الكفار التي كانوا يعملونها في الدنيا؟ هل يُجازَون عليها؟ نقول: أخبر النبي ﷺ أنّ هؤلاء الكفار الذين ماتوا على كفرهم إذا عملوا خيرًا في الدنيا فإنّ الله يُطعِمُهم به طعمة في الدنيا.

يقول النبي ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا**»[2].

ويقول الله ﷻ: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ۝٢٣ ﴾ [الفرقان]

السؤال والحساب في موطن وتركه في موطن آخر:

وقد استشكل بعضُ الناس قولَ الله ﷻ في حق الكفار:

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٧٤١٦) ومسلم (١٤٩٩) من حديث المغيرة. ورواه مسلم (٢٧٦٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٠٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [القصص]،

وقولَه سبحانه: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [المرسلات] وغير ذلك من الآيات التي تدل على أن الكفار لا يُسأَلون يوم القيامة. **والجواب الذي ذكره العلماء** في ذلك: أنهم يُسألون في موطن دون موطن، فهذه الآيات التي ورد فيها أنهم لا يسألون دالة على أنهم في بعض المواطن لا يؤذن لهم بالسؤال ثم يؤذن لهم بعد ذلك، فيتخاصمون فيما بينهم(١).

لا يظلم أحد يوم القيامة

وأخبرنا اللهُ ﷻ أن الحساب يوم القيامة حسابٌ عادلٌ، ليس فيه شيء من الظلم؛ فالله ﷻ منزّهٌ عن ذلك، قال ﷻ: ﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة] فلا يقع الظلم من الله ﷻ. يقول ﷻ في حكاية خبر لقمان لابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [لقمان]. ويقول ﷻ: ﴿ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [النساء]. ويقول تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة] فقد أخبرنا الله ﷻ بأنّ الحساب سيكون حسابًا عادلًا، فلا يُظلَم عند الله ﷻ أحدٌ يوم القيامة.

لا تزر وازرة وزر أخرى:

وأخبرنا الله ﷻ أنه لا يُؤخَذُ أحدٌ بذنب أحد في الحساب. كما قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٤]

---

(١) ينظر: «الانتصار للقرآن للباقلاني» (٢/ ٥٩٨) و«تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٩٨، و١٧/ ١٧٤ سورة الرحمن) وتفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ٤٩٩).

وقولُ الله سبحانه: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾. جاء في أربعة مواضع أخرى من كتاب الله: [الإسراء: ١٥، فاطر: ١٨، الزمر: ٧، النجم: ٣٨]

فلا يُظلَم أحدٌ عند الله، ولا يُؤخَذُ أحدٌ بذنب أحدٍ أبدًا إلا أن يكون متسبِّبًا في ذلك، فيكون له نصيبٌ كما قال ﷻ: ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ١٣] وقال ﷻ: ﴿ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [النحل: ٢٥] فهم ينالون إثمهم وإثم غيرهم الذين كانوا سببًا في إضلالهم.

وفي صحيح مسلم عَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ أَوِ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١ ﴾ [النساء: ١] وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨ ﴾ «**تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**» قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**»[1]

(١) صحيح مسلم (١٠١٧)

وفيه عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**»[(١)]

كتاب الإنسان وصحيفته يوم القيامة:

ويقول الله ﷻ: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الإسراء]. وهذا من عدله سبحانه أنه إذا حاسب العبادَ يوم القيامة أخرج لكلِّ كتابَه؛ ليقرأه سواء كان يقرأ في الدنيا أو لا يقرأ، فيخرج إليه الكتاب: ﴿ يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء] وهو كتابٌ شاملٌ؛ فكلُّ ما عمله يجده فيه. ﴿ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف] وقال قبل ذلك عن الكفار أنهم يقولون: ﴿ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ ﴾.

تطاير الصحف:

قال الإمام البيهقي رحمه الله: قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء]،

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الإنفطار]،

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٧-١٨]،

---

(١) صحيح مسلم (٢٦٧٤)

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الجاثية]

وَأَخْبَرَ أَنَّ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ كُتُبَهُمْ يَقُولُونَ: ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ ﴾ [الكهف: ٤٩]،

وَأَنَّ: ﴿ مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحاقة]

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحاقة] .. (وقال تعالى): ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الإنشقاق]؛ قال: وَإِذْ وَقَفَ النَّاسُ عَلَى أَعْمَالِهِمْ مِنَ الصُّحُفِ الَّتِي يُؤْتُونَها حُوسِبُوا بِهَا، وَلَعَلَّ ذَلِكَ وَاللهُ أَعْلَمُ لِأَنَّ النَّاسَ إِذَا بُعِثُوا لَا يَكُونُونَ ذَاكِرِينَ لِأَعْمَالِهِمْ فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَالَ: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ ﴾ [المجادلة: ٦]؛ فَإِذَا ذَكَرُوهَا وَوُقِفُوا عَلَيْهَا حُوسِبُوا عَلَيْهَا ا.هـ[1]

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ سَعَادَةِ مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِيَمِينِهِ، وَفَرَحِهِ بِذَلِكَ، وَأَنَّهُ مِنْ شِدَّةِ فَرَحِهِ يَقُولُ لِكُلِّ مَنْ لَقِيَهُ: ﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴾ أَيْ: خُذُوا اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي فِيهِ خَيْرٌ وَحَسَنَاتٌ مَحْضَةٌ؛ لِأَنَّهُ مِمَّنْ بَدل اللَّهُ سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ. وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الصَّحِيحِ حديثُ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا حِينَ سُئِلَ عَنِ النجوى، فقال: سمعت النبي الله ﷺ يَقُولُ: «**يُدْنِي اللهُ العبدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فيُقَرِّره بِذُنُوبِهِ كُلِّهَا،**

(١) شعب الإيمان (١/ ٤١٧)

حَتَّى إِذَا رَأَى أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ قَالَ اللَّهُ: إِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ. ثُمَّ يُعطَى كتابَ حَسَنَاتِهِ بِيَمِينِهِ، ...الحديث «[١] ا.هـ[٢]

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧ ﴾ الآيات [الحاقة]: وَهَذَا إِخْبَارٌ عَنْ حَالِ الْأَشْقِيَاءِ إِذَا أُعْطِيَ أَحَدُهُمْ كِتَابَهُ فِي العَرَصات بِشِمَالِهِ، فَحِينَئِذٍ يَنْدَمُ غَايَةَ النَّدَم، ﴿ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧ ﴾ قَالَ الضَّحَّاكُ: يَعْنِي مَوْتَةً لَا حَيَاةَ بَعْدَهَا. وَكَذَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ، وَالرَّبِيعُ، وَالسُّدِّيُّ. وَقَالَ قَتَادَةُ: تَمَنَّى الْمَوْتَ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ فِي الدُّنْيَا أَكْرَهُ إِلَيْهِ مِنْهُ. ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ۝٢٩ ﴾ أَيْ: لَمْ يَدْفَعْ عَنِّي مَالِي وَلَا جَاهِي عذابَ اللَّهِ وبأسه، بَلْ خَلَصَ الْأَمْرُ إِلَيَّ وَحْدِي، فَلَا مُعِينَ لِي وَلَا مُجِيرَ. ...إلخ[٣]. وقوله تعالى في سورة الإنشقاق : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ ﴾ أَيْ: بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، تُثْنى يَدُهُ إِلَى وَرَائِهِ وَيُعْطَى كِتَابَهُ بِهَا كَذَلِكَ.

-نسأل الله السلامة والعافية-

من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها:

ومن عدل الله ﷻ وتفضُّلِه ورحمتِه بعباده المؤمنين أنّ المؤمن يجد في كتاب حسناتِه الحسناتِ المضاعفاتِ التي وعد الله ﷻ بها. ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠] وهذا من رحمة الله ﷻ.

مضاعفة الصّدقات:

قال الله تعالى: ﴿ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [التغابن: ١٧] وكما جاء في الحديث عن النبي ﷺ في شأن الصدقة فإن المؤمن إذا «**تَصَدَّقَ**

---

(١) تقدم (ص:٢٤)

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٨/ ٢١٣).

(٣) المرجع السابق (٨/ ٢١٥).

بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ-أي: فرسه الصغير-حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»[(١)].

مضاعفة الحرف في تلاوة القرآن:

ومما يضاعف: تلاوتك لكتاب الله؛ فإنّ من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، قال ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ ﴿ الٓمٓ ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»[(٢)]

وكان ابن مسعود ﷺ يقول: «تَعَلَّمُوا هَذَا الْقُرْآنَ فَإِنَّكُمْ تُؤْجَرُونَ بِتِلَاوَتِهِ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ بِـ ﴿ الٓمٓ ﴾، وَلَكِنْ بِأَلِفٍ، وَلَامٍ، وَمِيمٍ، بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ»[(٣)]

يُبدِّل الله السيئاتِ حسناتٍ للتائبين:

ويخبرنا ربنا ﷻ أنه يتفضّل على من يشاء من عباده، فيُبدِّل سيئاتهم حسناتٍ، فيجدون ذلك في كتاب حسناتهم يوم القيامة حينما يلقَوا ربهم ﷻ. كما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي ذر ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩١٠) من طريق مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ القُرَظِيِّ قالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ ﷺ يَقُولُ فذكره وقوله في الإسناد (سمعت عبد الله بن مسعود)، قال البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢١٦): لا أدري حفظه أم لا ا.هـوجزم الحافظ في التقريب وفي الإصابة ط هجر (١٠/ ٥٢٢) أنه ولد عام أربعين. يعني بعد وفاة ابن مسعود ﷺ بسنين، فإنه توفي عام (٣٢هـ). واختلف فيه على ابن مسعود ﷺ في رفعه، فرواه أبو الأحوص عن ابن مسعود موقوفا، رواه الدارمي (٣٣٥١). واختلف فيه على أبي الأحوص أيضا، والصواب وقفه؛ رواه شعبة -كما في التفسير من سنن سعيد بن منصور (١/ ٣٥)-، والثوري -كما في سنن الدارمي (٣٣٥١)، ورسالة الرد على من يقول الم حرف لابن منده (ص: ٤٤) من طريقين عنه- وحماد بن زيد -كما في معجم الطبراني الكبير (٩ / ١٣٠ رقم ٨٦٤٨)- عن عطاء بن السائب عن أبي الأحوص به موقوفا. وللحديث أسانيد عدة رفعا ووقفا. ولا يخفى أن الموقوف له حكم الرفع فمثله مما لا يقال بالرأي. والله أعلم. والحديث حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٦٠، ٣٣٢٧).

(٣) سنن الدارمي (٣٣٥١) وانظر التعليق السابق.

صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ. لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا»[(١)].

وهذا هو العرض الذي هو الحساب اليسير الذي يكون للمؤمن يوم القيامة.

إقامة الشهود على العباد:

ومن عَدْلِ الله ﷻ في الحساب يوم القيامة أنه يُقِيمُ الشهودَ على الكفرة والمنافقين وعلى العصاة والمجرمين، نسأل الله العفو والعافية.

شهادة السمع والبصر والجلود:

قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [فصلت]. فالله سبحانه يقيم عليهم الحجة يوم القيامة.

ولما يحاسب الله ﷻ الناسَ يوم القيامة، فينكر بعضُهم عملَه الذي عمل، ينطق الله أعضاءه بالشهادة ويقطع عليه الحجة. كما في صحيح مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَضَحِكَ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» قَالَ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ»[(٢)]

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠).

(٢) رواه مسلم (٢٩٦٩) وابن حبان (٧٣٥٨) ووهم الحاكم فاستدركه (٨٧٧٨) وقال على شرط مسلم ولم يخرجاه! ا.هـ

وفيه أيضا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ:... فَيَلْقَى -أي اللهُ تعالى- الْعَبْدَ، فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ... -فذكر الحديث ثم قال في الثالث-، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذًا، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْهِ»[1]

وهكذا يقطع الله ﷻ الحجة والعذر عن الناس جميعًا وعن كل مكابر فيقيم الله ﷻ عليهم الحُجّة، ويُظهِر ﷻ يوم القيامة عدلَه. «... وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ»[2]

شهادة الأنبياء:

أولُ من يشهد على الأمم الرسلُ والأنبياءُ، فيشهد كُلُّ رسول على أمته بالبلاغ. كما قال ربنا ﷻ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء]

ويقول سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ ﴾ [النحل: ٨٩].

---

(١) رواه مسلم (٢٩٦٨)

(٢) تقدم قريبا

أمة محمد تُصدِّق الأنبياء:

وأخبرنا النبيُّ ﷺ أن أمة محمد تشهد للأنبياء يوم القيامة كما قال ربنا سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وخرّج البخاري رحمه الله في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «**يُدْعَى نُوحٌ يَومَ القِيامَةِ، فيَقولُ: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ يا رَبِّ، فيَقولُ: هلْ بَلَّغْتَ؟ فيَقولُ: نَعَمْ، فيُقالُ لِأُمَّتِهِ: هلْ بَلَّغَكُمْ؟ فيَقولونَ: ما أتانا مِن نَذِيرٍ، فيَقولُ: مَن يَشْهَدُ لَكَ؟ فيَقولُ: مُحَمَّدٌ وأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أنَّه قدْ بَلَّغَ: ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] فَذلكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]**»[(١)].

الأرض تشهد:

وقال الله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ ﴾ [الزلزلة]. أَيْ: تُحَدِّثُ بِمَا عَمِلَ الْعَامِلُونَ عَلَى ظَهْرِهَا. قال مُجَاهِد والثوري وغيرهما: «تُحَدِّثُ بِأَخْبَارِ النَّاسِ بِمَا عَمِلُوا عَلَيْهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ»[(٢)]. وقد روى الترمذي -بسند ضعيف- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ ﴾ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟**» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: « **فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا أَنْ تَقُولَ: عَمِلَ كَذَا وَكَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وقال: فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا**»[(٣)]

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٨٧).

(٢) انظر: تفسير مجاهد (ص٧٤٢) وتفسير عبد الرزاق (٣/ ٤٥٠) رقم (٣٦٧٤) و«تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر» (٢٤/ ٥٦١)، وتفسير ابن كثير - ت السلامة (٨/ ٤٦٠)

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٢٩، ٣٣٥٣) من طريق سعيد بن أبي أيوب، عن يحيى بن أبي سليمان، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب ا.هـ ويحيى بن أبي سليمان، لين الحديث -كما في التقريب، وقال البخاري منكر الحديث. ورواه رشدين بن سعد، -وهو ضعيف- عن يحيى بن أبي سليمان، عن أبي حازم، عن أنس به رواه البيهقي في شعب الإيمان» (٩/ ٤٢٠ ط الرشد). وهذا منكر. قال البيهقي: فهذا -أي رواية بن أبي أيوب- أصح من رواية رشدين بن سعد ورشدين بن سعد ضعيف.

وروى الطبراني عن ابْنِ لَهِيعَةَ، حَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ يَزِيدَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَبِيعَةَ الْجُرَشِيَّ يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**اسْتَقِيمُوا وَنِعِمَّا إِنِ اسْتَقَمْتُمْ، وحَافِظُوا عَلَى الْوُضُوءِ، فَإِنَّ خَيْرَ عَمَلِكُمُ الصَّلَاةُ، وتَحَفَّظُوا مِنَ الْأَرْضِ فَإِنَّهَا أُمُّكُمْ، وَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ عَامِلٍ عَلَيْهَا خَيْرًا أَوْ شَرًّا إِلَّا وَهِيَ مُخْبِرَةٌ**»(١)

ورُوي عَنْ يَزِيدَ بْنِ مَرْثَدٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ﷺ: «اذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ كُلِّ حُجَيْرَةٍ وَشُجَيْرَةٍ لَعَلَّهَا تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَشَهَّدُ لَكُمْ»(٢)

شهداء آخرون:

وقد روى البخاري في صحيحه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ الأَنْصَارِيِّ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ ﷺ، قَالَ لَهُ: إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الغَنَمَ وَالبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ، أَوْ بَادِيَتِكَ، فَأَذَّنْتَ بِالصَّلاَةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ، فَإِنَّهُ: «**لاَ يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ المُؤَذِّنِ، جِنٌّ وَلاَ إِنْسٌ وَلاَ شَيْءٌ، إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**»، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.(٣) وفي رواية: «**لَا يَسْمَعُهُ إِنْسٌ، وَلَا جِنٌّ، وَلَا حَجَرٌ، وَلَا شَجَرٌ، وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٤)

وفي سنن الترمذي عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُلَبِّي إِلَّا لَبَّى مَنْ عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ مِنْ حَجَرٍ، أَوْ شَجَرٍ، أَوْ مَدَرٍ، حَتَّى تَنْقَطِعَ الْأَرْضُ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا**»(٥)

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٥/ ٦٥) رقم (٤٥٩٦) وفي سنده ابن لهيعة وهو ضعيف، وقال المنذري: "وربيعة الجُرَشي مختلف في صحبته، وروى عن عائشة وسعد وغيرهما، قتل يوم (مرج راهط)".والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الترغيب (١٣٨).

(٢) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (١/ ٣٨٨) وأبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٧١٣) وسنده ضعيف، ثم هو منقطع، يزيد لم يدرك أبا الدرداء.

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٩).

(٤) أخرجه الحميدي (٧٤٩) وفي سنن ابن ماجه (٧٢٣) نحوه

(٥) أخرجه الترمذي (٨٢٨) وابن ماجه (٢٩٢١) وصححه ابن خزيمة (٢٦٣٤) والحاكم في المستدرك (١٦٥٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه ا.هـ وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١١٣٤) وشيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١٣٥٣) وقول الحاكم على =

شهادة الليالي والأيام:

ورُوي بسند لا يصح عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ، ﷺ مرفوعا: «**لَيْسَ مِنْ يَوْمٍ يَأْتِي عَلَى ابْنِ آدَمَ إِلا يُنَادَى فِيهِ: يَا ابْنَ آدَمَ أَنَا خَلْقٌ جَدِيدٌ، وَأَنَا فِيمَا تَعْمَلُ فِيهِ عَلَيْكَ شَهِيدٌ، فَاعْمَلْ فِيَّ خَيْرًا أَشْهَدُ لَكَ بِهِ غَدًا، فَإِنِّي لَوْ قَدْ مَضَيْتُ لَمْ تَرَنِي أَبَدًا، قَالَ: وَيَقُولُ اللَّيْلُ مِثْلَ ذَلِكَ**»(١) والصحيح أنه من قول بعض السلف(٢).

فقد روى ابن أبي الدنيا **عَنِ الْحَسَنِ البصري** أنه قَالَ: " لَيْسَ يَوْمٌ يَأْتِي مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا إِلَّا يَتَكَلَّمُ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي يَوْمٌ جَدِيدٌ، وَأَنَا عَلَى مَنْ يَعْمَلُ فِيَّ شَهِيدٌ، وَإِنِّي لَوْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ لَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ(٣).

وعَنْ **عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زُبَيْدٍ الْإِيَامِيِّ**، قَالَ: لَيْسَ مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وَهُوَ يُنَادِي: أَنَا يَوْمٌ جَدِيدٌ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ. ابْنَ آدَمَ إِنِّي لَمْ أَقَرَّ بِكَ أَبَدًا، فَاتَّقِ اللَّهَ، وَاعْمَلْ فِيَّ خَيْرًا، فَإِذَا هُوَ أَمْسَى قَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا أَبَدًا(٤).

وقال ابْنُ أَبِي خَالِدٍ: سَمِعْتُ أَبَا عِيسَى يَحْيَى بْنَ رَافِعٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ يَقُولُ: ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [ق] قَالَ: «**سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى أَمْرِ اللَّهِ، وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِمَا عَمِلَتْ**»(٥)

شرطهما فيه نظر: فإن الحديث من طريق عبيدة بن حميد -ولم يرو له مسلم-، قال: حدثني عمارة بن غزية – وهو من رجال مسلم وأما البخاري فقال الحافظ (١/ ٢١٥) اسْتشْهد بِهِ فِي كتاب الزَّكَاة-، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد.

(١) أخرجه ابن سمعون الواعظ في أماليه (٢٢٦) وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٣٠٣) والقزويني في التدوين في أخبار قزوين (٢/ ٩٣) وهو موضوع، كما في السلسلة الضعيفة (٥٦٤٩، ٦٩٧٦)

(٢) انظر: «تبييض الصحيفة بأصول الأحاديث الضعيفة» (١/ ١٠٦) للشيخ محمد عمرو عبد اللطيف.

(٣) الزهد (٤٢٤)، وكلام الليالي والأيام كلاهما لابن أبي الدنيا (٢٢)

(٤) الزهد (٤٠٨)، وكلام الليالي والأيام كلاهما لابن أبي الدنيا (٦)

(٥) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق (٢/ ١٠٦) -ومن طريقه الدولابي في الكنى والأسماء (١٤١٠)-، وعبد الرزاق في تفسيره (٢٩٥٥) عن معتمر بن سليمان التيمي، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٢١١) رقم (٣٥٤٢١) عن وكيع ويزيد بن هارون، وأبو داود في الزهد (١٠١) عن خالد الواسطي والطبري في تفسيره ط هجر =

أربعٌ يُسأَل عنها المرءُ يومَ القيامة:

كلُّ عملٍ عَمِلَهُ الإنسانُ يُسأل عنه يوم القيامة، كما في حديثِ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ**»(١). فالذي يتأمل هذا الخبر عن النبي ﷺ يجد في نفسه حاجة لأن يقف وقفة عظيمة؛ لينظر إلى أعماله التي عملها والتي سيُسأَل عنها يوم القيامة.

سؤال العبد عن النعيم والماء البارد:

ويسأل العباد أيضًا عن النعيم الذي يتنعمون به. قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم: ٣٤، النحل: ١٨]. ويقول النبي ﷺ كما في جامع الترمذي وغيره:

(٢١/ ٤٢٩) عن مهران وحكام الرازيين، كلهم عن ابن أبي خالد به. ويحيى بن رافع مجهول، ذكره ابن حبان في ثقاته ولم يوثقه معتبر، وليس له راو إلا ابن أبي خالد. ورواه البيهقي في البعث والنشور (٢٨٦) من طريق شَيْبَان، حدثني إسماعيلُ بنُ أَبِي خَالِد، عن حَكِيم بْنِ جَابِرٍ قال: قال عُثْمانُ ...فذكره. وحكيم وثقه ابن سعد وابن معين والنسائي والعجلي.

(١) سنن الترمذي (٢٤١٧) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. قلت: وفي سنده سعيدُ بن عبد الله بن جُرَيْج راويه عن أبي برزة، قال أبو حاتم مجهول، وقال الذهبي في تاريخه: مجهول العدالة لم يضعف. واختار الحافظ أنه: صدوق. كما في التقريب. وهو الأقرب فقد روى عنه جماعة وصحح له الترمذي وذكره ابن حبان في الثقات. فالحديث حسن من هذا الوجه.. وله شاهد صالح موقوف، عن معاذ بن جبل ﷺ رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ١١١/٦٠) مرفوعا وسنده ضعيف، وصحح الدارقطني وقفه كما في العلل (٤٧/٦) والموقوف رواه الدارمي (٥٥٦) وغيره من طريق ليث ابن أبي سليم عَنْ عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصُّنَابِحِيِّ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَا وَضَعَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ**» وروي من حديث عبد الله بن مسعود، رواه الترمذي (٢٤١٦) وقال:«هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ ...وقال: وَحُسَيْنُ بْنُ قَيْسٍ يُضَعَّفُ فِي الحَدِيثِ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ ا.هـ قلت: حسين متروك كما في التقريب. وفي الباب أيضا عن عبد الله بن عباس -رواه الطبراني في الكبير (١١/ ١١١٧٧/١٠٢)، وأبي الدرداء، رواه الطبراني في الأوسط (٤٧١٠)، وعن أبي سعيد رواه ابن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٨٤٧) وعن جابر -رواه الدارقطني ومن طريقه الخطيب في «المتفق والمفترق» (١٣٤٠)، وعن أبي ذر -رواه ابن عساكر (٤٢/ ٢٥٩)-وأسانيدها لا تصلح للاستشهاد. وانظر: السلسلة الصحيحة (٩٤٦).

«إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ-يَعْنِي العَبْدَ مِنَ النَّعِيمِ-أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ، وَنُرْوِيَكَ مِنَ المَاءِ البَارِدِ»(١).

فهذا الماء الذي تشربه رقراقًا جميلًا باردًا يأتيك صافيًا نقيًّا تُسأَل عنه يوم القيامة، وتسأل عن هذه النعم التي أنعم الله ﷻ بها عليك.

جاء رجلٌ إلى عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ فقال له: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبد الله بن عمرو: ألك امرأةٌ تأوي إليها؟ قال: نعم. قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم. قال: فأنت من الأغنياء. قال: فإنّ لي خادمًا. قال: فأنت من الملوك(٢).

ويقول النبي ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»(٣).

ويقول ﷺ: «لَا بَأْسَ بِالْغِنَى لِمَنْ اتَّقَى اللهَ، وَالصِّحَّةُ لِمَنْ اتَّقَى اللهَ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى، وَطِيبُ النَّفْسِ مِنَ النِّعَمِ»(٤). فهذا من النعيم الذي يُسأَلُ عنه يوم القيامة.

يسأل عن العهود والمواثيق:

ويسأل الله ﷻ عبادَه عن العهود والمواثيق التي كانت عليهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾﴾ [الأحزاب].

يسأل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده:

ويحاسبون على سمعهم وأبصارهم وأفئدتهم، كما قال ﷻ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٥٨) من حديث أبي هريرة ﷺ. وقال هذا حديث غريب. وصححه ابن حبان (٧٣٦٤) والحاكم (٧٢٠٣) ووافقه الألباني في الصحيحة (٥٣٩)

(٢) رواه مسلم (٢٩٧٩).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤١٢) من حديث ابن عباس ﷺ.

(٤) أخرجه أحمد (٢٣١٥٨)، وابن ماجه (٢١٤١) والبخاري في الأدب المفرد (٣٠١)، من حديث عم عبد الله بن خبيب الجهني، واسمه عبيد بن معاذ ﷺ -كما في التقريب وأصله تبعا لابن منده في المعرفة-. والحديث صححه الحاكم (٢١٣١) ووافقه الألباني في الصحيحة (١٧٤) وقال الحاكم: الصَّحَابِيُّ الَّذِي لَمْ يُسَمِّهِ هُوَ يَسَارُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْجُهَنِيُّ ا.هـ فالله أعلم ولم أجد في الإصابة لابن حجر "يسارا" هذا.

يقول قتادة في تفسير هذه الآية: "لا تقل رأيتُ ولم تر، وسمعتُ ولم تسمع، فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى سائلك عن ذلك كلِّه"(١).

ويقول الحافظ ابن كثير: "ومضمونُ ما ذكروه: أنّ الله تعالى نهى عن القول بلا علم، بل بالظن الذي هو التوهُّم والخيال"(٢)

أول ما يحاسب عليه المرء من عمله صلاته:

أخبرنا النبيُّ ﷺ -كما في سنن النسائي- عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ صَلَاتُهُ، فَإِنْ كَانَ أَكْمَلَهَا وَإِلَّا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ، فَإِنْ وُجِدَ لَهُ تَطَوُّعٌ. قَالَ: أَكْمِلُوا بِهِ الْفَرِيضَةَ**»(٣)

ورواه الإمام أحمد عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « **أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ صَلَاتُهُ، فَإِنْ كَانَ أَتَمَّهَا كُتِبَتْ لَهُ تَامَّةً، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَتَمَّهَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَتُكْمِلُوا بِهَا فَرِيضَتَهُ؟ ثُمَّ الزَّكَاةُ كَذَلِكَ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ**»(٤)

وروى دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى، عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: « **أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ، فَإِنْ أَتَمَّهَا وَإِلَّا قِيلَ: انْظُرُوا هَلْ لَهُ مِنْ تَطَوُّعٍ،**

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (١٤/٥٩٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/٧٥).

(٣) أخرجه النسائي (٤٦٧) عن النضر بن شميل، والبزار (٩٥٦٦) عن عبد الملك الجدي كلاهما قالا: حدثنا حماد بن سلمة، عن الأزرق بن قيس، عن يحيى به. ورجاله ثقات. واختلف فيه على حماد خلافا لا يضر، -كما سيأتي في الذي بعده-. وقد رواه أبو داود (٨٦٤) من طريق يُونُس بن عبيد، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ حَكِيمٍ الضَّبِّيِّ، عن أبي هُرَيْرَةَ، قَالَ يُونُسُ: وَأَحْسَبُهُ ذَكَرَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ- قَالَ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الصَّلَاةُ**»، ...» الحديث، وأنس الضبي مجهول. واختلف في سنده كثيرا ورجح الدارقطني في العلل (٨/٢٤٨) هذا الطريق عن الحسن.

(٤) أخرجه أحمد (١٦٦١٤، ١٦٩٤٩) قال: حدثنا الحسن بن موسى ورواه ابن أبي شيبة (٣٦٠٠٨) قال حدثنا عفان، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٨٦) عن أبي الوليد، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٥٥٢) عن عبيد الله بن محمد التيمي كلهم (عفان، والحسن بن موسى، وأبو الوليد، والتيمي) عن حماد عن الأزرق بن قيس، عن يحيى به. وجهالة الصحابي لا تضر، وقد سمي في رواية النسائي. تنبيه: وعن عفان رواه أحمد أيضا (٢٠٦٩٢) لكنه وقفه. ورفعه هو صحيح. وصححه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٥٥٧).

فَأُكْمِلَتِ الْفَرِيضَةُ مِنْ تَطَوُّعِهِ، فَإِنْ لَمْ تَكْمُلِ الْفَرِيضَةُ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ تَطَوُّعٌ أُخِذَ بِطَرَفَيْهِ فَقُذِفَ بِهِ فِي النَّارِ» وهذا موقوف -على الصحيح- وله حكم الرفع.(١)

وهكذا الزكاة والحج والصيام يسأل عنها العبد، فيسأل عن الفرائض، ويسأل عن أعماله الصالحة التي عملها وعن توحيده وعن إخلاصه.

الدعاء بـ(اللهم حاسبني حسابا يسيرا)

-نسأل الله ﷻ أن يجعل حسابنا حسابًا يسيرًا-. وأن يجعلنا ممن قال فيهم ﷻ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ ﴾ [الإنشقاق]. وقد رُوِيَ في المسندِ وغيرِه عن النبي ﷺ أنه كان يدعو فيقول: «**اللهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا**»(٢).

وتقول عائشةُ رضي الله عنها: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «**لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ**»، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ ﴾، قَالَتْ: فَقَالَ: «**إِنَّمَا ذَلِكِ العَرْضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَهْلِك**»(٣).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ١٧١/٧٧٧١، و٦/ ١٧٠/٣٠٤٢٤) قال حدثنا هشيم، وفي (٦/ ١٧٠/٣٠٤٢٢، و(٧/ ٢٦٢/٣٥٩٠٤) قال: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ " -ومن طريق يزيد رواه البيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٥٤١)-؛ ورواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١٩١، ١٩٢) عن خالد الواسطي، وعن بشر بن المفضل. كلهم عن داود به موقوفا. وتابعهم الثوري، وحفص بن غياث. قاله البيهقي. وخالفهم حماد بن سلمة فرواه عَنْ دَاوُدَ به مرفوعا. رواه أبو داود (٨٦٦) وابن ماجه (١٤٢٦) والدارمي (١٣٩٥) وغيرهم. قَالَ الدارمي: " لَا أَعْلَمُ أَحَدًا رَفَعَهُ غَيْرَ حَمَّادٍ. ا.هـ وقال البيهقي: رَفَعَهُ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ وَوَقَفَهُ غَيْرُهُ ا.هـ

(٢) أخرجه أحمد (٤٢٤١٥) من حديث عائشة رضي الله عنها. وهو في صحيح ابن خزيمة (٨٤٩)، وصحيح ابن حبان (٧٣٧٢) ومستدرك الحاكم (١٩٠، ٩٣٦، ٧٦٣٦) وصححه على شرط مسلم، وفيه نظر، فإنه من طريق محمد بن إسحاق بن يسار، وهو ممن روى له مسلم متابعة. والحديث جود إسناده العلامة الألباني في أصل صفة الصلاة (٣/١٠٠٨). وأعله محققوا المسند بتفرد محمد بن إسحاق بهذه الجملة، فالحديث توبع فيه محمد بن إسحاق دون هذه الزيادة فقد رواه الإمام أحمد (٤٢/ ٣٣٣) من طريق عبد الواحد بن زياد، قال: حدثنا عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير -وهو شيخ ابن إسحاق- بسنده عن عائشة، دون ذكر زيادة ابن إسحاق. وعبد الواحد أوثق من ابن إسحاق.

(٣) تقدم في المجلس الحادي والعشرين.

التعوُّذ من ضيق المقام

كان النبي ﷺ في استفتاح الصلاة في قيام الليل يُكَبِّرُ عَشْرًا، وَيَحْمَدُ عَشْرًا، وَيُسَبِّحُ عَشْرًا، وَيُهَلِّلُ عَشْرًا، وَيَسْتَغْفِرُ عَشْرًا، وَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي وَعَافِنِي، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ضِيقِ الْمَقَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١)،

وفي رواية: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الضِّيقِ يَوْمَ الْحِسَابِ**»(٢).

أَيْ: منْ شَدَائِدَ أَحْوَالِه وَسَكَرَاتِ أَهْوَالِه ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾ [المطففين: ٦]. قال ابن كثير: أَيْ: يَقُومُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرلا فِي مَوْقِفٍ صَعْبٍ حَرج ضَيِّقٍ ضنَك عَلَى الْمُجْرِمِ، وَيَغْشَاهُمْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ-مَا تَعْجزُ الْقُوَى وَالْحَوَاسُّ عَنْهُ ا.هـ(٣)

المراؤون أول من تسعر به النار

وتأملوا ما جاء في شأن أولئك الذين يحاسبهم الله ﷻ على أعمالهم التي عملوها لغير الله، قرؤوا القرآن لغير الله، تصدقوا لغير الله، جاهدوا لغير الله، فيناقَشُون الحساب يوم القيامة، فقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه: «**يُؤْتَى بِصَاحِبِ المَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ. وَتَقُولُ لَهُ المَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ. وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ**»(٤)، فهذا ممن يناقش الحساب يوم القيامة، ولا يغفر الله ﷻ له، ويأمر الله ﷻ به، فيُسحَب إلى نار جهنم، -نسأل الله السلامة والعافية-.

---

(١) أخرجه أبو داود (٧٦٦) والنسائي (١٦١٧) واللفظ له، وابن ماجه (١٣٥٦) من حديث عائشة رضي الله عنها. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧٤٢) وفي الصحيحة تحت الحديث (٣٣٣٨)

(٢) أخرجه أحمد (٢٥١٠٢)، والنسائي في الكبرى (١٠٦٤٠)، والطبراني في الأوسط (٢١٠/٨) برقم (٨٤٢٧) من حديث عائشة رضي الله عنها. وصححه الألباني في أصل صفة الصلاة (١/ ٢٦٧)

(٣) تفسير ابن كثير ت سلامة (٨/ ٣٤٧)

(٤) أخرجه مسلم (١٩٠٥)، والترمذي (٢٣٨٢) واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بعض ما قيل من الشعر في الحساب:

وأَنْشَدُوا في هذا الموقف العظيم موقِف الحساب ما نُقِلَ عن بعضهم أنه قال:

مَثِّل وقوفَكَ يومَ العَــرْض عُرْيــانَا ... مستــوحِشًا قَلِــقَ الأحشاءِ حيرانَا

والنارُ تلهــــبُ من غيظٍ ومن حَنَقٍ ... على العُصــاةِ وربُّ العرشِ غضــبانَا

اقرأْ كتابَك يا عبدي على مَهَــــلٍ ... فهـل ترى فيـه حرفًـا غيرَ مـا كانَـا

لمــا قرأْتَ ولــم تُنْكِــــر قــراءتَه ... إقرارَ من عرف الأشـياء عِرفــــانَا

نــــادى الجليلُ: خذوه يا ملائكتي ... وامضُوا بعبدٍ عصـــى للنارِ عطشانَا

المشــــركون غدًا في النـــار يلتهبوا ... والمؤمنون بدارِ الخُلْدِ سُــكّــــانَا[1]

فيا إخواني في الله مَنْ عَلِمَ وآمَنَ حقًّا بأنه سيقف غدًا بين يدي الله ﷻ وأنّ الحساب حقٌّ؛ فإن ذلك يزجره عن الوقوع فيما حرّم الله ﷻ، ويزجره عن ظلم الناس، ويزجره عن ظلم نفسه، ويجعله يجتهد في الإصلاح، ويجتهد في أن يكون عبدًا صادقًا في دنياه، يعبد الله ﷻ على بصيرة، ويريد وجه الله سبحانه، فعليكم بإخلاص العمل لله ﷻ والجد والاجتهاد في إصلاح الأعمال؛ فإن العمل الصالح هو الذي يؤنسك في قبرك، وهو الذي ينفعك يوم القيامة، فيكون لك شفيعًا عند الله سبحانه.

أسأل الله ﷻ أن يجعل حسابنا حسابًا يسيرًا،

ونعوذ به من سوء الحساب يوم القيامة،

والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) الأبيات أوردها القرطبي في التذكرة (ص: ٦٢٠) ولم ينسبها لقائل

الإيمان
باقتصاص المظالم
يوم القيامة

المجلس الحادي والثلاثون[١]

اقتصاص المظالم:

ومما يدخل في باب الإيمان باليوم الآخر ما أخبرنا الله ﷻ عنه مما يكون يوم القيامة من اقتصاص المظالم بين الخلق يوم القيامة، فيقتص بعضهم من بعض.

يوم القيامة يوم الفصل:

فالله ﷻ الحكم العدل سمّى يوم القيامة بيوم الفصل، قال ﷻ: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ۝١٧﴾ [النبأ: ١٧]

هذا اليوم يُفصَل فيه بين الناس، ويقتص فيه للمظلوم من الظالم، وتحيط بالظالم المظالم، وتصعد القلوب إلى الغلاصم، وليس لمن لا يرحمه الإله عاصم. وتعاد الحقوق إلى أهلها، فيَقتَصُّ الحكمُ العدلُ للمظلوم من ظالمه حتى لا يبقى لأحد عند أحد مظلمة

حتى الحيوان يُقتَصُّ لبعضهم من بعض كما في حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**»[٢] إنه موقفٌ عظيمٌ، وهذا -واللهِ- ليستدعي من المؤمن أن يقف وقفة عظيمة مع نفسه ويحاسب النفس؛ ليتخلّص من كل المظالم.

حديث أتدرون من المفلس؟

وحينما نتحدث عن هذا الأمر العظيم يتراءى لنا الحديث المشهور المعروف عند العلماء بحديث المفلس وهو ما أخرجه الإمام مسلم والترمذي وغيرهما من حديث أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر ﷺ أنّ النبي ﷺ قال لأصحابه يومًا: «**أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ**»؟ قَالُوا: المُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

---

(١) كان في يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر شوال من عام ١٤٤١هـ.

(٢) تقدم في المجلس السادس والعشرين.

«**المُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»[(١)].

تأملوا سؤال النبي ﷺ للصحابة، -فلم يسألهم إلا ليعلمهم ويخبرهم، وفيه تعليم للأمة كلها-«**أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ**»؟ فأجابوا بهذا الجواب الذي هو معروف، وفيه بيانٌ للمفلس في حقيقة حال الناس في الدنيا، وهو من لا درهم عنده ولا متاع. ثم بين النبي ﷺ: «**أَنَّ الْمُفْلِسَ**» على الحقيقة من يأتي وقد صلّى وقَبِلَ الله صلاتَه وزَكَّى وقَبِلَ اللهُ زكاته وصام وقَبِلَ اللهُ صيامه وعنده حج وذكر وطاعة، لكن: «**وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا**» -فمع أنه مُصَلٍّ وصائم وقائم ومن أهل التوحيد، لكنه جاء بهذه المظالم التي مات ولم يتحلّلْ منها ولم يتب إلى الله ﷻ منها فماذا يُصنَع به؟ قال ﷺ: «**فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**».

نسأل الله السلامة والعافية. وهذه-واللهِ-من أعظم الحسرات.

من الذي يَأخُذُ حسناته؟ ربما مَن كان يبغضه في الدنيا، أو مَن كان لا يأبه به واستضعفه، فلم يكن له وزنٌ عنده في الدنيا، فيأتي يوم القيامة، فيأخذ حقّه من صاحبه، ولو كان أفقرَ الناس في الدنيا، ولو كان وضيعًا في نسبه أو حسبه أو غير ذلك في الدنيا، لكنه يأتي يوم القيامة، فيقول: يا رب خذ لي حقي من فلان، ولو كان فلانٌ هذا ملكًا أو رئيسًا أو وجيهًا أو مديرًا أو ذا مال أو جاهٍ في دنياه؛ فإنّ كل ذلك يسقط يوم القيامة، ويقف الناس أجمعون بين يدي الله ﷻ سواسية لا فرق إلا بالتقوى فينتصف للمظلوم من ظالمه.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨١) والترمذي (٢٤١٨) واللفظ له.

التحلُّل من أصحاب المظالم في الدنيا:

وقد نصح نبيُّنا ﷺ لهذه الأمة، وبين لنا المخرج من هذه المظالم. كما في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ**»(١).

لا يتقاضى الناس بالدراهم والدنانير يوم القيامة، ولو كان تقاضيهم بهذه الأموال لكان الأمر هيِّنًا، ولكنها الحسنات والسيئات، فهذه الحسنات التي عملتها في الدنيا وتعبت عليها وقبلها الله ﷻ منك وسررت بها يأخذها أناس يوم القيامة مقابل مظلمتهم، فكيف ستكون الحسرة عند الإنسان يوم القيامة؟!

وجاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دِينَارٌ أَوْ دِرْهَمٌ قُضِيَ مِنْ حَسَنَاتِهِ، لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ**» يعني يوم القيامة. وفي رواية: «**...وَمَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، فَلَيْسَ بِالدِّينَارِ وَلَا بِالدِّرْهَمِ، وَلَكِنَّهَا الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ...**»(٢)

إنها المظالم التي تُقتَصُّ من أصحابها في ذلك اليوم!! نسأل الله العفو والعافية.

وروي عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَجُلًا قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي مَمْلُوكِينَ يكذبونني وَيَخُونُونَنِي وَيَعْصُونَنِي، وَأَشْتُمُهُمْ وَأَضْرِبُهُمْ فَكَيْفَ أَنَا مِنْهُمْ؟ فقال النبي ﷺ: «**يُحْسَبُ مَا خَانُوكَ وَعَصَوْكَ وَكَذَّبُوكَ وَعِقَابُكَ إِيَّاهُمْ، فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ كَانَ كَفَافًا، لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذُنُوبِهِمْ كَانَ فَضْلًا لَكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمْ اقْتُصَّ لَهُمْ مِنْكَ الْفَضْلُ**» فَتَنَحَّى الرَّجُلُ فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَهْتِفُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ** ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٩)

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٤١٤) وهو في صحيح الترغيب والترهيب (١٨٠٣) والرواية الثانية رواها أحمد (٥٣٨٥) والحاكم (٢٢٢٢) ووقع عنده (بن عمرو) وهو خطأ. ورجح الأئمة الوقف في الحديث. انظر: علل الدارقطني (٢٩٩٢) المسند المصنف المعلل (١٥/ ٤٢٩)

بِنَا حَسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء]» فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَهُمْ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ، أُشْهِدُكَ أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ كُلُّهُمْ [١].

وتقدم حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: -فذكر الحديث وفيه- «**... وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ**» قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ ﷻ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا؟ قَالَ: «**بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ**»[٢]

الظلم ظلمات يوم القيامة:

وجاء أيضًا عن النبي ﷺ كما في الصحيح من حديث عبد الله بن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[٣].

والظلم ليس مقتصرا على أخذ مال الغير بغير حق فحسب بل يشمل هذا وغيره من حقوق الآدميين. ومنه مبارزة الله ﷻ بالمعاصي فإنه من ظلم المرء لنفسه. وقد بيّن لنا النبيُّ ﷺ خطره فقال: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» رواه مسلم من حديث جابر ﷺ[٤].

المقتول ظلمًا يطلب حقّه يوم القيامة:

بيّنَ لنا النبي ﷺ عِظَمَ شأن الدماء والقتل بغير حق. كما في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يَجِيءُ الرَّجُلُ آخِذًا بِيَدِ الرَّجُلِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، هَذَا قَتَلَنِي، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيَقُولُ: قَتَلْتُهُ لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لَكَ، فَيَقُولُ: فَإِنَّهَا لِي. وَيَجِيءُ الرَّجُلُ**

---

(١) أخرجه الترمذي (٣١٦٥) وأحمد (٢٦٤٠١) وغيرهما. والحديث تفرد به قراد أبو نوح وهو عبد الرحمن بن غزوان، وعده العلماء من أوهامه. انظر: المسند المصنف المعلل (٣٨/ ٣٤٠) وتحقيق المسند (٤٣/ ٤٠٧).

(٢) تقدم (ص: ١٤٢).

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٤٧)، ومسلم (٢٥٧٩).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

آخِذًا بِيَدِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: إِنَّ هَذَا قَتَلَنِي، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيَقُولُ: لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لِفُلَانٍ، فَيَقُولُ: إِنَّهَا لَيْسَتْ لِفُلَانٍ فَيَبُوءُ بِإِثْمِهِ»[١].

وهذا المقتول يأتي يوم القيامة ورأسُه بين يديه ينادي ربّه ﷻ: «يَا رَبِّ، سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟». كما في جامع الترمذي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «يَجِيءُ الْمَقْتُولُ بِالْقَاتِلِ يَوْمَ القِيَامَةِ نَاصِيَتُهُ وَرَأْسُهُ بِيَدِهِ وَأَوْدَاجُهُ تَشْخَبُ دَمًا، يَقُولُ: يَا رَبِّ، قَتَلَنِي هَذَا، [وفي رواية: يَا رَبِّ، سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟] حَتَّى يُدْنِيَهُ مِنَ العَرْشِ». قَالَ: فَذَكَرُوا لِابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، التَّوْبَةَ، فَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ [النساء: ٩٣]»[٢].

وهذا من باب تعظيم حرمة قتل المسلمين وإراقة الدماء بغير حق. وإلا فالصحيح أن من تاب، تاب الله عليه.

وفي سنن النسائي من حديث جندب رضي الله عنه قال: حدثني فلان أن رسول الله ﷺ قال: «يَجِيءُ الْمَقْتُولُ بِقَاتِلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: [يَا رَبِّ] سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟ فَيَقُولُ: قَتَلْتُهُ عَلَى مُلْكِ فُلَانٍ». قَالَ جُنْدُبٌ: فَاتَّقِهَا[٣]. وهذا يدُلُّ على عِظَمِ أمر الدم.

أول ما يقضي بين الناس يوم القيامة في الدماء:

وجاء عن النبي ﷺ في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ»[٤].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وفي الحديث عِظَمُ أَمْرِ الدم؛ فإنّ البَدَاءة إنما تكون بالأهم، والذنبُ يَعظُم بحسب عِظَمِ المفسدةِ وتفويتِ المصلحة، وإعدامُ البنية الإنسانية غايةٌ في ذلك، وقد ورد في التغليظ في أمر القتل آيات كثيرة وآثار شهيرة"[٥].

---

(١) أخرجه النسائي (٣٩٩٧) وهو في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١٩١٠)

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٢٩) وأحمد (٣٤٤٥). وهو في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١٩١١)

(٣) أخرجه النسائي (٣٩٩٨) وأحمد (١٦٦٠٠).وهو في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١٩٠٩)

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٣٣)، ومسلم (١٦٧٨).

(٥) فتح الباري (١١/٣٩٧).

تعظيم أمر الدماء:

قلت: ولهذا لم يأتِ في النصوص الشرعية في الكبائر مثلما جاء في أمر القتل بغير حق، وقد قال النبي ﷺ: «**لَنْ يَزَالَ المُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا**» رواه البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما[١].

قال الحافظ في الفتح: قَوْلُهُ «**فِي فُسْحَةٍ**» ... أَيْ سَعَةٍ قَوْلُهُ «**مِنْ دِينِهِ**» كَذَا لِلْأَكْثَرِ ... وَفِي رِوَايَةِ الْكُشْمِيهَنِيِّ «**مِنْ ذَنْبِهِ**» فَمَفْهُومُ الْأَوَّلِ أَنْ يَضِيقَ عَلَيْهِ دِينُهُ فَفِيهِ إِشْعَارٌ بِالْوَعِيدِ عَلَى قَتْلِ الْمُؤْمِنِ مُتَعَمِّدًا بِمَا يُتَوَعَّدُ بِهِ الْكَافِرُ وَمَفْهُومُ الثَّانِي أَنَّهُ يَصِيرُ فِي ضِيقٍ بِسَبَبِ ذَنْبِهِ فَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى اسْتِبْعَادِ الْعَفْوِ عَنْهُ لاستمراره فِي الضّيق الْمَذْكُور وَقَالَ ابن الْعَرَبِيِّ الْفُسْحَةُ فِي الدِّينِ سَعَةُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ حَتَّى إِذَا جَاءَ الْقَتْلُ ضَاقَتْ لِأَنَّهَا لَا تَفِي بِوِزْرِهِ وَالْفُسْحَةُ فِي الذَّنْبِ قَبُولُهُ الْغُفْرَانَ بِالتَّوْبَةِ حَتَّى إِذَا جَاءَ الْقَتْلُ ارْتَفَعَ الْقَبُولُ وَحَاصِله أَنه فسره على رَأْي ابن عُمَرَ فِي عَدَمِ قَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ ا.هـ[٢]

ومما يدل على عظمة هذا الذنب: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ **خَطَبَ النَّاسَ – يَوْمَ عَرَفَةَ –:** فَقَالَ: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، ...**» ثم قال: «**وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟**» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ «**اللهُمَّ، اشْهَدْ، اللهُمَّ، اشْهَدْ**» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.[٣]

ثم خطب الناس يوم النحر فأعاد عليهم مقالته هذه في حرمة الدماء: كما في حديث أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه أنه ذَكَرَ النَّبِيَّ ﷺ قَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخِطَامِهِ - أَوْ بِزِمَامِهِ - قَالَ: «**أَيُّ يَوْمٍ هَذَا**»، فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ، قَالَ: «**أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ**» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «**فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا**» فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: «**أَلَيْسَ بِذِي الحِجَّةِ**» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ،**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٦٢)

(٢) فتح الباري (١٢/ ١٨٨)

(٣) رواه مسلم (١٢١٨) عن جابر رضي الله عنه وفي الباب عن العداء بن خالد رواه أحمد (٢٠٣٣٦) وانظر الحديث الآتي.

كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ»[١].

ثم خطب الناس في أوسط أيام التشريق فأعاد عليهم مقالته هذه في حرمة الدماء:

فَعَنْ أَبِي نَضْرَةَ قال: حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ:...«أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»، قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟» ، قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» ، قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ ...» ـ قَالَ:- وَلَا أَدْرِي قَالَ: أَوْ أَعْرَاضَكُمْ، أَمْ لَا -ـ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبَلَّغْتُ»، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»[٢]

قال ابن حبان: فهذا بيانه ﷺ للناس مؤكدًا مبينًا قَبْلَ أن يقبضه الله ﷻ إِلَى جَنَّتِهِ بِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ وَيَوْمَيْنِ. [٣]

الجمع بينه وبين حديث «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاتُه»:

وقوله في الحديث السابق: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ»، لا يتعارض مع قوله ﷺ في الحديث الآخر: « أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ صَلَاتُهُ »[٤].

---

(١) رواه البخاري في مواضع أولها (٦٧) ومسلم (١٦٧٩). وهو حديث متواتر رواه جماعة من الصحابة منهم: عبد الله بن عباس ﷺ رواه البخاري (١٧٣٩)، وعبد الله بن عمر ﷺ رواه البخاري (١٧٤٢) ومسلم مختصرا (٦٦) وعمرو بن الأحوص ﷺ رواه الترمذي (٢١٥٩) وابن ماجه (٣٠٥٥) وأبي سعيد الخدري ﷺ رواه ابن ماجه (٣٩٣١) والحارث بن عمرو السهمي ﷺ رواه أحمد (١٥٩٧٢) وأبي الغادية الجهني ﷺ رواه أحمد (١٦٦٩٩) ونُبَيْطُ بْنُ شَرِيطٍ ﷺ رواه أحمد (١٨٧٢٢) وحذيم بن عمرو السعدي ﷺ رواه أحمد (١٨٩٦٦). وعم أبي حرة الرقاشي ﷺ رواه أحمد (٢٠٦٩٥) ورجل من أصحاب النبي ﷺ -غير مسمى-، رواه أحمد (٢٣٤٩٧) وعمار بن ياسر ﷺ رواه أبو يعلى (١٦٢٢) ووابصة بن معبد ﷺ رواه أبو يعلى (١٥٨٩) وعبد الله بن الزبير ﷺ رواه أبو يعلى كما في المطالب العالية (١١٣٣) والسرى بنت نبهان ﷺ رواه أبو يعلى كما في المطالب العالية (١٢٧٥) وأنس بن مالك ﷺ رواه الضياء المقدسي في المختارة (٢٦٨٤).

(٢) رواه أحمد (٢٣٤٨٩)

(٣) «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (١٣/ ٣١٢)

(٤) تقدم (ص: ٢٣٥)

وقد جاء في روايةٍ -ضعيفة- عن ابن مسعود ﷺ الجمعُ بينهما ولفظه: «**أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلَاةُ وَأَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ**»(١)

قال العلماء: "المعاصِي التي يعاقبُ عليها العبدُ يومَ القيامةِ نوعانِ: حقُّ اللَّهِ، وحقُّ العبادِ، وأولُ ما يُقضَى فيه يومَ القيامةِ من حقوقِ اللَّهِ الصلاةُ، ومن حقوقِ العبادِ الدماءُ"(٢)

وقال أبو العباس القرطبي رحمه الله: وإنما أراد - والله أعلم-: أن كل واحد من تلك الأوليات أوَّلٌ بالنسبة إلى التي في بابه، فأول ما يحاسبُ به من أركان الإسلام الصلاة، وأول ما يحاسب به من المظالم الدِّماء، وأول ما يحاسب به مما ينتشر فيه صِيتُ فاعله تلك الأمور. وهذا أوَّلُ ما يقاربه ويناسبه، وهكذا تعتبر ما يردُ عليك من هذا الباب، والله تعالى أعلم ا.هـ(٣)

الاقتصاص بين البهائم:

ومن صور القصاص ما ذكرناه أوّلًا من أنه يقتص للبهائم بعضها من بعض، فإذا وقع ذلك وقِيدَ للشاة الجمّاء من الشاة القرناء قال الله ﷻ لها: «**كُونِي تُرَابًا**» فيقول الكافر حينئذ: ﴿ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠ ﴾ [النبأ]. كما ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨ ﴾ [الأنعام] قَالَ: «**يَحْشُرُ اللَّهُ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْبَهَائِمَ، وَالدَّوَابَّ، وَالطَّيْرَ، وَكُلَّ شَيْءٍ، فَيَبْلُغُ مِنْ عَدْلِ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ أَنَّ اللَّهَ يَأْخُذُ لِلْجَمَّاءِ مِنَ الْقَرْنَاءِ**» قَالَ: «**ثُمَّ يَقُولُ: كُونِي تُرَابًا**» قَالَ: «**فَلِذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ** ﴿ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠ ﴾»(٤)

---

(١) رواه النسائي (٣٩٩١) عَنْ شَرِيكٍ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود به. وشريك سيء الحفظ. والجمع بينهما في حديث واحد من أخطائه.

(٢) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥/ ٤٢) للقرطبي. و" أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور" (ص: ٥٠) لابن رجب. وفتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٩٦)

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣/ ٧٤٧)

(٤) رواه عبد الرزاق في التفسير (٧٨٦، ٣٤٧٣) – ومن طريقه الطبري في التفسير (٩/٤٣٥/ط هجر) والحاكم في المستدرك (٣٢٣١)-، وابن راهويه في مسنده (٣٢٢) وابن أبي حاتم في تفسيره (٧٢٦٢) وسنده حسن.

وَعَنْ أَبِي الْمُغِيرَةِ الْقَوَّاسِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ، قَالَ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مُدَّتِ الْأَرْضُ مَدَّ الْأَدِيمِ وَحَشَرَ اللَّهُ الْخَلَائِقَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ وَالدَّوَابَّ وَالْوُحُوشَ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ جَعَلَ اللَّهُ الْقِصَاصَ بَيْنَ الدَّوَابِّ حَتَّى تَقُصَّ الشَّاةُ الْجَمَّاءُ مِنَ الْقَرْنَاءِ بِنَطْحَتِهَا فَإِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقِصَاصِ بَيْنَ الدَّوَابِّ قَالَ لَهَا: كُونِي تُرَابًا، فَتَكُونُ تُرَابًا فَيَرَاهَا الْكَافِرُ فَيَقُولُ: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠﴾ [النبأ]**»[(١)]

وقال أبو ذر ﷺ: رأى النبي ﷺ شاتين تنتطحان فقال: «**يَا أَبَا ذَرٍّ هَلْ تَدْرِي فِيمَ تَنْتَطِحَانِ؟**» **قال: لا. قال:** «**لَكِنَّ اللَّهَ يَدْرِي، وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**»[(٣)]

قال النووي رحمه الله: هَذَا تَصْرِيحٌ بِحَشْرِ الْبَهَائِمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِعَادَتِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا يُعَادُ أَهْلُ التَّكْلِيفِ مِنَ الْآدَمِيِّينَ وَكَمَا يُعَادُ الْأَطْفَالُ وَالْمَجَانِينُ وَمَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ دَعْوَةٌ وَعَلَى هَذَا تَظَاهَرَتْ دَلَائِلُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ٥﴾ [التكوير] وَإِذَا وَرَدَ لَفْظُ الشَّرْعِ وَلَمْ يَمْنَعْ مِنْ إِجْرَائِهِ عَلَى ظَاهِرِهِ عَقْلٌ وَلَا شَرْعٌ وَجَبَ حَمْلُهُ عَلَى ظَاهِرِهِ ا.هـ[(٤)]

وقال الملا علي قاري رحمه الله: قال ابن المَلَك[(٥)]: ... فَإِنْ قِيلَ: الشَّاةُ غَيْرُ مُكَلَّفَةٍ، فَكَيْفَ يُقْتَصُّ مِنْهَا؟ قُلْنَا: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، وَالْغَرَضُ مِنْهُ إِعْلَامُ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الأهوال (١٨٢) وابن جرير في التفسير (٢٤/ ٥٤) والحاكم في المستدرك (٨٧١٦) وأبو بكر الشافعي في الفوائد الشهير بالغيلانيات (١١٢٥) بسند صحيح عَنْ أَبِي الْمُغِيرَةِ الْقَوَّاسِ به. والقواس ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٤/ ٥٧٦) وقال: ذكره سليمان التيمي ولينه. وقال ابن المديني: لا أعلم أحدا روى عنه غير عوف ا.هـ زاد الحافظ في لسان الميزان (٩/ ١٦٨): وقال إسحاق بن منصور عن ابن مَعِين: ثقة. وذَكَره ابن حِبَّان في "الثقات ا.هـ فالراجح فيه أنه ثقة كما قال ابن معين.

(٢) أخرجه أحمد (٢١٤٣٨) وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ٦١٠).

(٣) تقدم في المجلس السادس والعشرين.

(٤) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٣٦).

(٥) هو محمد بن عبد اللطيف، ابن فِرِشْتَا، المعروف بابن مَلَك الكرماني(ت:٨٥٤ هـ) فقيه حنفي، له كتب، منها: (شرح مصابيح السنة للبغوي) نقلا عن: «الأعلام» للزركلي [بزيادة بين معكوفتين]

الْعِبَادِ بِأَنَّ الْحُقُوقَ لَا تَضِيعُ، بَلْ يُقْتَصُّ حَقُّ الْمَظْلُومِ مِنَ الْمَظَالِمِ اهـ.[١] وَهُوَ وَجْهٌ حَسَنٌ وَتَوْجِيهٌ مُسْتَحْسَنٌ إِلَّا أَنَّ التَّعْبِيرَ عَنِ الْحِكْمَةِ بِالْغَرَضِ وَقَعَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَجُمْلَةُ الْأَمْرِ أَنَّ الْقَضِيَّةَ دَالَّةٌ بِطَرِيقِ الْمُبَالَغَةِ عَلَى كَمَالِ الْعَدَالَةِ بَيْنَ كَافَّةِ الْمُكَلَّفِينَ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ هَذَا حَالُ الْحَيَوَانَاتِ الْخَارِجَةِ عَنِ التَّكْلِيفِ، فَكَيْفَ بِذَوِي الْعُقُولِ مِنَ الْوَضِيعِ وَالشَّرِيفِ وَالْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ؟. اهـ[٢]

يُحبَس المؤمنون بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصُّون قبل دخول الجنة:

ومما يتصل بهذا الباب ما جاء في صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا**»[٣].

فهذا يدل أيضًا على أنه حتى أهل الإيمان الذين يُوفِّقُهم الله عَزَّوَجَلَّ ويعبرون الصراط يقفون قبل أن يدخلوا الجنة، فيُحبَسُون في قنطرة بين الجنة والنار، فيُهذّبون من كل المظالم التي كانت بينهم.

لا قُدِّسَت أمة لا يأخذ ضعيفُها حقّه من شديدها:

وروى ابن أبي شيبة والبزّار حديثاً عجيباً: عن بريدة رضي الله عنه قَالَ سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَعْفَرًا رضي الله عنه، حِينَ قَدِمَ مِنَ الْحَبَشَةِ: «**مَا أَعْجَبُ شَيْءٍ رَأَيْتَه؟**» قال: رأيت امرأة تحمِل على رأسها مكتلاً مِنْ طَعَامٍ فَمَرَّ فَارِسٌ فَرَكَضَهُ فَأَبْذَرَهُ فَجَلَسَتْ تَجْمَعُ طَعَامَهَا، ثُمَّ الْتَفَتَتْ قَالَتْ وَيْلٌ لَهُ إِذَا وَضَعَ الْمَلِكُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُرْسِيَّهُ فَأَخَذَ للمظلوم مِنَ الظَّالِمِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَصْدِيقًا لِقَوْلِهَا «**لَا قُدِّسَتْ أُمَّةٌ أَوْ كَيْفَ تُقَدَّسُ أُمَّةٌ لَا يَأْخُذُ ضَعِيفُهَا حَقَّهُ مِنْ شَدِيدِهَا، وَهُوَ غَيْرُ مُتَعْتَعٍ؟**»[٤].

---

(١) ينظر: «شرح المصابيح لابن الملك» (٥/ ٣٦١) وهو منقول عن «المفاتيح في شرح المصابيح» (٥/ ٢٥٩) لمظهر الدين الحسين الشيرازي الحنفي (ت: ٧٢٧هـ)

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٢٠٣)

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٤٠)

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة -كما في المطالب العالية (٣٢٩٨)- والبزار (٤٤٦٤) وابن أبي عاصم في السنة (٥٨٢) والطبراني في المعجم الأوسط (٥٢٣٤) -وعنه أبو سعيد النقاش في فنون العجائب (٢٢)- والبيهقي في السنن =

وَروى ابن ماجه عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا رَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُهَاجِرَةُ الْبَحْرِ، قَالَ: «**أَلَا تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ؟**» قَالَ فِتْيَةٌ مِنْهُمْ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَرَّتْ بِنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِ رَهَابِينِهِمْ، تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ، فَمَرَّتْ بِفَتًى مِنْهُمْ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا، ثُمَّ دَفَعَهَا فَخَرَّتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا، فَانْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا، فَلَمَّا ارْتَفَعَتِ الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: سَوْفَ تَعْلَمُ يَا غُدَرُ إِذَا وَضَعَ اللَّهُ الْكُرْسِيَّ، وَجَمَعَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَتَكَلَّمَتِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ، بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فَسَوْفَ تَعْلَمُ كَيْفَ أَمْرِي وَأَمْرُكَ عِنْدَهُ غَدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**صَدَقَتْ، صَدَقَتْ كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ أُمَّةً لَا يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ؟**»(١)

هذان خصمان اختصموا في ربهم:

ومما يتصل بهذا الباب ما جاء في الصحيح من حديث قيس بن عُبَاد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «**أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجْثُو بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ**» قَالَ قيس بن عُبَاد: وَفِيهِمْ أُنْزِلَتْ: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] وَهُمُ الَّذِينَ تَبَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ: حَمْزَةُ، وَعَلِيٌّ، وَعُبَيْدَةُ، أَوْ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الحَارِثِ رضي الله عنهم، -تبارز هؤلاء الثلاثة المؤمنون مع ثلاثة من المشركين-وهم: شَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَالوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ.(٢).

وقال قيسٌ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ، يُقْسِمُ قَسَمًا: إِنَّ ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] «**إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ بَرَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ...**»(٣)

الكبرى (٢٠٢٠٣) وفي الأسماء والصفات (٨٦٠) وفي شعب الإيمان (٧١٤٢) وفي إسناده عطاء بن السائب وكان قد اختلط. والرواة عنه هنا ممن لا يعرف روايتهم عنه أكانت قبل الاختلاط أم بعده. لكن يشهد له الحديث الآتي فهو به حسن.

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٠) وأبو يعلى (٢٠٠٣) وابن حبان (٥٠٥٨، ٥٠٥٩) وفي سنده أبو الزبير وهو مدلس وقد عنعن، لكن يشهد له حديث بريدة رضي الله عنه المتقدم ولآخره شواهد عدة. والحديث حسنه الألباني والأرناؤوط وانظر شواهده في تحقيق الأرناؤوط لصحيح ابن حبان (١١/٤٤٤/ رقم ٥٠٥٨). وتحقيق المطالب العالية لابن حجر لمجموعة من الباحثين بإشراف الدكتور سعد الشَّـثري (١٣/٦٩٨).

(٢) رواه البخاري (٣٩٦٥).

(٣) رواه البخاري (٣٩٦٦) ومسلم (٣٠٣٣)

ثلاثة خصمهم الله يوم القيامة:

وقال النبي ﷺ أيضًا: «**قَالَ اللهُ: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا، فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ**» رواه البخاري(١)

ورواه أحمد وزاد: «**... وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصَمْتُهُ**» وقال «**وَلَمْ يُوفِهِ أَجْرَهُ**» بدل «**يعطه**»(٢).

من ظلم قيد شبر من الأرض:

وفي البخاري وغيره من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**»(٣)

فمن اعتدى على أرض الناس في الدنيا وأخذها بغير حق، فيُطوّق يوم القيامة من سبع أرضين، نسأل الله السلامة والعافية.

وفي البخاري أيضًا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ**»(٤).

وفي مسند الإمام أحمد عن يعلى بن مرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**مَنْ أَخَذَ أَرْضًا بِغَيْرِ حَقِّهَا، كُلِّفَ أَنْ يَحْمِلَ تُرَابَهَا إِلَى الْمَحْشَرِ**»(٥)

-وقد تقدم بعض هذا في المجلس الثامن والعشرين-.

فما أعظم هذه المواقف التي ستقع في عرصات القيامة، وحين يقتص الله عز وجل للخلائق بعضهم من بعض، وحين يختصم الناس يوم القيامة بين يدي الحكم العدل الذي هو سريع الحساب، فيقضي بينهم سبحانه وتعالى!

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه ابن ماجه (٢٤٤٢) بلفظ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...**» الحديث، فجعله حديثا نبويا لا قدسيا وما في الصحيح أصح، رواه ابن ماجه عن شيخه سويد بن سعيد، وهو وإن روى له مسلم إلا أنه ضعيف.

(٢) مسند أحمد (١٤/ ٣١٨) رقم (٨٦٩٢) ورواه ابن الجارود في المنتقى (٥٧٩)

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٥٣)، ومسلم (١٦١٢).

(٤) تقدم في المجلس الثامن والعشرين.

(٥) تقدم (ص:١١٩)

الولاية خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدّى الذي عليه فيها:

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ أنّ أبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال للنبي ﷺ: يا رسول الله ألا تستعملني؟ -يعني: لم لا تجعلني واليًا أو عاملًا لك على عمل؟- قال: فضَرَبَ بيده على منكبيّ ثم قال: «**يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا**»(١).

يأتي يوم القيامة أولئك المسؤولون الظلمة أمام الله تَعَالَى ويحاكَمون، كما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَا مِنْ أَمِيرِ عَشَرَةٍ إِلَّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَغْلُولَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، أَطْلَقَهُ الْحَقُّ أَوْ أَوْبَقَهُ**»(٢). وفي رواية: «**مَا مِنْ أَمِيرِ عَشَرَةٍ إِلَّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولًا، لَا يَفُكُّهُ إِلَّا الْعَدْلُ، أَوْ يُوبِقُهُ الْجَوْرُ**»(٣)

فهذه المسؤوليات التي يتزاحم عليها الناس والتي يتسابقون إليها ويكون الإنسان فيها حاكمًا أو واليًا أو مسؤولًا أو مديرًا ثم لا يقوم فيها بما أمر الله جَلَّ جَلَالُهُ فيقع منه الظلم يأتي يوم القيامة أمام الخلائق يُقتَصُّ للمظلوم منه، نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ العفو والعافية.

فهذه جملة من الأحاديث العظيمة التي جاءت عن النبي ﷺ في هذا الأمر العظيم اقتصاصِ المظالم والانتصاف للمظلوم من الظالم الذي سيقع في عرصات القيامة.

وقد جاء مبينًا موضّحًا عن النبي ﷺ أيما بيان وأيما توضيح وجاءت النصيحة من رسولنا ﷺ: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ**» رواه البخاري(٤)

فهل نعي هذه الكلمات الطيبات المباركات والنصائح والتوجيهات من رسولنا ﷺ؟

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٥).

(٢) أخرجه الدارمي (٢٥٥٧)، والبزار (١٦٣٩) وهو في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين لشيخنا الوادعي (٣١٨١)

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٩٥٧٣) وهو صحيح

(٤) تقدم.

وإنّ الآخرة لأقربُ إلى أحدنا من شِراك نعله كما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ**»(١).

فليس بينك وبين لقاء الله إلا أن تموت، والأجلُ الذي وضعه الله ﷻ للناس غيرُ معلوم؛ فلا يعلم الإنسان متى يموت؟ قد يخرج ولا يرجع، وقد ينام ولا يستيقظ، وقد يسافر ولا يرجع، فالأجل غير معروف، فيوشك أن يأتي ملك الموت ليأخذ الروح من صاحبها فيموت ويندم ولاتَ ساعة مندم.

فلتكن -يا عبد الله- حريصًا على أن تتحلّل في هذه الدنيا في حال حياتك، وما دامت الروح في الجسد فاجتهد على ألا يكون لأحد عليك مظلمة.

أسأل الله ﷻ أن يجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه

كما نسأله ﷻ أن يرفع عنا هذا الوباء، ويصرف عنا البلاء، إنه سميع الدعاء؛

اللَّهُمَّ إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٨) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

الإيمان بالميزان

المجلس الثاني والثلاثون[١]

نصب الموازين يوم القيامة:

الإيمان بنصب الموازين يوم القيامة؛ هو من الإيمان باليوم الآخر

فما أعظم سعادةَ هؤلاء الذين يأتون يوم القيامة، فتثقل موازينُ أعمالهم بما قدّموا من إيمانٍ وعملٍ صالحٍ في الدنيا!

تعريف الميزان:

والميزان في لغة العرب معروفٌ؛ ويطلق على إطلاقات عدة، ومنها أنه يطلق، ويراد به الميزان ذو الكفتين، كما نقل ذلك غير واحد من أهل اللغة[٢].

ولذلك فأهل العلم حينما يتكلمون عن الميزان ويعرفونه يقولون: هو الميزان الذي أخبر عنه الله ﷻ في كتابه، وأخبر عنه النبي ﷺ في سُنّته، وهو ميزان حقيقي له كفتان، توزن به أعمالُ العباد خيرُها وشرُّها.

إجماع أهل السنة على أن الميزان حق:

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، فَيُوزَنُ فِيهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ"[٣]

وقال عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ رحمه الله: سَأَلْتُ أَبِي وَأَبَا زُرْعَةَ عَنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي أُصُولِ الدِّينِ، **وَمَا أَدْرَكَا عَلَيْهِ الْعُلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ**، وَمَا يَعْتَقِدَانِ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَا: "**أَدْرَكْنَا الْعُلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ** حِجَازًا وَعِرَاقًا وَشَامًا وَيَمَنًا فَكَانَ مِنْ مَذْهَبِهِمُ: الْإِيمَانُ

---

(١) كان في يوم الأربعاء الثامن عشر من شهر شوال من عام ١٤٤١هـ.

(٢) جاء في المحكم لابن سيده (مادة وزن): "والميزان: ما وُزِنَ به" وقال صاحب تاج العروس (مادة: وزن): "(والمِيزان)، بالكسْرِ: (م) مَعْروفٌ، وَهِي الآلَةُ الَّتِي تُوزَنُ بهَا الأَشْياء".

(٣) العقيدة الواسطية (ص: ٩٧).

قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، ...فذكر الاعتقاد إلى أن قالا: ... وَالْمِيزَانُ حَقٌّ، لَهُ كِفَّتَانِ، تُوزَنُ فِيهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا حَقٌّ ا.هـ[١]

وقال أبو الحسن الأشعري رحمه الله: وأجمعوا على أن الله ينصب الموازين لوزن أعمال العباد[٢].

الميزان ميزان حقيقي:

والميزان الذي أمرنا الله ﷻ أن نؤمن به هو ميزانٌ حقيقيٌ. وذكر عن بعض أهل العلم أنهم يؤولون ويقولون: الميزان المراد به العدل، والصحيحُ الذي عليه إجماعُ أهل السنة أنه ميزان حقيقيٌّ تُوزَن به أعمالُ العبادِ كما دلّت عليه الأدلة، -وسيأتي ذكرها-، وهي تدل على أنه ميزان حقيقي.

يقول القرطبي رحمه الله: "ورُوِيَ عن مجاهد والضحّاك والأعمش أنّ الميزان هنا بمعنى العدل والقضاء، وذِكْرُ الوزنِ والميزانِ ضَرْبُ مَثلٍ كما يقول: هذا الكلام في وزن هذا وفي وزنه أي: يعادله ويساويه، وإن لم يكن هناك وزن. قلت: وهذا القول مجازٌ، وليس بشيء وإن كان شائعًا في اللغة، للسُّنة الثابتة في الميزان الحقيقي ووصفه بكفتين ولسان، وإن كل كفة منهما طباق السموات والأرض"[٣].

وقال البيهقي في شعب الإيمان: وذهب أهل التفسير إلى إثبات هذا الميزان بكفتيه وجاء في الأخبار ما دل عليه. ا.هـ[٤]

الميزان له كفتان:

وقال أهل العلم: هذا الميزان ميزانٌ له كفّتان حِسّيّتان مشاهدتان، وله لسان كذلك، وأن هذا الميزان عظيم، بحيث إنه يسع أن يُوزَنَ به ما في السماوات وما في الأرض.

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي(٣٢١)

(٢) رسالة إلى أهل الثغر (ص: ١٦١).

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: ٧٢٣،٧٢٤).

(٤) «شعب الإيمان» (١/ ٤٤٧ ط الرشد)

يقول الحافظ ابن قدامة: "والميزان له كفتان ولسان توزن به الأعمال [١]

لسان الميزان:

روى اَلْكَلْبِيُّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّهُ قَالَ: هُوَ مِيزَانٌ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ.[٢]

وروى حرب الكرماني واللالكائي عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ، قَالَ: " ذُكِرَ الْمِيزَانُ عِنْدَ الْحَسَنِ، فَقَالَ: لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ ا.هـ[٣]

وقال الشيخ صالح آل الشيخ في شرح الطحاوية: وكون الميزان له لسان كما ذكره ابن قدامة في اللمعة وذكره غيره، هذا لا أحفظ فيه دليلاً واضحاً -أو ما اطَّلَعْتُ فيه على دليل واضح-؛ لكن أخذوه من أنَّ ظاهر الوزن في الرُّجْحَان يتبين باللسان، فأَعْمَلُوا ظاهر اللفظ وجعلوا ذلك مثبتاً لوجود اللسان، فينبغي أن تكون محل بحث ا.هـ

قلت: الحق إثباته فقد نقل غير واحد إجماع السلف على إثباته.

قال الحافظ: قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى الْإِيمَانِ بِالْمِيزَانِ وَأَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ تُوزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنَّ الْمِيزَانَ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ وَيَمِيلُ بِالْأَعْمَالِ ا.هـ[٤]

ومثله عن الحافظ ابن بطال[٥].

ونسبه أبو الحسن الأشعري: إلى قول أهل الحق[٦]

---

(١) لمعة الاعتقاد (ص: ٣٢).

(٢) نقله ابن أبي زمنين في أصول السنة (ص: ١٦٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٤٤٧ ط الرشد)، والكلبي: متهم بالكذب-. وشيخه أبو صالح اسمه باذام، وهو : ضعيف.

(٣) «مسائل حرب الكرماني ت فايز حابس» (٣/ ١٠٨٩ بترقيم الشاملة)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٢٢١٠).

(٤) «فتح الباري» (١٣/ ٥٣٨)

(٥) "شرح صحيح البخاري، مكتبة الرشد" (١٠/ ٥٥٩)

(٦) «مقالات الإسلاميين ت زرزور» (٢/ ٣٥٣)

وقال الشيخ الغنيمان: الميزان لا يكون إلا بلسان، وبدون لسان لا يكون ميزان، فلابد أن يكون له لسان يعرف رجحانه من عدمه، وهذا أمرٌ يدل عليه كلمة (ميزان)، وقد أثبت العلماء ذلك من هذا ا.هـ(١)

ونقل الطبري في تفسيره قول جماعة من العلماء: الْمِيزَانُ الَّذِي يَعْرِفُهُ النَّاسُ، لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ(٢). وعند قول الله تعالى -في سورة الرحمن-: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ ﴾ قال غير واحد من المفسرين: المعنى أقيموا لسان الميزان(٣).

من أدلة القرآن على أن الميزان حق:

قال ربنا ﷻ: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩ ﴾ [الأعراف] وقال الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وقال ربّنا ﷻ في سورة القارعة: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ ﴾ [القارعة]

من أدلة السنة على أن الميزان حق:

وقد جاء في السنة أحاديث كثيرة، منها قولُ النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ**»(٤).

فقوله «**ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ**» يدل على أنه ميزان حقيقي.

---

(١) «شرح العقيدة الواسطية» (٢٠/ ١٣ بترقيم الشاملة آليا)

(٢) «تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر» (١٠/ ٦٩)

(٣) ينظر: «موسوعة التفسير المأثور» (٢١/ ٨٢).

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

تزود بما يثقل ميزانك يوم القيامة:

ونحن في هذه الدنيا في فرصة ومهلة، والله ﷻ أخبرنا أن موازيننا تثقلُ يوم القيامة بقدر ما نعمل من الأعمال الصالحات. وقد ضرب لذلك بعضُ أهل العلم مثلًا بأقوام جاؤوا على ساحل البحر، فانحسر البحر عن الجواهر والنفائس، فأخذ الناسُ يجمعون، كلٌّ يجمع بقدر ما يستطيع، فإذا رُئِيَ في هذا الموطن رجلٌ متغافلٌ عن جمع الجواهر وعن جمع الذهب وما انحسر عنه البحر فإنه يُعَدُّ في عُرْف الناس متكاسلًا، وربما قيل عنه: إنه مجنونٌ، فهكذا نحن في الدنيا في فرصة وفي مهلة[1].

ومن رحمة الله ﷻ وفضله أنه أخبرنا أن الأعمال الصالحة تضاعف في الميزان، وأنّ الحسنة لا توزن بحسنة عند الله، وإنما تُوزَنُ بعشر حسنات؛ فتثقل بذلك الموازين: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام] وقال ربنا ﷻ: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النمل] وقال سبحانه: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [القصص: ٨٤].

لا وزن للحسنات بدون توحيد الله:

فالآيات دالة على أنه بقدر ما تستزيد من أعمالك الصالحة في الدنيا التي أساسُها توحيدُ الله والإيمانُ بالله والإخلاصُ لله فإن حسناتك تضاعف يوم القيامة، وتثقل الموازين بهذه الحسنات المضاعفة من رب العالمين.

ويقول ربنا ﷻ في كتابه الكريم عن حال الكفار: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الكهف]

تأملوا حال هؤلاء! لماذا حبطت أعمالهم؟

---

(١) انظر في أمثلة الدنيا: «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين - ط عطاءات العلم» (١/ ٤٤٤-٤٧٠)

لأنهم جاؤوا ربهم سبحانه بالشرك، ولم يكونوا موحِّدين، فلو جاء رجلٌ بأعمال الدنيا الصالحة كلِّها إلا التوحيد فإنّ الله ﷻ لا يقبل له عملًا؛

ولذا قال: ﴿ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٥]

ولهذا قال ﷺ: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**»(١)

وإنما الذي ينفع في الميزان هو العمل الصالح مع إيمان بالله وتوحيد به.

قال الشوكاني رحمه الله: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ أَيْ: لَا يَكُونُ لَهُمْ عِنْدَنَا قَدْرٌ وَلَا نَعْبَأُ بِهِمْ، وَقِيلَ: لَا يُقَامُ لَهُمْ مِيزَانٌ تُوزَنُ بِهِ أَعْمَالُهُمْ، لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ لِأَهْلِ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ، وَهَؤُلَاءِ لَا حَسَنَاتٍ لَهُمْ ا.هـ(٢)

أمور عظيمة تثقل الميزان:

التسبيح:

من ذلك ما جاء في الحديث السابق: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ**».

وقال ﷺ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ-أَوْ تَمْلأُ-مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالصَّلاَةُ نُورٌ...**» الحديث(٣). فتأملوا قوله ﷺ: «**وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ-أَوْ تَمْلأُ-مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالصَّلاَةُ نُورٌ...**» فإنه دالٌ على أن هذه الكلمات المباركات لعظيم فضلها وعلو مكانتها تملأ الميزان، والحديث على ظاهره من غير تأويل بثوابها؛ لعدم ما يمنع من كونها هي الموزون.

الكلمات الأربع الباقيات الصالحات واحتساب الولد الصالح إذا مات:

كذلك جاء عن أَبي سَلْمَى رضي الله عنه رَاعِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٨)، ومسلم (٢٧٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) فتح القدير (٣/ ٣٧٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

يَقُولُ: «بَخٍ بَخٍ وَأَشَارَ بِيَدِهِ بِخَمْسٍ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فَيَحْتَسِبُهُ»(١)

وقوله: «... وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى...» يعني: يموت فيحتسبه والده سواء كان الأب أو الأم، فإذا مات الولد -وهذا ليس مقيَّدًا بالصغير- إذا مات الابن أو البنت صالحًا أو صالحةً فاحتسبته عند الله ﷻ فإنّ هذا الاحتساب عظيمٌ عند الله ﷻ في الميزان. ويدل هذا الحديث أيضًا على ما دلت عليه الأدلة الأخرى من إثبات الميزان يوم القيامة.

الذكر دبر كل صلاة وعند النوم:

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَلَّتَانِ لَا يُحْصِيهِمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ، أَلَا وَهُمَا يَسِيرٌ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ: يُسَبِّحُ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَيَحْمَدُهُ عَشْرًا، وَيُكَبِّرُهُ عَشْرًا»، قَالَ :فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَعْقِدُهَا بِيَدِهِ، قَالَ: «فَتِلْكَ خَمْسُونَ، وَمِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ وَخَمْسُ مِائَةٍ فِي المِيزَانِ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ تُسَبِّحُهُ وَتُكَبِّرُهُ وَتَحْمَدُهُ مِائَةً، فَتِلْكَ مِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ فِي المِيزَانِ، فَأَيُّكُمْ يَعْمَلُ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَلْفَيْنِ وَخَمْسَمِائَةِ سَيِّئَةٍ؟» قَالُوا: فَكَيْفَ لَا نُحْصِيهَا؟ قَالَ: «يَأْتِي أَحَدَكُمُ الشَّيْطَانُ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ، فَيَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا، حَتَّى يَنْفَتِلَ، فَلَعَلَّهُ أَلَّا يَفْعَلَ، وَيَأْتِيهِ وَهُوَ فِي مَضْجَعِهِ، فَلَا يَزَالُ يُنَوِّمُهُ حَتَّى يَنَامَ»(٢)

وقولُه ﷺ: «فَتِلْكَ خَمْسُونَ، وَمِائَةٌ بِاللِّسَانِ» هو مجموع ما تقوله من هذه الكلمات؛ لأنك تقولها خمسَ مرّات عقب كلِّ صلاة، ثلاثون بعد صلاة الفجر: عشر تسبيحات وعشر تحميدات وعشر تكبيرات، وهكذا بعد كل صلاة ثلاثون، فهذه مائة وخمسون

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٩٩٢٣) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤٧٠) وابن حبان (٨٣٣) والطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ٨٧٣/٣٤٨) والحاكم (١٨٨٥) من حديث أبي سلمى رضي الله عنه. وهو في مسند الإمام أحمد (١٥٦٦٢) و(١٨٠٧٦) عن مولى لرسول الله ﷺ غير مسمى وفي (٢٣١٠٠) أن رجلًا سمع النبي ﷺ. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٠٤) وشيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٦٠٩)

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٦٥)، والترمذي (٣٤١٠) واللفظُ له، والنسائي (١٣٤٨)، وابن ماجه (٩٢٦).

باللسان. قال ﷺ: «وَأَلْفٌ وَخَمْسُ مِائَةٍ فِي المِيزَانِ» يعني: الحسنة بعشرة أمثالها، وهذا الحديث الصحيح أيضًا من الأحاديث الدالة على الميزان كما أخبر النبي ﷺ.

وانتبهوا -يا إخواني- إلى هذه الحسنات العظيمة التي يفقدها كثيرٌ من الناس، وقد اشتهر عند الناس اليوم أن من أذكار الصلاة أن تسبح ثلاثًا وثلاثين، وتحمد ثلاثًا وثلاثين، وتكبِّر ثلاثًا وثلاثين دُبُر كلِّ صلاة، وهذا صحيحٌ لكنّ الإنسان قد يكسل أحيانًا أو ينشغل فنقول: لا تحرم نفسك من أن تقولها عشر مرات: عشر تسبيحات، وعشر تحميدات، وعشر تكبيرات، فالمجموع ثلاثون مرة، تقول: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر عشر مرات، لا تأخذ منك دقيقة واحدة، فتنال هذا الأجر والثواب.

ولهذا بيّنَ النبيُّ ﷺ لنا أنّ الموفّق من وفّقه الله ﷻ إذا كان المؤمنُ حقيقة يؤمنُ حقًّا وصدقًا بأن هناك موازين ستنصب يوم القيامة، وتوزن الأعمال، ويرى الناسُ ما عملوا من خير ومن شر فإنه سيستحضر هذا في كل يوم عقب كل صلاة، ويستحضر أن عنده هنا عمل إذا عمله كان مثقلا لميزانه يوم القيامة.

الرفق بالخادم والعامل:

وفي صحيح ابن حبان عَنْ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا خَفَّفْتَ عَنْ خَادِمِكَ مِنْ عَمَلِهِ كَانَ لَكَ أَجْرًا فِي مَوَازِينِكَ»(١)

الخلق الحسن أعظم ما يثقل به الميزان:

والخُلُقُ الحسن من أعظم ما تثقل به الموازين يوم القيامة. كما في سنن أبي داود عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ» ورواه الترمذي وزاد «... وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ»(٢)

وبعض الناس اليوم تسوء أخلاقه، فتجده سبّابا، ذَرِبَ اللسان، يسُبُّ ويشتم ويلعن

---

(١) رواه ابن حبان (٤٣١٤) وحسنه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٦١١)

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٣)

ويهزأ ويسخر، وربما يفعل بعضُ الناس ذلك على سبيل المزاح واللعب واللهو.

والنبي ﷺ يقول: «وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ» (١).

فحسِّنْ خلقك -يا عبد الله- ما استطعت لتكون من الفائزين.

ثواب حضور الجنائز تثقل الميزان:

عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ شَهِدَ الجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلِّيَ، فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَ حَتَّى تُدْفَنَ كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ»، قِيلَ: وَمَا القِيرَاطَانِ؟ قَالَ: «مِثْلُ الجَبَلَيْنِ العَظِيمَيْنِ» متفق عليه. وفي رواية لهما: «مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيَفْرُغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ» وفي رواية لمسلم «أَصْغَرُهُمَا مِثْلُ أُحُدٍ»(٢)

وعَنْ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَبِعَ جَنَازَةً حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا، وَيُفْرَغَ مِنْهَا، فَلَهُ قِيرَاطَانِ، وَمَنْ تَبِعَهَا حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا، فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِهِ مِنْ أُحُدٍ»(٣)

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ أَنَّهُ خَرَجَ فِي جِنَازَةٍ فِيهَا ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهم فَصَلَّى عَلَيْهَا فَانْصَرَفَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ لِحَاجَةٍ فَضَرَبَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهم مَنْكِبِي وَقَالَ أَتَدْرِي بِكَمِ انْصَرَفَ هَذَا؟ قُلْتُ لَا أَدْرِي قَالَ انْصَرَفَ بِقِيرَاطٍ فَقُلْتُ: ابْنَ عَبَّاسٍ، وَمَا الْقِيرَاطُ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ صَلَّى عَلَى جِنَازَةٍ فَانْصَرَفَ قَبْلَ أَنْ يَفْرُغَ مِنْهَا كَانَ لَهُ قِيرَاطٌ، فَإِنِ انْتَظَرَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ، وَالْقِيرَاطُ مِثْلُ أُحُدٍ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٢٥، ٤٧)، ومسلم (٥٣/٩٤٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٥٤١) وأحمد (٢١٢٠١) والطبراني في المعجم الأوسط (٥٥٤) وهو في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٠١)

ثُمَّ قَالَ: أَتَعْجَبُ مِنْ قَوْلِي مِثْلَ أُحُدٍ، حَقٌّ لِعَظَمَةِ رَبِّنَا أَنْ يَكُونَ قِيرَاطُهُ مِثْلَ أُحُدٍ وَيَوْمُهُ كَأَلْفِ سَنَةٍ.(١)

العناية بالخيل في سبيل الله تثقل الميزان:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «... **الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ: هِيَ لِرَجُلٍ وِزْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ وِزْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا رِيَاءً وَفَخْرًا وَنِوَاءً عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَهِيَ لَهُ وِزْرٌ، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللهِ فِي ظُهُورِهَا وَلَا رِقَابِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فِي مَرْجٍ وَرَوْضَةٍ، فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَرْجِ، أَوِ الرَّوْضَةِ مِنْ شَيْءٍ، إِلَّا كُتِبَ لَهُ، عَدَدَ مَا أَكَلَتْ حَسَنَاتٌ، وَكُتِبَ لَهُ، عَدَدَ أَرْوَاثِهَا وَأَبْوَالِهَا، حَسَنَاتٌ، وَلَا تَقْطَعُ طِوَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا، أَوْ شَرَفَيْنِ، إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ عَدَدَ آثَارِهَا وَأَرْوَاثِهَا حَسَنَاتٍ، وَلَا مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَى نَهْرٍ، فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيَهَا، إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ، عَدَدَ مَا شَرِبَتْ، حَسَنَاتٍ**»(٢)

وفي المسند من حديث شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، قَالَ: حَدَّثَتْنِي أَسْمَاءُ بِنْتُ يَزِيدَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**الْخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ مَعْقُودٌ أَبَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ رَبَطَهَا عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَنْفَقَ عَلَيْهَا احْتِسَابًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّ شِبَعَهَا وَجُوعَهَا، وَرِيَّهَا، وَظَمَأَهَا، وَأَرْوَاثَهَا، وَأَبْوَالَهَا فَلَاحٌ فِي مَوَازِينِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ رَبَطَهَا رِيَاءً، وَسُمْعَةً، وَفَرَحًا، وَمَرَحًا فَإِنَّ شِبَعَهَا، وَجُوعَهَا، وَرِيَّهَا، وَظَمَأَهَا، وَأَرْوَاثَهَا، وَأَبْوَالَهَا خُسْرَانٌ فِي مَوَازِينِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٣)

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٨٨٠٨) -ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٩٢/٥٣)- وإسناده حسن في الشواهد، رجاله ثقات سوى محمد بن سعيد وهو ابن الفضل الدمشقي ذكره ابن أبي حاتم وترجم له ابن عساكر من رواية جمع عنه ولم يذكر بتوثيق.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٧١) ومسلم (٩٨٧)

(٣) أخرجه أحمد (٢٧٥٧٤) وأعله الشيخ الألباني بضعف شهر بن حوشب في السلسلة الضعيفة (٦٨٣٦) وحسنه شيخنا أحمد الشريف في موسوعته المباركة "**وبل الغمامة في فضل الخيل التي في نواصيها الخير إلى يوم القيامة**" (٦٦/١)

حاجة المرء إلى الحسنة الواحدة يوم القيامة:

وإنّ الواحد منا يوم القيامة ليحتاج إلى الحسنة الواحدة، فيطلبها من أبيه، يطلبها من أخيه، يطلبها من أمه، يطلبها من أقرب الناس إليه، فلا يجدها أبدًا، كُلٌّ يقول: نفسي نفسي، كما ذكر ذلك جماعة من أهل التفسير عند قول الله ﷻ: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [عبس]. فالأب يقول لأبنائه: أيَّ أبٍ كنت لكم؟ فيقولون: كنت خير أب لنا، فيقول: حسنة واحدة. فيقولون له: نحن نريد ما تريد لا نستطيع نحن نريد ما تريد[(١)].

أصحاب الأعراف:

قد دلت الأدلة على أن الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح.

وأصحاب الأعراف هم: قوم يأتون يوم القيامة، تستوي حسناتهم وسيئاتهم. فيُحجَزون على الأعراف[(٢)] ينظرون إلى أهل الجنة، وينظرون إلى أهل النار، ﴿ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ ﴾ [الأعراف: ٤٦] وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم نظروا أصحاب النار، ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأعراف]، فيتعوذون بالله من منازلهم. فهؤلاء حُجِزوا بسبب أنهم لو كان لهم حسنةٌ زائدة لنجَوا في حينها مما هم فيه من كرب وهم وغم.

وروي عن ابن مسعود ﷺ أنه كان يقول: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً كُتِبَ لَهُ بِهَا عَشْرًا، وَإِذَا عَمِلَ سَيِّئَةً لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ إِلَّا وَاحِدَةٌ، ثُمَّ يَقُولُ: هَلَكَ مَنْ غَلَبَتْ وَحْدَاتُهُ أَعْشَارَهُ**»[(٣)]

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٣٢٥/٨). وانظر ما تقدم (ص: ١٦٣)

(٢) الأعراف: جَمْعُ "عُرْف"، وَكُلُّ مُرْتَفِعٍ مِنَ الْأَرْضِ عِنْدَ الْعَرَبِ يُسَمَّى "عُرْفًا"، وهو: حِجَابٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وهو: السُّورُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ ﴾ [الحديد: ١٣] تفسير ابن كثير (٤١٨/٣).

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد (١٢٣/٢) – ومن طريقه وطريق غيره الطبري (جامع البيان ط هجر ١٠/ ٢١٣و ٣١٥/١٢)- وسنده واهٍ. وقال ابن فضيل في الدعاء (١١٥) حَدَّثَنَا دَاوُدُ -وهو ابن أبي هند-، عَنْ عَامِرٍ -وهو الشعبي- قَالَ عَبْدُ اللَّهِ – وهو ابن مسعود-: «**أَرْبَعٌ لَا يَهْلِكُ بَعْدَهُنَّ إِلَّا هَالِكٌ قَالَ: إِذَا عَمِلَ الرَّجُلُ الْحَسَنَةَ كُتِبَتْ عَشْرًا، وَإِنْ هَمَّ بِهَا وَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ حَسَنَةً، وَإِنْ عَمِلَ سَيِّئَةً كُتِبَتْ سَيِّئَةً، وَإِنْ لَمْ يَعْمَلْهَا وَهَمَّ بِهَا لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ شَيْءٌ**» ورجاله ثقات لكنه مرسل الشعبي لم يسمع من ابن مسعود.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ هُمْ رِجَالٌ كَانَتْ لَهُمْ ذُنُوبٌ عِظَامٌ، وَكَانَ جَسِيمٌ أَمْرُهُمْ لِلَّهِ تَعَالَى يَقُومُونَ عَلَى الْأَعْرَافِ فَإِذَا نَظَرُوا إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ طَمِعُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا. وَإِذَا نَظَرُوا إِلَى أَهْلِ النَّارِ تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْهَا فَأَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ»(١)

وعَنْ قَتَادَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالٌ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ، فَلَمْ تَفْضُلْ حَسَنَاتُهُمْ عَلَى سَيِّئَاتِهِمْ، وَلَا سَيِّئَاتُهُمْ عَلَى حَسَنَاتِهِمْ»(٢)

وروي عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: «أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ قَوْمٌ تَجَاوَزَتْ بِهِمْ حَسَنَاتُهُمُ النَّارَ، وَقَصُرَتْ بِهِمْ سَيِّئَاتُهُمْ عَنِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ، قَالُوا: رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذِ اطَّلَعَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ. قَالَ: «قُومُوا ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» (٣)

الحرص على كسب الحسنات:

فليحرص الواحد منا على الاستكثار من الحسنات والمسارعة إلى الأعمال الطيبات الصالحات. فرب حسنة واحدة يكون فيها نجاتك عند الله وتثقل بالميزان.

فَاستعمل وصية رسول الله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه إذ قال له: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»(٤).

وفي رواية:

---

(١) رواه البيهقي في البعث والنشور (١٠٠) وفي شعب الإيمان (٣٧٦)

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٩٠٥) والحسين المروزي في زوائد الزهد لابن المبارك (١٣٧٢) والطبري في تفسيره (١٠/ ٢١٥) من طرق عن قتادة به وهو مرسل لم يسمع قتادة من ابن عباس رضي الله عنهما ويشهد له ما قبله. ورواه الحسين المروزي في زوائد الزهد لابن المبارك (١٣٧١) من طريق أبي العريان عن ابن عباس.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٣٢٤٧) – وعنه البيهقي في البعث والنشور (١٠١)- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُقْبَةَ الشَّيْبَانِيُّ، ثنا الْهَيْثَمُ بْنُ خَالِدٍ، ثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، أَنْبَأَ يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ صِلَةَ بْنِ زُفَرَ، عَنْ حُذَيْفَةَ ...فذكره وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ ا.هـ وقد خولف عبيد الله بن موسى، فرواه هناد بن السري في الزهد (٢٠٢) حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ يُونُسَ عَنْ عَامِرٍ عَنْ حُذَيْفَةَ ووكيع أوثق وعامر لم يلق حذيفة. وقد جاء من طرق عن عامر عن حذيفة رواه الحسين المروزي في زوائد الزهد (١٣٧٠) والطبري في تفسيره (٢١٥/١٠).

(٤) رواه مسلم (٢٦٢٦) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ فذكره.

«وَلَوْ أَنْ تَأْتِيَ أَخَاكَ بِوَجْهٍ مُنْبَسِطٍ، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي»[١]

وفي مسند الإمام أحمد عَنْ أَبِي تَمِيمَةَ الْهُجَيْمِيِّ ﷺ عَنْ رَجُلٍ، مِنْ قَوْمِهِ[٢] قَالَ: لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، ...فذكر الحديث وفيه: قَالَ: وَسَأَلْتُهُ عَنِ الْمَعْرُوفِ؟ فَقَالَ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تُعْطِيَ صِلَةَ الْحَبْلِ، وَلَوْ أَنْ تُعْطِيَ شِسْعَ النَّعْلِ، وَلَوْ أَنْ تَنْزِعَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي، وَلَوْ أَنْ تُنَحِّيَ الشَّيْءَ مِنْ طَرِيقِ النَّاسِ يُؤْذِيهِمْ، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ، وَوَجْهُكَ إِلَيْهِ مُنْطَلِقٌ، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِ، وَلَوْ أَنْ تُؤْنِسَ الْوَحْشَانَ فِي الْأَرْضِ، وَإِنْ سَبَّكَ رَجُلٌ بِشَيْءٍ يَعْلَمُهُ فِيكَ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ فِيهِ نَحْوَهُ، فَلَا تَسُبَّهُ فَيَكُونَ أَجْرُهُ لَكَ وَوِزْرُهُ عَلَيْهِ، وَمَا سَرَّ أُذُنَكَ أَنْ تَسْمَعَهُ فَاعْمَلْ بِهِ، وَمَا سَاءَ أُذُنَكَ أَنْ تَسْمَعَهُ فَاجْتَنِبْهُ»[٣]

تواجد النبي ﷺ عند الميزان يوم القيامة:

وحين تُنْصَبُ الموازين يوم القيامة يصاب الناس بالهلع وبالخوف وبالفزع بسبب ما يشاهدونه من الكَرْبِ ومن عظيم الحزن ومن عظيم الأهوال في ذلك اليوم العظيم،

قال أنس بن مالك ﷺ: سَأَلْتُ نَبِيَّ اللهِ ﷺ، أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: قَالَ: «أَنَا فَاعِلٌ» قَالَ: فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: «اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ» قَالَ: قُلْتُ: فَإِذَا لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: «فَأَنَا عِنْدَ الْمِيزَانِ» قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟ قَالَ: «فَأَنَا عِنْدَ الْحَوْضِ، لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ مَوَاطِنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٤].

فهذه ثلاثة مواطن بيّنَ لنا النبيُّ ﷺ أنه سيكون عندها، فإما أن يكون عند الميزان أو عند الصراط أو عند الحوض صلواتُ ربي وسلامه عليه. وهذا يدل على أنّ

---

(١) رواه الخرائطي مكارم الأخلاق (١١٨) والبيهقي في الآداب (٢٢٢) والسنن الكبرى (٧٨٢٤) وشعب الإيمان (٣١٠٤، ٧٦٨٨)

(٢) قال الحافظ ابن أبي حاتم في العلل (٢/ ٣٢٥): قُلتُ لأَبِي : يُسَمَّى هَذا الرَّجُلُ مِن قَومِهِ ؟ قالَ : نَعَم، سَمّاهُ عَبدُ الوارِثِ، عَنِ الجُرَيرِيِّ. ثم ذكر إسناده وفيه، عَن أَبِي تَمِيمَةَ، عَن **جابِرِ بنِ سُلَيمٍ** ﷺ.

(٣) رواه الإمام أحمد (١٥٩٥٥) وأبو عبيد في الخطب والمواعظ (١٥) والبغوي في معجم الصحابة (٣١٤) وابن أبي حاتم في العلل (٣٤٩٤)

(٤) أخرجه أحمد (١٢٨٢٥)، والترمذي (٢٤٣٣).

الأمر عظيم، وأنّ وجوده ﷺ في هذه المواطن الثلاثة لأنها مواطن عظيمة، تغشى الناس في ذلك الحين حينما تُنصَبُ الموازين، فيبلغ الخوف والهلع بالناس أقصى الحدود، ينسى الحبيبُ حبيبَه، ﴿ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [المعارج]، لا يفكر أحدٌ إلا في نفسه، ويذهل عن كلِّ شيءٍ لا يفكر إلا في نتيجة ميزانه، حين توزن أعماله عند الله ﷻ.

وقد رُوِيَ عن عائشة رضي الله عنها وأرضاها أَنَّهَا ذَكَرَتِ النَّارَ فَبَكَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا يُبْكِيكِ؟**» قَالَتْ: ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ، فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا فِي ثَلاَثَةِ مَوَاطِنَ: فَلاَ يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا: عِنْدَ الْمِيزَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ أَوْ يَثْقُلُ، وَعِنْدَ الْكِتَابِ حِينَ يُقَالُ:** ﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحاقة] **حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ أَفِي يَمِينِهِ أَمْ فِي شِمَالِهِ أَمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وَعِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ**» وفي إسناده ضعف[(١)]. إنه لأمرٌ عظيمٌ من أهوال يوم القيامة.

نسأل الله ﷻ أن يلطف بنا وأن يجعل أعمالنا صالحة متقبلة.

ما يوزن يوم القيامة:

وذكر العلماء أيضًا أن الميزان:

- تُوزَن به أعمال العباد،
- وربما وُزِنَ به العاملُ أيضًا أي: صاحب العمل.
- وربما وزنت صحائف العمل أيضًا،

وعلى ذلك دلّت الأدلة، فالأدلة تدل على أن الأعمال هي التي توزن من خير أو من شر كما في الحديث السابق: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ...**» الحديث، وكما في قول النبي ﷺ: «**اقْرَؤوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَؤوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ؛ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ**

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٥) من طريق الحسن عن عائشة وهو لم يسمع منها وانظر: ضعيف الترغيب والترهيب (٢١٠٨).

أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا...» [(١)]. فهذا الحديث المبارك يدل على أنه يؤتى بالقرآن والعمل على هذه الهيئة، فيكون في ميزان العبد مثقلًا له عند الله ﷻ. وتقدم معنا أن الخُلُق الحَسَنَ أثقلُ ما يكون في الميزان.

كذلك قال أهل العلم أيضًا: **قد يوزن العامل نفسه،**

وقد جاء في ذلك أحاديث منها: حديث أبي هريرة المتقدم: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ثم قرأ:** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ۝١٠٥﴾ [الكهف]» [(٢)].

وكذلك جاء في مناقب ابن مسعود ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مِمَّ تَضْحَكُونَ؟**» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**» [(٣)].

رفعه الله بعمله الصالح وهو مع ضعف بنيته وجسده قوي القلب كبير العلم جليل القدر ﷺ وأرضاه. وقد قال الشاعر:

تَرى الرَجُلَ النَحيـــفَ فَتَزدَريهِ ... وَفي أَثـــوابِهِ أَسَـــدٌ مـــــزيرُ
وَيُعجِبُكَ الطَريرُ فَـــتَـــبتَليـــهِ ... فَيُخلِفُ ظَنَّكَ الرَجُلُ الطَريرُ [(٤)]

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٤) من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٢٨)، ومسلم (٢٧٨٥).

(٣) أخرجه أحمد (٣٩٩١) عن ابن مسعود ﷺ. بسند حسن. ورواه أحمد (٩٢٠) والبخاري في الأدب المفرد (٢٣٧) من حديث علي ﷺ. ورواه البزار (٣٣٠٥) والحاكم (٥٣٨٥) من حديث قرة بن إياس ﷺ. وانظر: إرواء الغليل (٦٥) والسلسلة الصحيحة (٢٧٥٠)

(٤) البيتان للعبّاس بن مرداس في ديوانه (ص: ٥٧،٥٨). والمزير: هو الرجل القوي، والطرير: ذو الهيئة [«مقاييس اللغة» (٣/ ٤٠٩، ٥/ ٣١٩)]

وعَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ عُمَرَ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ نحيفٌ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**كُنَيْفٌ**(١) **مُلِئَ عِلْمًا؟ كُنَيْفٌ مُلِئَ عِلْمًا**» - يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ ﷺ -.(٢)

حديث البطاقة:

والتوحيد والإخلاص هو أعظم ما تثقل به الموازين. ومن مواقف الميزان العظيمة ما أخبرنا عنه النبي ﷺ في قصة الرجل الذي عُرِفَ عند العلماء بـ"قصة صاحب البطاقة" في حديث عبد الله بن عمرو ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ؟! فَقَالَ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ. قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ**»(٣).

---

(١) قال الجوهري في الصحاح (مادة كنف): "الكِنْف بالكسر: وعاء تكون فيه أداة الراعي، وبتصغيره جاء الحديث: كُنَيْفٌ مُلِئَ علمًا" .ا.هـ والتصغير هنا يراد به المدح والتعظيم.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (١٥٥٠) وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٣٤٤، ٣/ ٦٥) وابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٤٣٦) والحاكم في المستدرك (٥٣٩١) -وعنه البيهقي في المدخل (١٠٠)-. وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ١٢٩) وفي معرفة الصحابة (٤٤٩٣). ورواه عبد الرزاق الصنعاني في المصنف (١٨١٨٧) -ومن طريقه الطبراني في المعجم الكبير للطبراني (٩/ ٣٤٩) رقم(٩٧٣٥) من طريق قتادة عن عمر وهذا منقطع فقتادة لم يدركهما. وأخرجه محمد بن الحسن الشيباني (٦٠٧) في زوائده على موطأ مالك الخبر أخبرنا أبو حنيفة، عن حماد، عن إبراهيم وذكر قصة عن عمر. وله طرق أخرى.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩) وابن ماجه (٤٣٠٠) وصححه ابن حبان (٢٢٥) والحاكم (٩، ١٩٣٧) وقال في الموضع الأول: على شرط مسلم ووافقه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٥) وقال في الموضع الثاني صحيح الإسناد ا.هـ وهو الصواب فإن الحديث ليس على شرط مسلم فهو من رواية الليث بن سعد قال =

وهذا الحديث حديث عظيم، وفيه فوائد:

منها: إثبات الميزان.

ومنها: أن الميزان له كفتان.

ومنها: أن الأعمال توزن.

ومنها بيان طريقة الوزن وأن معنى ثقلت موازينه أي: نزلت،

فمن ثقلت موازينه يكون ناجيًا عند الله ﷻ.

وقال بعض أهل العلم: ثقل الموازين يعني أن ينار له نور وأن يرى نورًا، ولكن ليس على هذا دليل.

فضل من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه:

كذلك بَيّنَ العلماء أن هذا الرجل صاحب البطاقة لم يقل: "لا إله إلا الله" هكذا مجردة، وإنما هو رجل امتلأ قلبه إيمانًا وتوحيدًا، وامتلأ قلبُه إفرادًا لله ﷻ بالعبادة، فهذا الذي نجا به. قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وليس كلُّ من تكلم بالشهادتين كان بهذه المنزلة؛ لأن هذا العبد صاحبَ البطاقة كان في قلبه من التوحيد واليقين والإخلاص ما أَوْجَبَ أن عَظُمَ قَدْرُه حتى صار راجحًا على هذه السيئات"(١).

إن الله لا يظلم مثقال ذرة:

وتأمل قوله: «**إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ**» فإنّ هذا من الحكم العظيمة في نصب الله ﷻ الموازين ليقيم الحجة على العباد ويرى الإنسان محاسبته لنفسه بنفسه. قال ﷻ: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء]

حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الحُبُلِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو فذكره. ورجاله رجال مسلم لكنه لم يرو بهذه السياقة في صحيحه شيء. وعامر ليس له في صحيح مسلم إلا حديث واحد يرويه عن حنش الصنعاني كما في تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٤/ ٨٥).

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ٢٢٤).

وقال تعالى: ﴿ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف]

فاحرصوا على الأعمال الصالحات التي تكون سببًا في نجاتكم يوم القيامة.

وإذا عَمِلْتَ أيها المسلم عملًا صالحًا، فَأَخْلِصِ العملَ فيه لله، وليَكُنْ وَفْقَ سنة رسول الله ﷺ؛ فإن العمل لا يقبله الله ﷻ إلا أن يكون خالصًا صوابًا.

فإذا وفّقك الله ﷻ إليه، فاحرص على المحافظة عليه، وابتعد عن الغيبة وعن النميمة وعن ظلم العباد، وكل ما هو سببٌ لِفَقْدِ الحسنات.

واحرصوا رحمكم الله على الأخلاق الحسنة؛ والمعاملة الطيبة والكلمة الطيبة، فإنّها أثقل شيء يوضع في ميزان العبد يوم القيامة.

وهي أمور يستطيع كُلُّ إنسان أن يحرص عليها ويستطيع كُلُّ إنسان أن يتخلّق بها، ولا ينبغي للإنسان أن يقول: أنا تطبّعت على هذا ولا أستطيع أن أغيِّرَ من أخلاقي ومن طبعي!، كلّا، **فالقرآن يُهذِّب الأخلاق**، وقد كان الواحد من الصحابة رضي الله عنهم إذا أسلم خَلَعَ لباس الجاهلية على عتبة باب الإسلام، وتخلّق بأخلاق هذا الدين، فيلبس لباس التقوى، ويرتدي رداء الإيمان، ويتجلبب بجلباب الخير، فيظهر ذلك على أخلاقه وعلى عمله وعلى أفعاله.

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع ما عُرِفَ عنه من الأمور قبل الإسلام حتى قال بعض الصحابة – وهو عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ رضي الله عنه- يوماً لزوجته وكانت قالت لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، لَوْ رَأَيْتَ عُمَرَ آنِفًا وَرِقَّتَهُ وَحُزْنَهُ عَلَيْنَا. قَالَ: أَطَمِعْتِ فِي إِسْلَامِهِ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَلَا يُسْلِمُ الَّذِي رَأَيْتِ حَتَّى يُسْلِمَ حِمَارُ الْخَطَّابِ، قال ذلك: يَأْسًا مِنْهُ، لِمَا كَانَ يَرَى مِنْ غِلْظَتِهِ وَقَسْوَتِهِ عَنْ الْإِسْلَامِ.[1].

---

(١) حسن، رواه ابن إسحاق في السيرة (٢٢٢) -ومن طريقه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (٣٧١)، والطبراني في المعجم الكبير للطبراني (٢٥/ ٢٩) رقم (٤٧) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٧٨٣٢)، والحاكم (٦٨٩٥) -. من حديث أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ بِنْتِ أَبِي حَثْمَةَ رضي الله عنها وانظر صحيح السيرة للألباني (١٨٩)

ومع هذا فإنه لمّا أسلم صار عبدًا خاشعًا أوّاهًا منيبًا بكّاءً بين يدي الله ﷻ، وقّافا عند حدوده. كما في صحيح البخاري عن ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ ...وذكر أن قوما أغضبوا عُمَر ﷺ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِم، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ بن قيس: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾ [الأعراف]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ، قال: «**وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ**»[(١)]

وبذا صار أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ وصديقها أبي بكر ﷺ.

فيستطيع المؤمن أن يحرص على الانتفاع بكلام الله وبسنة رسول الله ﷺ ويربي نفسه ويهذب أخلاقه عليهما.

يقول ابن القيم رحمه الله:

وقد أشار النبي ﷺ إلى أن كمال ما يُستمتع به من الطيبات في الآخرة بحسب كمال ما قابله من الأعمال في الدنيا،

ثم قال: ... وثِقَلُ مِيزَانِهِ هُنَاكَ بِحَسَبِ تَحَمُّلِهِ ثِقَلَ الْحَقِّ فِي هَذِهِ الدَّارِ لَا بِحَسَبِ مُجَرَّدِ كَثْرَةِ الْأَعْمَالِ،

وَإِنَّمَا يَثْقُلُ الْمِيزَانُ بِاتِّبَاعِ الْحَقِّ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ وَبَذْلِهِ إِذَا سُئِلَ، وَأَخْذِهِ إِذَا بَذَلَ كَمَا قَالَ الصِّدِّيقُ فِي وَصِيَّتِهِ لِعُمَرَ ﷺ:

(وَاعْلَمْ أَنَّ لِلَّهِ حَقًّا بِاللَّيْلِ لَا يَقْبَلُهُ بِالنَّهَارِ وَلَهُ حَقٌّ بِالنَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ بِاللَّيْلِ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِنَّمَا ثَقُلَتْ مَوَازِينُ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ بِاتِّبَاعِهِمُ الْحَقَّ وَثَقُلَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا

وَحُقَّ لِمِيزَانٍ يُوضَعُ فِيهِ الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا،

---

(١) صحيح البخاري (٤٦٤٢)

وَإِنَّمَا خَفَّتْ مَوَازِينُ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ فِي دَارِ الدُّنْيَا خِفَّتُهُ عَلَيْهِمْ وَحُقَّ لِمِيزَانٍ لَا يُوضَعُ فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلُ أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا) [(١)].ا.هـ[(٢)]

أسأل الله ﷻ أن يجعلنا ممن ثقلت موازينُه

وأن يجعلنا من الناجين في يوم القيامة.

إنه وليُّ ذلك والقادر عليه، والله تعالى أعلم

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(١) أخرجه سعيد بن منصور (٩٤٢ - التفسير) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٦) عن عبد الرحمن بن سابط، وابن المبارك في "الزهد" (٩١٤) وابن أبي شيبة (٣٥٥٧٤، ٣٨٢١١) وأبو داود في الزهد (٢٩) والخلال في السنة (٣٤٥) عن زُبيد اليامي، والربعي في الوصايا (ص ٣٤ - ٣٥) عن قتادة، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠/ ٤١٤) عن ابن أبي نجيح. وهذه الروايات ــ وإن كانت مراسيل ــ فإنها يعضد بعضها بعضًا، وتجعل للوصية أصلًا. وقد قال ابن القيم: تلقَّاها عمر بالقبول هو وسائر الصَّحابة ﭫ ا.هـ«مدارج السالكين» (١/ ٥٧٩ ط عطاءات العلم).

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٨٥)

الإيمان بالحشر

المجلس الثالث والثلاثون [١]

حشر الله ﷻ للعباد وتوجيههم إلى مآلهم إلى جنة أو إلى نار:

المستقَرُّ للإنسان يوم القيامة هو إما جنة وإما نار، فهو المقر الذي يصير إليه العباد جميعا.

فالناس في عرصات القيامة بعد الحساب والجزاء وبعد أن توزن الموازين وتتطاير الصحف، منهم آخذٌ كتابَه بيمينه وآخذٌ كتابَه بشماله.

يكون أيضًا من المواقف العظيمة موقف يجمع الله ﷻ فيه الأوّلين والآخرين، ويجمع الله ﷻ فيه الناس، ويجتمع المؤمنون والكافرون والمنافقون في صعيد واحد كما أخبر النبي ﷺ ثم يُؤمَرُ بهم، كُلٌّ إلى حيث كتب الله ﷻ له، وذلك بأعمالهم التي عملوها إن خيرًا فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌّ.

وقد جاء بيانُ ذلك عن النبي ﷺ في جملة من الأحاديث:

فمن ذلك حديث أبي سعيد الخدري، وحديث عبد الله بن عمرو، وحديث جابر بن عبد الله، وحديث جرير بن عبد الله البجلي وغير واحد رضي الله عنهم.

ونورد ما تيسّر من هذه الأحاديث؛ لننظر كيف سيكون الموقف بعد أن توزن الأعمال وتتطاير الصحف.

رؤية المؤمنين ربهم وحشر العباد إلى الصراط:

جاء في صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال ﷺ: «**هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ**

---

(١) كان في يوم الخميس التاسع عشر من شهر شوال من عام ١٤٤١هـ.

سَحَابٌ ؟ قالوا: لا يا رسول الله[١]؟-قال: فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ قالوا: لا. قال: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ[٢]، يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الْقَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. فَيَدْعُوهُمْ فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ...» الحديث[٣]

فأفادنا هذا الحديث: أن مما يقع من الأمور العظيمة في عرصات القيامة: أنّ أهل الإيمان يرون ربهم ﷻ قبل أن يجوزوا الصراط.

يوم يكشف عن ساق:

ويكون ذلك على الصفة والعلامة التي بينهم وبين ربهم ﷻ وهي أن ﴿ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ [القلم: ٤٢] كما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ» قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟». قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. فَلاَ يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ إِلاَّ يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرَ أَهْلِ الْكِتَابِ فَيُدْعَى الْيَهُودُ فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟

---

(١) يعني أخبروني عن القمر إذا كان بدرًا وليس دونه سحاب هل هناك مرية وشك في رؤيته.

(٢) -يعني سترون ربكم رؤيةً حقٍّ وسيكون ذلك يوم القيامة -نسأل الله أن يرزقنا لذة النظر إلى وجهه-، وهذه الرؤية قبل دخول الجنة، وهم ما زالوا في عرصات القيامة، كما في تمام الحديث.

(٣) أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ. فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا. فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلاَ تَرِدُونَ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ. ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ. فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ. مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ. فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا. -قَالَ-: فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلاَ تَرِدُونَ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﷻ فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا. قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. قَالُوا: يَا رَبَّنَا فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ لاَ نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا-مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا-حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ. فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلاَّ أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالسُّجُودِ وَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلاَّ جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ. ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ...»[1].

هذا موقف عظيم من مواقف القيامة وأهوالها! ومجمع يجمع الله ﷻ فيه الخلائق ثم يبدأ الله ﷻ بفصل بعضهم عن بعض وينادى: من كان يعبد إلهًا فليذهب معه.

تنبيه في تفسير كلمة التوحيد "لا إله إلا الله":

كم الآلهة المتعددة؟ الناس في هذه الدنيا يعبدون آلهةً متعددة. ولهذا قال ربنا ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج]. ولهذا يقول العلماء في تفسير كلمة التوحيد كلمة "لا إله إلا الله"

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

يقولون: **معناها لا معبود بحق إلا الله**، وغيرُ الله إن عُبِدَ فإنما يعبد بباطل. هذا معنى هذه الكلمة، وليس معناها أنه لا معبود إلا الله، بل لا معبود بحق إلا الله؛ فلا بد من هذه الكلمة -أعني كلمة "بحق"؛ لأنّ هناك آلهةً عُبِدَت بباطل من دون الله ﷻ، فليس هناك إله حق إلا الله ﷻ لأنه الخالق الرزاق مالك الملك المدبر، فلا يستحق العبادة أحدٌ سواه ﷻ.

أمّا الآلهة المتعدِّدة التي انتشرت عند الناس: فمنهم من يعبد الأنبياء، ومنهم من يعبد الشمس، ومنهم من يعبد القمر، ومنهم من يعبد القبور والأضرحة، ومنهم من يعبد البقر، أو الحجر أو الشجر أو غير ذلك من الآلهة. فإذا جاء يوم القيامة يزاد في التنكيل بهم، ويحشرون مع آلهتهم التي عبدوها من دون الله ﷻ، هذا إذا كانت هذه الآلهة من هذه الأوثان وغيرها.

من عُبِدَ من الأنبياء والصالحين:

أما عبادتهم للأنبياء وعبادتهم للمرسلين وعبادتهم للصالحين ونحوهم ممن هو غير راضٍ عن عبادتهم إيّاه فإن الله ﷻ ينجيهم. كما في مسند الإمام أحمد عَنْ أَبِي يَحْيَى، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: قَالَ: ... إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِقُرَيْشٍ: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِيهِ خَيْرٌ**» وَقَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ النَّصَارَى تَعْبُدُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عليه السلام، (وَمَا تَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ)[1]، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ عِيسَى كَانَ نَبِيًّا وَعَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ صَالِحًا، فَلَئِنْ كُنْتَ صَادِقًا، فَإِنَّ آلِهَتَهُمْ لَكَمَا تَقُولُونَ. قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ * وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٥٧] قَالَ:

---

(١) قال الشيخ أحمد البنا في الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (١٨/ ٢٦٦): أي وما تقول النصارى في محمد من عدم تصديقهم بنبوته ا.هـ وقال العلامة أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٣/ ٢٨٤): قوله «وما تقول في محمد» هكذا هو في الأصلين وابن كثير، وفي الزوائد «وما يقول محمد»، ولعله أصح، أو يكون في الكلام نقص ا.هـ

قُلْتُ: مَا يَصِدُّونَ؟ قَالَ: يَضِجُّونَ، ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ [الزخرف: ٦١]، قَالَ: هُوَ خُرُوجُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.(١)

وفي رواية عَنْ أَبِي يَحْيَى، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الأنبياء] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ وَقَالُوا: شَتَمَ مُحَمَّدٌ آلِهَتَنَا فَقَامَ ابْنُ الزِّبَعْرَى فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: شَتَمَ مُحَمَّدٌ آلِهَتَنَا قَالَ: وَمَا قَالَ؟ قَالُوا: قَالَ: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ قَالَ: ادْعُوهُ لِي، فَدُعِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ فَقَالَ ابْنُ الزِّبَعْرَى: يَا مُحَمَّدُ هَذَا شَيْءٌ لِآلِهَتِنَا خَاصَّةً أَمْ لِكُلِّ مَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ؟ قَالَ: «**بَلْ لِكُلِّ مَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ» قَالَ: فَقَالَ: خَصَمْنَاهُ وَرَبِّ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ، يَا مُحَمَّدُ أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ عِيسَى عَبْدٌ صَالِحٌ وَعُزَيْرًا عَبْدٌ صَالِحٌ، وَالْمَلَائِكَةَ عِبَادٌ صَالِحُونَ، قَالَ: «**بَلَى**»، قَالَ: فَهَذِهِ النَّصَارَى يَعْبُدُونَ عِيسَى وَهَذِهِ الْيَهُودُ تَعْبُدُ عُزَيْرًا وَهَذِهِ بَنُو مَلِيحٍ تَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، قَالَ: فَضَجَّ أَهْلُ مَكَّةَ فَنَزَلَتْ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ عِيسَى وَعُزَيْرٌ وَالْمَلَائِكَةُ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأنبياء] قَالَ: وَنَزَلَتْ: ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الزخرف] وَهُوَ الضَّجِيجُ(٢).

وفي رواية عن الْحَكَمِ بْنِ أَبَانَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: " جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزِّبَعْرَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، تَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾

---

(١) أخرجه أحمد (٢٩١٨) من طريق شيبان، عن عاصم، عن أبي رزين، عن أبي يحيى، مولى ابن عقيل الأنصاري، به فذكره. وروى الحاكم في المستدرك (٣٠٠٣) آخره وصححه. وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٢٠٨)

(٢) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٩٨٦) من طريق أبي بكر بن عياش، عن عاصم، به ومن هذا الطريق رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٥٣) رقم (١٢٧٣٩) وسقط من سنده "أبو يحيى". والصواب إثباتها فقد رواه الواحدي في أسباب النزول (٣٠٦) من الطريق التي رواها الطبراني بإثباتها

[الأنبياء]، فَقَدْ عُبِدَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالْمَلَائِكَةُ وَعُزَيْرٌ وَعِيسَى صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ، أَوَكُلُّ هَؤُلَاءِ فِي النَّارِ مَعَ آلِهَتِنَا؟، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠١] وَنَزَلَتْ: ﴿ * وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٥٧] (١)

قال الحافظ عماد الدين إسماعيل ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَهَذَا الجدل الذى سلكوه بَاطِل. وهم يعلمُونَ ذَلِك، لأنهم قوم عرب، وَمن لغتهم أَن "مَا" لما لَا يعقل، فَقَوله ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ إِنَّمَا أُرِيدَ بِذَلِكَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُ مِنَ الْأَحْجَارِ الَّتِي كَانَتْ صُوَرَ أَصْنَامٍ، وَلَا يَتَنَاوَلُ ذَلِك الْمَلَائِكَة الَّذين زَعَمُوا أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَهُمْ فِي هَذِهِ الصُّوَرِ، وَلَا الْمَسِيح، وَلَا عَزِيزًا، وَلَا أَحَدًا مِنَ الصَّالِحِينَ، لِأَنَّ اللَّفْظَ لَا يَتَنَاوَلُهُمْ لَا لَفْظًا وَلَا مَعْنًى. فَهُمْ يَعْلَمُونَ أَن مَا ضربوه بِعِيسَى بن مَرْيَمَ مِنَ الْمَثَلِ جَدَلٌ بَاطِلٌ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الزخرف] ا.هـ (٢)

مقالة اليهود والنصارى في ادعائهم لله ولدا:

وفي حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره بيانٌ عظيم بأن هناك فرقًا كبيرًا بين أهل الإيمان من أمة محمد ﷺ وبين اليهود والنصارى عبدة الأوثان؛ فإنهم عبدوا غير الله وادّعَوا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اتخذ صاحبة أو ولدًا. **وبعضُ الناس** في هذه الأيام يريد أن يُميِّع الأمر، ويقول: ليس بيننا وبين اليهود والنصارى فرق البتة، فهم أهل دين ونحن أهل دين وهم أصحاب كتاب ونحن أصحاب كتاب ونحن من أبناء الديانات السماوية. وكلها أقاويل باطلة. وقد راجت على بعض الناس في الدنيا لكنها لا تروج يوم القيامة. فانظروا حين ينادي منادٍ

---

(١) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٩٨٨) وحسنه شيخنا الوادعي في الصحيح المسند من أسباب النزول (١٣٧). ورواه الحاكم (٣٤٤٩) من طريق يزيد النحوي عن عكرمة به وصححه. وفي سنده محمد بن موسى بن حاتم وهو ضعيف كما في لسان الميزان (٥٤٠/٧)

(٢) السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٥٣-٥٤)

«لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ»، فيذهبُ أصحابُ الصليب مع صليبهم، وأصحابُ الأوثان مع أوثانهم، وأصحابُ كل آلهة مع آلهتهم، فيتساقطون في نار جهنم. -نعوذ بالله-

مآل المنافقين:

ويبقى المؤمنون ومن كان يتظاهر بالإيمان أيضًا من المنافقين، فيميز الله ﷻ أيضًا في هذه الأمة بين المؤمن الصادق الذي عَبَدَ الله سبحانه خالصًا وبين المنافق الذي كان يصلي ويصوم ويحج ويتصدق وهو مع المؤمنين ظاهرا لكنه لم يكن عمله لله ﷻ خالصًا. **يقول جابر بن عبد الله** رضي الله عنهما -وقد سئل عن الورود- قال: «**نَجِيءُ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا انْظُرْ أَيْ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ، فَتُدْعَى الأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الأَوَّلَ فَالأَوَّلُ ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ مَنْ تَنْظُرُونَ؟** -أي: من تنتظرون؟- **فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ. فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ** -قَالَ- **فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ** -مُنَافِقٍ أَوْ مُؤْمِنٍ- **نُورًا ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ وَحَسَكٌ تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يَطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لاَ يُحَاسَبُونَ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَإِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ ثُمَّ كَذَلِكَ ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً ...**» إلى آخر الحديث [1]. -والحديث له حكم الرفع-. وهكذا فإنَّ نور المنافق ينطفئ يوم القيامة، وقد ذكر الله ﷻ هذا النور في كتابه في سورة الحديد وفي سورة التحريم: يقول الله ﷻ: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ۝١١ يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٢ ﴾ [الحديد]. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى مخبرًا عن المؤمنين المتصدقين: أنهم يوم القيامة يسعى نورهم بين أيديهم في عرصات القيامة، بحسب أعمالهم، كما قال عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ [الحديد: ١٢] قال: على قدر أعمالهم يمرون على الصراط، منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة،

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٩).

ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نورًا من نوره في إبهامه يتّقد مرة ويطفأ مرة"[(١)]. قال: وأما أهل النفاق فإن الله ﷻ يقول: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ [الحديد: ١٣] ماذا يحصل لهم في هذا الموقف ؟

قال ابن كثير رحمه الله: "وهذا إخبار منه تعالى عما يقع يوم القيامة في العرصات من الأهوال المزعجة والزلازل العظيمة، والأمور الفظيعة، وإنه لا ينجو يومئذ إلا من آمن بالله ورسوله وعمل بما أمر الله به وترك ما عنه زجر"[(٢)].

كلٌ نوره يوم القيامة بحسب عمله في دنياه :

وانظروا إلى هذا الموقف العصيب الذي يحتاج فيه الإنسان إلى العمل الصالح، هذا الموقف الذي يتميز فيه الكفار من المؤمنين ومن المنافقين، ويغدو كلٌّ إلى مصيره ومآله الذي كتب الله ﷻ: فذلة ومهانة تلحق الكافرين، وتلحق هؤلاء المجرمين، وذلة ومهانة تكون على رؤوس المنافقين، وسعادةٌ وفرحةٌ تكون لأهل الإيمان.

حال الكافر يوم القيامة :

وأما الكافرون في هذا الموقف العظيم -كما ذكرنا في الأدلة السابقة-: فيؤمر بهم، فيحشرون مع ما كانوا يعبدون. وانظر إلى تصوير القرآن الكريم إذ يقول الله ﷻ: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ ﴾ يساقون إلى جهنم جماعَة تلو جماعَة يُنهَرون نهرًا غليظًا، ويصاح بهم من هنا وهناك كما يفعل الراعي ببقره أو غنمه، يُنهَرون وهم يغدُون إلى نار جهنم. ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ ﴾ [الزمر: ٧١]... الآيات.

ثم انظروا أيضًا إلى قول الله سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [فصلت] يعني: يُجمَعون، فتجمعهم الزبانية على آخرهم كما يفعل البشر بالبهائم!

---

(١) تفسير ابن كثير (١٥/٨).

(٢) المرجع السابق (٥٠/٨).

ويصور الله ﷻ لنا هذا الموقف في آية أخرى: فيقول ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الفرقان] فيحشرون على وجوههم لا كما كانوا يمشون في الدنيا على أرجلهم. وقد جاء في الصحيحين من حديث أنس ﷺ أنه قال: قال رجل للنبي ﷺ: كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «**أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1] -بلى وعزةِ ربنا-. فهذه صورةٌ عظيمةٌ، صورةٌ فيها فزعٌ وخوفٌ، كيف يحشرون على وجوههم التي هي أشرف أعضائهم والتي يحميها الإنسان في الدنيا من كل أذى؟!

ويصور الله ﷻ لنا هولًا آخر مما يكون عند حشر هؤلاء إلى النار: فيقول سبحانه: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [الإسراء].

وفي آية أخرى فيها أن الله ﷻ يجمعهم مع نظرائهم ومع الأشرار: فيحشرون مع أزواجهم، كما قال الله ﷻ: ﴿ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الصافات]. ﴿ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ يعني: ونظراءهم، فكلُّ من كان في شر يُحشَر مع من هو مثلُه. ﴿ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ أي: دلُّوهم على نار جهنم.

-نسأل الله السلامة والعافية-.

ويزيد بلاءَهم أنهم يكونون مغلوبين مقهورين أذلاء صاغرين: كما قال ربنا ﷻ: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ ﴾ [آل عمران]

وقبل أن يصلوا إلى نار جهنم تَصُكُّ مسامَعَهم أصواتُها التي تملأ قلوبهم رعبًا وهلعًا ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الفرقان]

فإذا وقفوا على النار فإنّ الله ﷻ يقول: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنعام]

---

(١) تقدم (ص: ١٣٠).

ولكنهم لا يجدون من النار مفرًّا: ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الكهف]

ويقول ربنا ﷻ: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ ﴾ [مريم]

تأملوا كيف الذلة والمهانة التي تكون لهؤلاء يوم القيامة!

وكيف يقادون إلى نار جنهم بهذه الصورة المذلة المهينة جزاءَ ما عملوا في هذه الدنيا من أعمال سيئة! يقول الله ﷻ: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [مريم] . فهذه آيات صوّر الله ﷻ فيها الحال التي يكون عليها هؤلاء.

حال المنافق يوم القيامة:

أما أهل النفاق الذين يُعطَون نورًا ثم ينطفئ عنهم فإنه تتعدد حسرتهم يوم القيامة، كانوا مع المؤمنين في الدنيا، يُصلُّون معهم، يصومون معهم، يحجون معهم، يتصدقون معهم، وربما أخذوا من الليل، فقاموا، وربما فعلوا وفعلوا، لكن أعمالهم لم تُخلَص لله. كانوا في الدنيا مع المؤمنين ثم ماتوا ودُفِنُوا في مقابر المسلمين ثم يقومون يوم القيامة، مع المسلمين ثم يحشرون، فإذا حُشِروا أُعطِيَ كلُّ إنسانٍ من أهل الإيمان نورًا، ويعطى المنافق نورًا، لكنّ نور المؤمن يبقى ويظل معه، وأما نور المنافق فإنه ينطفئ. وحينئذ ينادي أهلَ الإيمان: ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا ﴾ ولا يزال المنافق مغترًّا حتى يقسم النور ويميز الله بين المنافق وبين المؤمن، فينادي: ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ كنا معكم في الدنيا، فيرد عليهم المؤمنون: ﴿ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا ﴾ يعني من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور، قال الله : ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم

بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴿١٣﴾ [الحديد]. قال أهل التفسير: هو حائط بين الجنة والنار يُحجَز فيه بين أهل النفاق وبين أهل الإيمان(١).

فوالله إن هذا لأمر عظيم يجعل القلب يرجف خوفًا على نفسه من النفاق.

-نسأل الله السلامة والعافية-

خوف المؤمن من النفاق:

وقد كان أصحاب النبي ﷺ والتابعون لهم بإحسان أشدّ ما يكونون خوفًا من النفاق ومن الوقوع فيه.

قال البخاري رحمه الله في صحيحه: وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: «مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلَّا خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذِّبًا»(٢)، وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: «أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ: إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ»(٣). وَيُذْكَرُ عَنِ الْحَسَنِ: «**مَا خَافَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا أَمِنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ**»(٤) ا.هـ(٥).

فهؤلاء في هذا الموقف ينادون أهل الإيمان: أما كنا معكم في الدار الدنيا؟!

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/٤٠٣).

(٢) وصله: ابن سعد في «الطبقات الكبرى ط دار صادر» (٦/ ٢٨٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ١٦٠) رقم (٣٤٩٧٠)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٣٥٣ ت المعلمي)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٠٤، ٥٧٦)، وعبد الله بن أحمد في زوائد «الزهد» (٢٠٧١) وغيرهم.

(٣) وصله البخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ١٣٧ ت المعلمي) والخلال في «السنة » (١٠٨١) من طريق يَحيى بن اليَمانِ، عنْ سُفيانَ، عنِ ابنِ جُريجٍ، عنِ ابنِ أَبي مُليْكَةَ به.

(٤) وصله المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٦٨٧) والفريابي في «صفة النفاق وذم المنافقين» (٨١)، من طريق جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنِ الْمُعَلَّى بْنِ زِيَادٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ، يَحْلِفُ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ: «**مَا مَضَى مُؤْمِنٌ قَطُّ وَلَا بَقِيَ إِلَّا وَهُوَ مِنَ النِّفَاقِ مُشْفِقٌ، وَلَا مَضَى مُنَافِقٌ قَطُّ وَلَا بَقِيَ إِلَّا وَهُوَ مِنَ النِّفَاقِ آمِنٌ**» ورواه الفريابي أيضا (٨٢) والخلال في «السنة» (١٦٥٣) -واللفظ له-، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٠٥٨): من طريق مُؤَمَّلِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ، يَقُولُ: «**وَاللَّهِ، مَا أَصْبَحَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ وَلَا أَمْسَى عَلَى وَجْهِهَا مُؤْمِنٌ، إِلَّا وَهُوَ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَا أَمِنَ النِّفَاقَ إِلَّا مُنَافِقٌ**» ورواه البيهقي في الشعب (٨٣٣) من طريق مؤمل عن حماد بن زيد عن المعلى، ورواه الخلال أيضا (١٦٥٦) من طريق هِشَامٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ، يَقُولُ: «**وَاللَّهِ مَا مَضَى مُؤْمِنٌ وَلَا تَقِيٌّ إِلَّا يَخَافُ النِّفَاقَ، وَمَا أَمِنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ**»

(٥) «صحيح البخاري» (١/ ١٨ ط السلطانية)

أما كنا معكم نشهد الجمعات ونصلي الجماعات ونقف بعرفات ونحضر الغزوات ونؤدي معكم الواجبات؟!

فيقول لهم المؤمنون: بلى قد كنتم معنا: ﴿ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحديد]

قال ابن كثير رحمه الله: "قال بعض السلف: أي فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات ﴿ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ ﴾ أي: أخّرتم التوبة من وقت إلى وقت. وقال قتادة: ﴿ وَتَرَبَّصْتُمْ ﴾ بالحق وأهله ﴿ وَٱرْتَبْتُمْ ﴾ أي: بالبعث بعد الموت ﴿ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ ﴾ أي: قلتم: سيغفر لنا. وقيل: غرتكم الدنيا ﴿ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ أي: ما زلتم في هذا حتى جاء الموت ﴿ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ أي: الشيطان. قال قتادة: كانوا على خدعة من الشيطان، والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار[(١)]. ومعنى هذا الكلام من المؤمنين للمنافقين: إنكم كنتم معنا أي: بأبدانٍ لا نية لها ولا قلوب معها، وإنما كنتم في حيرة وشك، فكنتم تراؤون الناس، ولا تذكرون الله إلا قليلًا. قال مجاهد: كان المنافقون مع المؤمنين أحياء يناكحونهم ويغشونهم ويعاشرونهم، وكانوا معهم أمواتًا، ويعطون النور جميعًا يوم القيامة، ويطفأ النور من المنافقين إذا بلغوا السور، ويماز بينهم حينئذ[(٢)]"[(٣)].

-فنسأل الله السلامة والعافية-

أيها العبد المؤمن، هذا جانب واحد من تلك الجوانب العظيمة التي تقع في يوم القيامة أخبرنا عنها النبي ﷺ وفصّل القرآن شيئًا منها.

نسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يتقبل منا أعمالنا، وأن يعيذنا من الكفر والشرك والشقاق والنفاق وسيئ الأخلاق، ونسأله سبحانه أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله.

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٤٠٦/٢٢).

(٢) المرجع السابق (٤٠٤/٢٢).

(٣) وانظر كلام الحافظ ابن كثير في تفسيره (١٨/٨).

الإيمان
بالحوض المورود

المجلس الرابع والثلاثون [١]

الإيمان بالحوض:

من الإيمان بالغيب ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمانُ بحوض النبي ﷺ حيث يكرم الله عبده ورسوله محمدًا ﷺ في الموقف العظيم بإعطائه حوضًا واسع الأرجاء، ماؤُه أبيضُ من اللبن، وأحلى من العسل، وريحُه أطيبُ من المسك، وكِيزانُه كنجوم السماء يُمَدُّ من نهر الكوثر من الجنة كما أخبر النبيُّ ﷺ.

تواتر أحاديث الحوض:

وقد ورد فيه أحاديثُ كثيرةٌ بلغت مبلغ التواتر كما قال الناظم [٢]:

مما تواترَ حديثُ «مَنْ كَذَبْ» وَ «مَنْ بَنَى للهِ بيتاً واحْتَسَبْ»

و «رؤيةٌ» «شَفَاعَةٌ» و «الْحَوضُ» وَ «مْسُحُ خُفَّيْنِ» وَهذى بَعْضُ

وعدَّها جماعة من العلماء نحو خمسين حديثًا عن رسول الله ﷺ، وقد ذُكِرَت في هذه الأحاديث أوصافُه وما يتعلق بأخباره ونُورِدُ هنا ما تيسّر منها.

ذكر جملة من أحاديث الحوض:

١- عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ تَسْتَعْمِلُنِي كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فُلاَنًا؟ قَالَ: «**سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ**» متفق عليه [٣]

---

(١) كان في يوم الأحد الثاني والعشرين من شهر شوال من عام ١٤٤١هـ.

(٢) البيتان عزاهما الكتاني في نظم المتناثر إلى العلامة محمد التاودي في حاشيته على البخاري (زاد المجد الساري) ترجمه الزركلي في الأعلام (٦/٦٢) وقال: محمد التاودي بن محمد الطَّالِب ابن محمد بن علي، ابن سَوْدَة المُرِّي الفاسي (١١١١- ١٢٠٩) فقيه المالكية في عصره، وشيخ الجماعة بفاس.

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٩٢) ومسلم (١٨٤٥)

٢- وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَمَامَكُمْ حَوْضٌ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ» متفق عليه وفي رواية لمسلم: «إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضِي...» وفي رواية له أيضا ذكره وزاد «...فِيهِ أَبَارِيقُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ وَرَدَهُ فَشَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا» (١)

٣- وعنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، (وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ)، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ [وفي رواية: مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ]، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا» متفق عليه (٢)

٤- وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، [وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الحَوْضُ] وَإِنِّي وَاللهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ، وَإِنِّي، وَاللهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَنَافَسُوا فِيهَا» متفق عليه (٣)

٥- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما، قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي عَلَى الحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي، فَيُقَالُ: هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، وَاللَّهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ» فَكَانَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا، أَوْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا. متفق عليه (٤)

٦- وعَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ عَائِشَةَ رضي الله عنها، تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: وَهُوَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَصْحَابِهِ «إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، فَوَاللهِ لَيُقْتَطَعَنَّ دُونِي رِجَالٌ، فَلَأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، مَا

---

(١) رواه البخاري (٦٥٧٧) ومسلم (٢٢٩٩).

(٢) رواه البخاري (٦٥٧٩) ومسلم (٢٢٩٢) واللفظ له والرواية للبخاري وقوله (زواياه سواء) زيادة لمسلم.

(٣) رواه البخاري (١٣٤٤، ٤٠٤٢) -والزيادة له-، ومسلم (٢٢٩٦).

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٩٣، ٧٠٤٨) ومسلم (٢٢٩٢)

زَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ» رواه مسلم[١]

٧- وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ﵂، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا قَالَتْ: كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَذْكُرُونَ الْحَوْضَ، وَلَمْ أَسْمَعْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمًا مِنْ ذَلِكَ، وَالْجَارِيَةُ تَمْشُطُنِي، فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «أَيُّهَا النَّاسُ» فَقُلْتُ لِلْجَارِيَةِ: اسْتَأْخِرِي عَنِّي، قَالَتْ: إِنَّمَا دَعَا الرِّجَالَ وَلَمْ يَدْعُ النِّسَاءَ، فَقُلْتُ: إِنِّي مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَكُمْ فَرَطٌ عَلَى الْحَوْضِ، فَإِيَّايَ لَا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ فَيُذَبُّ عَنِّي كَمَا يُذَبُّ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، فَأَقُولُ: فِيمَ هَذَا؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا» رواه مسلم[٢]

٨- وَلمسلم عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﵁، قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ: عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ كَالْمُوَدِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنَّ عَرْضَهُ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى الْجُحْفَةِ، ...» الحديث قَالَ عُقْبَةُ: فَكَانَتْ آخِرَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ[٣].

٩- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ اليَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ» متفق عليه، وفي رواية لمسلم: «تُرَى فِيهِ أَبَارِيقُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ» ولمسلم وابن ماجه «مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ، وَالْمَدِينَةِ، أَوْ كَمَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ، وَعَمَّانَ»[٤]

١٠- ولأحمد من طريق علي بن زيد عن الحسن عن أنس مرفوعا: «إِنَّ مَا بَيْنَ طَرَفَيْهِ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى مَكَّةَ - أَوْ ما بَيْنَ صَنْعَاءَ وَمَكَّةَ -»[٥]

١١- وعَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﵁، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ رِجَالٌ مِمَّنْ صَاحَبَنِي، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُهُمْ وَرُفِعُوا إِلَيَّ اخْتُلِجُوا دُونِي،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٩٤)

(٢) المرجع السابق (٢٢٩٥)

(٣) رواه مسلم (٢٢٩٦) وهو بنحوه -مع قول عقبة-عند البخاري (٤٠٤٢) وليس فيه تحديد المسافة.

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٨٠)، ومسلم (٢٣٠٣) وابن ماجه (٤٣٠٤)

(٥) مسند أحمد (١٣٤٠٥) وسنده ضعيف لضعف علي بن زيد

فَلَأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ أُصَيْحَابِي، أُصَيْحَابِي، فَلَيُقَالَنَّ لِي: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ» متفق عليه(١)

١٢- وعَنِ النَّضْرِ بْنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَقَالَ: «أَنَا فَاعِلٌ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ قَالَ: «اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ». قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: «فَاطْلُبْنِي عِنْدَ المِيزَانِ». قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ المِيزَانِ؟ قَالَ: «فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الحَوْضِ فَإِنِّي لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ المَوَاطِنَ» أخرجه الترمذي(٢)

١٣- وعَنْ مَعْدَانَ بنِ أَبِيْ طَلْحَةَ عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ». فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ فَقَالَ: «مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ» [أو قال: مَا بَيْنَ بُصْرَى وَصَنْعَاءَ أَوْ مَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَمَكَّةَ] وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ» رواه مسلم(٣)

١٤- وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَ طَرَفَيْهِ كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَأَيْلَةَ، كَأَنَّ الْأَبَارِيقَ فِيهِ النُّجُومُ» رواه مسلم(٤)

١٥- وَعَنْ جُنْدَبَ بنِ عَبد اللهِ بنِ سُفْيَانَ البَجَلِيِّ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ» متفق عليه(٥)

١٦- وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، [وَ] لَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ، حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُ لِأُنَاوِلَهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّ

(١) أخرجه البخاري (٦٥٨٢) ومسلم (٢٣٠٤)
(٢) تقدم في أحاديث الحوض (ص: ٢٣٧)
(٣) صحيح مسلم (٢٣٠١) وعبد الرزاق (٢٠٨٥٣) – وعنه أحمد (١٠٦/٣٧)- والزيادة منه.
(٤) رواه مسلم (٢٣٠٥) وفي (١٨٢٢) مختصرا
(٥) رواه البخاري (٦٥٨٩) ومسلم (٢٢٨٩).

أَصْحَابِي، [فَـ] يَقُولُ: [إِنَّكَ] لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ» متفق عليه [١]

١٧- وَعَنْ حَارِثَةَ بْنَ وَهْبٍ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَذَكَرَ الحَوْضَ فَقَالَ: «كَمَا بَيْنَ المَدِينَةِ وَصَنْعَاءَ» متفق عليه [٢]

١٨- زاد مسلم -وهو في البخاري تعليقا-: فَقَالَ لَهُ المُسْتَوْرِدُ: أَلَمْ تَسْمَعْهُ قَالَ: الأَوَانِي؟ قَالَ: لاَ، قَالَ المُسْتَوْرِدُ: «تُرَى فِيهِ الآنِيَةُ مِثْلَ الكَوَاكِبِ» [٣] وفي رواية للبزار: قال المستورد: لَكِنِّي سَمِعْتُهُ يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «تَرَى فِيهِ الْآنِيَةَ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ» [٤]

١٩- وعَنْ أَبِيْ حَازِمٍ -سلمةَ بنِ دينارٍ- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ»

٢٠- قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَسَمِعَنِي النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ ﷺ، فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتَ مِنْ سَهْلٍ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ وأرضاه، لَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَزِيدُ فِيهَا: « فَأَقُولُ إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي» متفق عليه [٥]

٢١- وَعَنْ حُذَيْفَةَ بنِ اليَمَانِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ حَوْضِي لَأَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، [لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ، وَلَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٤٩) واللفظ له، ومسلم (٢٢٩٧). والزيادة من رواية للبخاري رقم (٦٥٧٦)

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٩١)، ومسلم (٢٢٩٨).

(٣) علقه البخاري (٦٥٩٢) بصيغة الجزم، ووصله مسلم (٢٢٩٨).

(٤) علقه البخاري (٦٥٩٢) بصيغة الجزم، ووصله مسلم (٢٢٩٨) والبزار (٣٤٦٥) كلاهما عن مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ بَزِيعٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ مَعْبَدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ حَارِثَةَ، ...-فذكر الحديث- فَقَالَ لَهُ الْمُسْتَوْرِدُ: ...إلخ. ورواه زكريا الساجي – كما في المعجم الكبير للطبراني (٣/ ٢٣٧) رقم (٣٢٦٢)- عن ابن بزيغ به بلفظ مسلم المذكور أعلاه. ورواه بكر بن بكار – كما في السنة لابن أبي عاصم (٧٣٠)- عن شعبة به بلفظ مسلم.

(٥) رواه البخاري (٦٥٨٣، ٦٥٨٤، ٧٠٥٠) ومسلم (٢٢٩٠)

اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ] إِنِّي لَأَذُودُ عَنْهُ الرِّجَالَ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ الْإِبِلَ الْغَرِيبَةَ عَنْ حَوْضِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ» رواه مسلم وابن ماجه(١)

٢٢- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ، وَلَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ وَإِنِّي لَأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ، كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا، مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ» رواه مسلم(٢)

٢٣- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أيضا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَرِدُ عَلَيَّ أُمَّتِي الْحَوْضَ، وَأَنَا أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ، كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ إِبِلَ الرَّجُلِ عَنْ إِبِلِهِ» قَالُوا يَا نَبِيَّ اللهِ أَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، وَلَيُصَدَّنَّ عَنِّي طَائِفَةٌ مِنْكُمْ فَلَا يَصِلُونَ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ هَؤُلَاءِ مِنْ أَصْحَابِي. فَيُجِيبُنِي مَلَكٌ، فَيَقُولُ: وَهَلْ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ؟» رواه مسلم (٣)

٢٤- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَرِدُ عَلَيَّ يَوْمَ القِيَامَةِ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِي، فَيُحَلَّئُونَ(٤) عَنِ الحَوْضِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لاَ عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ القَهْقَرَى» علقه البخاري ووصله أبو عوانة في المستخرج.(٥)

---

(١) رواه مسلم (٢٨٤) وابن ماجه (٤٣٠٢) بسند واحد، والزيادة لابن ماجه.

(٢) رواه مسلم (٢٤٧)

(٣) رواه مسلم (٢٤٧) ونحوه في (٢٤٩) وللبخاري (٢٣٦٧) ومسلم (٢٣٠٢) جملة الذود عن الحوض من طريق أخرى. وللبخاري (١٣٦) ومسلم (٢٤٧) من طريق أخرى جملة الوضوء.

(٤) يُحَلَّئُونَ -بفتح الحاء المهملة، وتشديد اللام، بعدها همزة مضمومة قبل الواو- أي: يطردون ويمنعون. انظر: فتح الباري (١١/ ٤٧٤).

(٥) رواه البخاري (٦٥٨٥) معلقا، فقال: وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ شَبِيبِ بْنِ سَعِيدٍ الحَبَطِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ يُونُسَ، عَنْ =

٢٥- وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عُمَانَ[1] إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ**» رواه مسلم[2]

٢٦- وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ﷺ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَقَالَ: «**مَا أَنْتُمْ جُزْءٌ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ جُزْءٍ مِمَّنْ يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ**» قَالَ: قُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: سَبْعُ مِائَةٍ أَوْ ثَمَانِ مِائَةٍ. رواه أبو داود[3]

ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ به. ووصله يعقوب بن شيبة في مسند عمر بن الخطاب (ص: ٨٥) وأبو عوانة في المستخرج ط الجامعة الإسلامية (١٠١٦٤) -ومن طريقه الحافظ في تغليق التعليق (٥/ ١٨٧)-. وخولف فيه شبيب، فرواه ابن وهب عن يونس عَنِ **ابْنِ شِهَابٍ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ، أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ، عَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ** ...فذكره. رواه البخاري (٦٥٨٦) وقال الدارقطني كما في التتبع (ص١٢٣): قد خالف يونس جماعة منهم معمر، رواه عن الزهري عن رجل عن أبي هريرة ولو كان عن ابن المسيب لم يكن عنه الزهري ولصرح به. والله أعلم. ورواه شعيب وعقيل عن الزهري قال: كان أبو هريرة يحدث مرسلاً...قال: ولم يتابع يونس على سعيد. وقال الدارقطني: وقال عبد الله بن سالم عن الزبيدي عن الزهري عن أبي جعفر محمد بن علي عن عبيد الله ابن أبي رافع عن أبي هريرة ا.هـقلت: وطريق ابن أبي رافع رواه البخاري تعليقا عقب رواية ابن وهب المتقدمة. ووصلها يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ (١/ ٣٦٠) وابن أبي عاصم في السنة (٧٦٩/مختصرا) والطبراني في مسند الشاميين (١٧٠٨) وابن عبد البر في التمهيد (٢/ ٢٩٦ ط المغربية) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٨/ ١٠٨)، -ومن طريقه الحافظ في تغليق التعليق (٥/ ١٨٨)-، وانظر العلل للدارقطني (١٣٦٦).

(١) قال الشيخ محمد تقي العثماني في تكملة فتح الملهم (٤٧٧/١٠): ضبطه القاضي عياض بفتح العين، وتشديد الميم، وهي عَمّان البلقاء، عاصمة الأردنّ اليوم، وجزم الحافظ في الفتح بأنه عُمَان بضمّ العين، وتخفيف الميم، وهو البلد المعروف بالخليج اليوم الذي عاصمته مسقَط، وبذلك جزم البكريّ، قال: ويبدو أنه الأصحّ؛ لكون مسافة ما بين أيلة وعَمّان البلقاء قريبةً، بخلاف المسافة بينهما وبين عُمَان مسقط ا.هـ

(٢) رواه مسلم (٢٣٠٠)

(٣) رواه أبو داود (٤٧٤٦) وأحمد (١٩٢٦٨) والحاكم في المستدرك (٢٥٦، ٢٥٧) وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ولكنهما تركاه للخلاف الذي في متنه من العدد والله أعلم ا.هـوصححه شيخنا =

٢٧- وَعَنِ الصُّنَابِحِ الْأَحْمَسِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ فَلَا تَقْتَتِلُنَّ بَعْدِي» رواه ابن ماجه(١)

٢٨- وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ لِي حَوْضًا مَا بَيْنَ الْكَعْبَةِ، وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ أَبْيَضَ، مِثْلَ اللَّبَنِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، وَإِنِّي لَأَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه ابن ماجه(٢)

٢٩- وفي سنن النسائي الكبرى عن عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، قَالَ: سَمِعْتُ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيَّ، قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ، مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ مُخَضْرَمَةٍ فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ يَوْمُكُمْ هَذَا؟» قُلْنَا: يَوْمُ النَّحْرِ، قَالَ: «صَدَّقْتُمْ، يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، أَتَدْرُونَ أَيُّ شَهْرٍ شَهْرُكُمْ هَذَا؟» قُلْنَا: ذُو الْحِجَّةِ، قَالَ: «صَدَّقْتُمْ، شَهْرُ اللهِ الْأَصَمُّ، أَتَدْرُونَ أَيُّ بَلَدٍ بَلَدُكُمْ هَذَا؟» قُلْنَا: الْبَلَدُ الْحَرَامُ، قَالَ: «صَدَّقْتُمْ» ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ، هَذَا أَلَا إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ فَلَا تُسَوِّدُوا وَجْهِي، أَلَا وَقَدْ رَأَيْتُمُونِي وَسَمِعْتُمْ مِنِّي، وَسَتُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ [أَلَا وَإِنِّي مُسْتَنْقِذٌ رِجَالًا أَوْ نَاسًا، وَمُسْتَنْقَذٌ مِنِّي آخَرُونَ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا

الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٦٠٧) وتعقب الحاكم فقال: هو على شرط البخاري فقط؛ لأن طلحة بن يزيد ليس من رجال مسلم وقول الحاكم: "إنهما تركاه للخلاف في متنه من العدد". الأولى أن يقال: تركاه لأنهما لم يلتزما أن يخرجا كل حديث صحيح. وقد ذكرت ذلك في آخر "الإلزامات للدارقطني" معزوًّا إلى الشيخين رَحِمَهُمَا اللَّهُ ا.هـ قلت: وطلحة بن يزيد ذكر الحافظ في التهذيب أن النسائي وثقه ا.هـ وتعقبه الشيخ الأرناؤوط في تحقيق السنن بأنه وهم في ذلك وقال إنه لم يقف على كلام النسائي ا.هـ قلت: وتوثيق النسائي لطلحة هذا موجود في السنن الكبرى عقب حديث ابن مسعود ﷺ في السنن الكبرى (٢٦٨٩) كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «يَصُومُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ غُرَّةِ كُلِّ شَهْرٍ، ...».

(١) رواه ابن ماجه (٣٩٤٤) وإسناده صحيح

(٢) رواه ابن ماجه (٤٣٠١) وابن أبي شيبة (٣١٦٨١) وغيرهما وفي سنده عطية راويه عن أبي سعيد، وهو ضعيف مدلس. والحديث حسنه الشيخ الألباني لشواهده في السلسلة الصحيحة (٣٩٤٩)

تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ]»[١]

٣٠- وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُونِي فَأَنَا عَلَى الْحَوْضِ [وَالْحَوْضُ] مَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى مَكَّةَ، وَسَيَأْتِي [أَقْوَامٌ] رِجَالٌ وَنِسَاءٌ بِآنِيَةٍ وَقِرَبٍ ثُمَّ لَا يَذُوقُونَ مِنْهُ شَيْئًا» رواه أحمد[٢].

٣١- وفي رواية له عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قال: قالَ ﷺ: «أَنَا عَلَى الْحَوْضِ أَنْظُرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ، فَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي، وَمِنْ أُمَّتِي، قَالَ: فَيُقَالُ: وَمَا يُدْرِيكَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، مَا بَرِحُوا بَعْدَكَ يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ» قَالَ جَابِرٌ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْحَوْضُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ - يَعْنِي عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ - وَكِيزَانُهُ مِثْلُ نُجُومِ السَّمَاءِ، وَهُوَ أَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ، وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا»[٣]

٣٢- وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حَوْضِي مَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى صَنْعَاءَ، لَهُ مِيزَابَانِ، إِحْدَاهُمَا مِنْ ذَهَبٍ وَالْآخَرُ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا» رواه الطبراني في الأوسط[٤]

٣٣- وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَارِدُونَ عَلَيَّ الْحَوْضَ، حَوْضٌ أَعْرَضُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَبُصْرَى، فِيهِ عَدَدُ النُّجُومِ

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى (٤٠٨٤) وأحمد (٢٣٤٩٧)ومنه الزيادة وسنده صحيح. ورواه ابن ماجه (٣٠٧٥) -مع الزيادة- من طريق أخرى وسمى الصحابي "عبد الله بن مسعود" وفي سنده زافر بن سليمان، صدوق كثير الأوهام. والحديث أصله عن ابن مسعود في الصحيحين كما تقدم.

(٢) رواه أحمد (١٥١٢٠) والبزار (٢٩٧٥) وابن حبان (٦٤٤٩) بسند صحيح. والسياق لابن حبان والزيادة من مسند البزار والأولى لأحمد أيضا -وجاء عنده موقوف- ولكن له حكم الرفع كما لا يخفى.

(٣) رواه أحمد (١٥١٢١) وسنده صحيح.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣٣٨٤) وفي إسناده سفيان بن وكيع قال الحافظ: كان صدوقا، إلا أنه ابتلى بوراقه، فأدخل عليه ما ليس من حديثه فنصح فلم يقبل فسقط حديثه ا.هوقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ٣٦٧): ... وفيه سفيان بن وكيع، وهو ضعيف ا.هـ

قِدْحانٌ مِنْ فِضَّةٍ، ...»الحديث رواه الطبراني[١]

٣٤- وفي المسند عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «حَوْضِي كَمَا بَيْنَ عَدَنَ وَعَمَّانَ أَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ، أَكْوَابُهُ مِثْلُ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا، أَوَّلُ النَّاسِ عَلَيْهِ وُرُودًا صَعَالِيكُ الْمُهَاجِرِينَ» قَالَ قَائِلٌ: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الشَّعِثَةُ رُءُوسُهُمْ، الشَّحِبَةُ وُجُوهُهُمْ، الدَّنِسَةُ ثِيَابُهُمْ، لَا يُفْتَحُ لَهُمُ السُّدَدُ، وَلَا يَنْكِحُونَ الْمُتَنَعِّمَاتِ الَّذِينَ يُعْطُونَ كُلَّ الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَلَا يَأْخُذُونَ الَّذِي لَهُمْ»[٢]

٣٥- وَعَنْ أَبِي بَرْزَةَ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى صَنْعَاءَ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، عَرْضُهُ كَطُولِهِ، فِيهَا مِزْرَابَانِ يَنْثَعِبَانِ مِنَ الْجَنَّةِ مِنْ وَرِقٍ وَذَهَبٍ، أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ [وَأَلْيَنُ مِنَ الزُّبْدِ]، فِيهِ أَبَارِيقُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ [تَنْزُو فِي أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ -يَعْنِي الْآنِيَةَ-] [مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ]» رواه أحمد وابن حبان والحاكم[٣]

٣٦- وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ وَعَدَنِي أَنْ يُدْخِلَ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ» . فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْأَخْنَسِ السُّلَمِيُّ ﷺ وَاللَّهِ مَا أُولَئِكَ فِي أُمَّتِكَ إِلَّا كَالذُّبَابِ الْأَصْهَبِ فِي الدِّبَّانِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِنَّ رَبِّي قَدْ وَعَدَنِي سَبْعِينَ أَلْفًا مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَزَادَنِي ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ» . قَالَ: فَمَا سِعَةُ حَوْضِكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: «كَمَا بَيْنَ عَدَنَ إِلَى عَمَّانَ وَأَوْسَعَ وَأَوْسَعَ» . يُشِيرُ بِيَدِهِ. قَالَ: «فِيهِ

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٦٧)رقم (٢٦٨٣) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٦٥):... وفيه زيد بن الحسن الأنماطي، قال أبو حاتم: منكر الحديث، ووثقه ابن حبان، وبقية رجال أحد الإسنادين ثقات ا.هـ وانظر: السلسلة الضعيفة (٤٩٦١)

(٢) رواه أحمد (٦١٦٢) وفي إسناده الْمُخَارِقُ بْنُ أَبِي الْمُخَارِقِ، مجهول. ويشهد للحديث حديث ثوبان الآتي. ولذا حسنه الألباني في ظلال الجنة (٢/ ٣٣٧)

(٣) رواه ابن حبان (٦٥٤٨) والسياق له وأحمد (١٩٨٠٤) وليس عنده (عرضه كطوله) وله الزيادة الأخيرة والبزار (٣٨٤٩) وله الزيادتان الأخيرتان. والحاكم في المستدرك (٢٥٥) وعنده الزيادات الثلاث. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٢١)

مَثْعَبَانِ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ» . قَالَ: فَمَا حَوْضُكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَاءٌ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مَذَاقَةً مِنَ الْعَسَلِ وَأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنَ الْمِسْكِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا، وَلَمْ يَسْوَدَّ وَجْهُهُ أَبَدًا» رواه أحمد وابن حبان(١)

٣٧- وَعَنْ عُتْبَةَ بْنَ عَبْدٍ السُّلَمِيَّ ﷺ قالَ: قَامَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا حَوْضُكَ الَّذِي تُحَدِّثُ عَنْهُ؟ فَقَالَ: «هُوَ كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ(٢) إِلَى بُصْرَى، ثُمَّ يُمِدُّنِي اللَّهُ فِيهِ بِكُرَاعٍ لَا يَدْرِي بَشَرٌ مِمَّنْ خُلِقَ أَيُّ طَرَفَيْهِ»، قَالَ: فَكَبَّرَ عُمَرُ، فَقَالَ ﷺ: «أَمَّا الْحَوْضُ فَيَزْدَحِمُ عَلَيْهِ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ(٣) فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَمُوتُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ يُورِدَنِيَ اللَّهُ الْكُرَاعَ فَأَشْرَبَ مِنْهُ» رواه ابن حبان(٤)

٣٨- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، فَمَنْ وَرَدَ أَفْلَحَ، وَيُؤْتَى بِأَقْوَامٍ، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّ، فَيُقَالُ: مَا زَالُوا بَعْدَكَ يَرْتَدُّونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ» رواه أحمد(٥)

---

(١) رواه أحمد (٢٢١٥٦) واللفظ له وابن حبان مفرقا (٦٤٥٧، ٧٢٤٦).

(٢) في رواية غير ابن حبان «كَمَا بَيْنَ الْبَيْضَاءِ إِلَى بُصْرَى».

(٣) في رواية الطبراني «يُقَاتِلُونَ».

(٤) رواه ابن حبان (٦٤٥٠) واللفظ له؛ ورواه بقي بن مخلد (١٥) في جزئه وابن أبي عاصم في السنة (٧١٥) والطبراني في المعجمين الكبير (١٧/ ٣١٢/١٢٦) والأوسط (٤٠٢) ومسند الشاميين (٢٨٦٠) والبيهقي في البعث والنشور (٢٧٤). ورواه أحمد (١٧٦٤٢) مختصرا من طريق أخرى.

(٥) رواه أحمد (٢٣٢٧) -وابنه عبد الله في زوائده على المسند- وأبو خيثمة في التاريخ (١٨١) وابن أبي عاصم في السنة (٧٧٣) وحسنه الألباني لغيره في السلسلة الصحيحة (٣٠٨٧) وفي صحيح الترغيب والترهيب (٣٤٤٢).

ذكر قصة سؤال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله أبا سلام رحمه الله عن حديث الحوض:

٣٩- قال الإمام الترمذي رحمه الله حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ[١] قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ صَالِحٍ[٢] قَالَ: روى مُحَمَّدُ بْنُ المُهَاجِرِ[٣]، عَنْ العَبَّاسِ بْنِ سَالِمٍ اللَّخْمِيِّ[٤]، عَنْ[٥] أَبِي سَلَّامٍ الحَبَشِيِّ[٦]، قَالَ: بَعَثَ إِلَيَّ **عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ** فَحُمِلْتُ عَلَى البَرِيدِ، قَالَ: فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ [سَلَّمَ وَ] قَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ لَقَدْ شَقَّ عَلَيَّ مَرْكَبِي البَرِيدُ، [وَقَدْ أَشْفَقْتُ عَلَى رِجْلَيَّ] [وَكَانَتْ قَدْ أُصِيبَتْ رِجْلُهُ]، فَقَالَ [عُمَرُ كَالْمُتَوَجِّعِ]: يَا أَبَا سَلَّامٍ مَا أَرَدْتُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ وَلَكِنْ بَلَغَنِي عَنْكَ حَدِيثٌ تُحَدِّثُهُ، عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الحَوْضِ فَأَحْبَبْتُ أَنْ تُشَافِهَنِي بِهِ، قَالَ أَبُو سَلَّامٍ، حَدَّثَنِي ثَوْبَانُ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، أنه قَالَ:

---

(١) هو: الإمام البخاري صاحب الصحيح.

(٢) هو: يحي بن صالح الوحاظي، أبو زكريا، ويقال أبو صالح، الشامي الدمشقي، ويقال الحمصي. ثقة روى له الجماعة إلا النسائي

(٣) ثقة روى له الجماعة إلا البخاري فروى له في الأدب المفرد.

(٤) العباس بن سالم: وثقه العجلي وأبو داود السجستاني كما في التهذيب (٢١٢/١٤) وقال البزار ليس به بأس؛ وجاء توثيقه من الراوي عنه أو من دونه في سند بقي بن مخلد. وذكره ابن حبان في الثقات (٢٧٦/٧) وذكره البخاري في التاريخ الكبير (٧/٧) وقال سمع أبا إدريس ثم ترجم له مرة أخرى فقال عباس بن سلام بن أبي سلام الحبشي الشامي أخو معاوية عن جده أبي سلام وقال روى عنه محمد بن مهاجر ا.هوتعقبه الحافظ ابن عساكر في تاريخه (٢٦/ ٢٦٥) فقال: وهو وهم وهذا هو العباس بن سالم الذي تقدم ذكره ولا أعرف لمعاوية أخا إلا زيد بن سلام والله أعلم ا.هوترجم له ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١١٧٣) وقال: روى عن أبي سلام الأسود صاحب أبي أمامة وثوبان ا.هولم يذكرا فيه جرحا ولا تعديلا..

(٥) في سند ابن ماجه عن الْعَبَّاسِ بْنِ سَالِمٍ الدِّمَشْقِيُّ قال: **نُبِّئْتُ** عَنْ أَبِي سَلَّامٍ الْحَبَشِيِّ ...فذكره. قلت ولعله تصحيف فالحديث رواه بقي بن مخلد – كما في كتاب الحوض والكوثر (١٩)- عن شيخ ابن ماجه فقال نا مَحْمُودُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَ: نا مَرْوَانُ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ، قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ مُهَاجِرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ سَالِمٍ - **دِمَشْقِيٌّ ثَبْتٌ**-، عَنْ أَبِي سَلَّامٍ الْحَبَشِيِّ، ...فذكره.

(٦) هو ممطور الأسود الحبشي ويقال النوبي ويقال الباهلي، أبو سلام الدمشقي الأعرج، ثقة روى له الجماعة إلا البخاري فروى له في الأدب المفرد.

«[إِنَّ] حَوْضِي مِنْ عَدَنَ [أَبْيَنَ] [١] إِلَى عَمَّانَ البَلْقَاءِ[٢]، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ، وَأَكْوَابُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا، أَوَّلُ النَّاسِ وُرُودًا عَلَيْهِ فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ» [فَقَامَ عُمَرُ [بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ] فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ فَقَالَ ﷺ: «هُمُ] [٣] الشُّعْثُ رُءُوسًا، الدُّنْسُ ثِيَابًا الَّذِينَ لَا يَنْكِحُونَ المُتَنَعِّمَاتِ وَلَا تُفْتَحُ لَهُمُ أَبْوَابُ السُّدَدِ»

قَالَ [فَبَكَى عُمَرُ بن عبد العزيز حَتَّى اخْضَلَّتْ لِحْيَتُهُ] [٤] وقال: لَكِنِّي نَكَحْتُ المُتَنَعِّمَاتِ، وَفُتِحَ لِيَ السُّدَدُ، وَنَكَحْتُ فَاطِمَةَ بِنْتَ عَبْدِ المَلِكِ لَا جَرَمَ أَنِّي لَا أَغْسِلُ رَأْسِي حَتَّى يَشْعَثَ، وَلَا أَغْسِلُ ثَوْبِي الَّذِي يَلِي جَسَدِي حَتَّى يَتَّسِخَ.[٥]

---

(١) هذه الزيادة -والتي قبلها- من رواية الطيالسي. وهذه عند البيهقي في الشعب أيضا.

(٢) وفي رواية مروان عند ابن ماجه وغيره: «مَا بَيْنَ عَدَنَ إِلَى أَيْلَةَ»

(٣) هذه الزيادة من رواية الطيالسي. والباغندي والبيهقي في الشعب.

(٤) من رواية مروان عند ابن ماجه.

(٥) الحديث مداره على محمد بن المهاجر عن العباس عن أبي سلام وهو مروي من طرق:

١- رواه الترمذي (٢٤٤٤) وأبو زرعة الدمشقي في تاريخه (ص: ٣٧٤) – ومن طريقه تمام في فوائده (٥٧٣) وابن منده في معرفة الصحابة (ص: ٣٦٠)- من طريق يحيى بن صالح؛

٢- وابن ماجه في سننه (٤٣٠٣) وبقي بن مخلد في الحوض والكوثر (١٩) وحرب الكرماني في مسائله، ت فايز حابس (٣/ ١٠٨٥) من طريق مروان بن محمد؛

٣- وأحمد بن حنبل في مسنده (٣٧/ ٥٠) رقم (٢٢٣٦٧) وأبو داود الطيالسي في مسنده (١٠٨٨) –ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٠٠٣)- والباغندي في مسند عمر بن عبد العزيز (٦٣) -ومن طريقه ابن عساكر في التاريخ (٢٦/ ٢٥٠)- وابن أبي الدنيا في الأولياء (٧) وفي التواضع والخمول (٣)؛ وإبراهيم الحربي في غريب الحديث (٢/ ٨١٥) -مختصرا- والبيهقي في البعث والنشور (١٣٦) وابن عساكر في التاريخ (٦٠/ ٢٦٤) من طرق عن أبي عتبة إسماعيل بن عياش-؛

٤- والروياني في المسند (٦٥٣) والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٧٣٧٤) – وعنه وعن غيره البيهقي في البعث والنشور (١٣٥)- من طريق عبد الله بن يوسف التنيسي،

٥- والبزار في المسند (٤١٦٧) والطبراني في المعجم الأوسط (٣٩٦) ومسند الشاميين (١٤١١) والأوائل (١٩)

=

وتمام في الفوائد (٥٧٤) – مع القصة لكن جعلها في آخره- من طريق أبي توبة الربيع بن نافع -بذكر المرفوع فقط دون القصة لكن ذكرها تمَّام في آخر الحديث-

٦- وأبو عروبة الحراني في الأوائل -المرفوع فقط مختصرا- (٩٩) -ومن طريقه ابن عساكر في التاريخ (٢٦/ ٢٤٩)- قال حدثنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار؛

○ كلهم (يحي بن صالح ومروان بن محمد وإسماعيل بن عياش، ومحمد بن يوسف والربيع وعمرو بن عثمان) قالوا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُهَاجِرِ، به.

○ والزيادات الأولى والرابعة للحاكم والثانية للبيهقي والثالثة لتمام والباقي من مسند أحمد والطيالسي.

○ قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ» وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الحَدِيثُ عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، " وَأَبُو سَلَّامٍ الحَبَشِيُّ اسْمُهُ: مَمْطُورٌ وَهُوَ شَامِيٌّ ثِقَةٌ ا.هـ وهو المتقدم برقم (١٣)

○ وقال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن رسول الله ﷺ بوجه من الوجوه متصلا بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه عن ثوبان وإسناده حسن محمد بن مهاجر ثقة والعباس بن سالم ليس به بأس، وأبو سلام مشهور.

○ وقال الحاكم هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ "

○ وقال الطبراني: لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ سَالِمٍ إِلَّا مُحَمَّدُ بْنُ مُهَاجِرٍ ا.هـ

٧- قلت: بل توبع: فالحديث رواه الباغندي في مسند عمر بن عبد العزيز (٦٥) -ومن طريقه ابن عساكر في التاريخ (٤٥/٢١٦)- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْفَرَجِ، ثنا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُهَاجِرِ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ سَالِمٍ، به. لكن في إسناده أحمد بن الفرج متكلم فيه وهو صالح في الشواهد والمتابعات.

٨- والحديث في العلل لابن أبي حاتم (٢١٢٨) قال: وسألتُ أَبِي عَنْ حديثٍ رواه مُصْعَب بن سَلاَّمٍ، عن عبد الله بن العلاء ابن زَبْرٍ، عَنْ أَبِي سَلاَّم، عَنْ أبي أُمامةَ، عن النبيِّ ﷺ ؛ في الحَوْضِ ؟ قَالَ أَبُو زُرْعَةَ: هَكَذَا رَوَاهُ مُصْعَب؛ وإنما هو: عَنْ أَبِي سَلاَّم، عَنْ ثَوْبَانَ، عن النبيِّ ﷺ. وقال أَبِي: لا أعرفُهُ من حديث عبد الله بْن العلاء بْن زَبْر، ولكنْ رَوَاهُ يَحْيَى بْن الحارثِ، وشَيْبةُ بْن الأَحْنَفِ، وشَدَّاد أَبُو محمد، وعباس بن سالم، كُلُّهم عَنْ أَبِي سَلاَّم، عَنْ ثَوْبانَ، عَنِ النبيِّ ﷺ ؛ في الحوض، وهو الصَّحيح.

٩- وقد توبع العباس اللخمي؛ رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤٥٩) وفي السنة (٧٠٦، ٧٤٩) حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، قنا صَدَقَةُ بْنُ خَالِدٍ، نا زَيْدُ بْنُ وَاقِدٍ، حَدَّثَنِي بُسْرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، ثنا أَبُو سَلَّامٍ الْأَسْوَدُ، به -بدون القصة-.

○ وخولف ابن أبي عاصم فقد رواه الطبراني في مسند الشاميين (١٢٠٦) حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقي وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١٤١٤) من طريق الحسن بن سفيان كلاهما (ابنا المعلى وسفيان) قالا: ثنا هِشَامُ =

ما ورد في إنكار عبيد الله بن زياد للحوض والرد عليه:

٤٠- عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ زِيَادًا، أَوِ ابْنَ زِيَادٍ، ذُكِرَ عِنْدَهُ الْحَوْضُ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَنَسًا، فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَأَسُوءَنَّهُ غَدًا. فَقَالَ: مَا أَنْكَرْتُمْ مِنَ الْحَوْضِ؟ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، **وَلَقَدْ أَدْرَكْتُ عَجَائِزَ بِالْمَدِينَةِ لَا يُصَلِّينَ صَلَاةً إِلَّا سَأَلْنَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُورِدَهُنَّ حَوْضَ مُحَمَّدٍ** ﷺ. رواه ابن أبي شيبة وأبو يعلى وابن أبي

بْنُ عَمَّارٍ، ثنا صَدَقَةُ، ثنا زَيْدُ بْنُ وَاقِدٍ، ثنا أَبُو سَلَّامٍ الْأَسْوَدُ، به -فأسقطا من سنده بسر بن عبيد الله-.

○ ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٤٣٧/٩٩/٢) وفي مسند الشاميين (١٢٠٦) عن أبي مسهر عبد الأعلى بن مسهر ثنا صَدَقَةُ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَاقِدٍ، عَنْ أَبِي سَلَّامٍ الْأَسْوَدِ به.

١٠- ورواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤٦٠) وفي السنة (٧٠٧، ٧٤٧) وفي الأوائل (١٨٦) والباغندي في مسند عمر بن عبد العزيز (٦٤) من طريق سُوَيْدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، ثنا أَبُو مُحَمَّدٍ شَدَّادٌ الضَّرِيرُ، عَنْ أَبِي سَلَّامٍ، قَالَ: بَعَثَ إِلَيَّ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَدِمْتُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ قَالَ لِي: ادْنُهْ ادْنُهْ حَتَّى كَادَتْ رُكْبَتِي تَلْزَقُ بِرُكْبَتِهِ قَالَ: حَدِّثْنِي حَدِيثَ ثَوْبَانَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَوْضِ. قُلْتُ: سَمِعْتُ ثَوْبَانَ ﷺ، فذكره.

١١- ورواه الطبراني في مسند الشاميين (٩٠٤، ١٦٢٥) وابن المقرئ في المعجم (١٠٣٤) والآجري في الشريعة (٨٢٤، ١١١٨) من طريقين عن الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، ثَنَا يَحْيَى بْنُ الْحَارِثِ الذِّمَارِيُّ، وَشَيْبَةُ بْنُ الْأَحْنَفِ، قَالَا: سَمِعْنَا أَبَا سَلَّامٍ الْأَسْوَدَ، يُحَدِّثُ عَنْ ثَوْبَانَ، فذكره -أي المرفوع- مختصرا. ورواه الدولابي في الكنى والأسماء (١٥٥٧) من طريق مُسْلِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ أَبَا سَلَّامٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ثَوْبَانُ، فذكره. ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٤٤٣/١٠٠/٢) وعنه أبو نعيم في معرفة الصحابة (١٤١٥، ١٤١٦) ثنا حفص بن عمر بن الصباح، ثنا عبد الله بن جعفر الرقي، ثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ رَاشِدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ ثَوْبَانَ، به مختصرا -المرفوع-

○ ورواه أبو نعيم أيضا (١٤١٦) حدثنا أبو عمرو بن حمدان قال: ثنا الحسن بن سفيان، ثنا عمرو الناقد، ثنا عمرو بن عثمان -وهو ضعيف-، عن عبيد الله به.

○ وخالفهم أبو حاتم الرازي في سنده فقد رواه ابن أبي عاصم في السنة (٧١٠) قال حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ -وهو الرازي أبو حاتم-، ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ، ثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ رَاشِدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، **عَنْ بَعْضِ مَنْ حَدَّثَهُ**، عَنْ ثَوْبَانَ، به

○ ورجح أبو حاتم -كما في علل الحديث (٢١٦٠) لابنه- هذا الوجه وقال: أظنُّ أَنَّهُ أَبُو سَلاَّمٍ الحَبَشِيُّ؛ لأنَّ هَذَا الحديثَ لَمْ يَرْوِهِ عَنْ ثَوْبان إلا أَبُو سَلاَّمٍ عَلَى هَذَا اللَّفْظِ؛ فأَظُنُّ أَنَّهُ هُوَ ا.هـ

عاصم[١]

٤١- وقالَ حُمَيْدٌ، عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: "دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ، وَهُمْ يَتَذَاكَرُونَ الْحَوْضَ، فَلَمَّا رَأَوْنِي اطَّلَعْتُ عَلَيْهِمْ، قَالُوا: قَدْ جَاءَكُمْ أَنَسٌ، فَقَالُوا: يَا أَنَسُ مَا تَقُولُ فِي الْحَوْضِ؟ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ مَا شَعَرْتُ أَنِّي أَعِيشُ حَتَّى أَرَى أَمْثَالَكُمْ تَشُكُّونَ فِي الْحَوْضِ، لَقَدْ تَرَكْتُ عَجَائِزَ بِالْمَدِينَةِ مَا تُصَلِّي وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ إِلَّا سَأَلَتْ رَبَّهَا أَنْ يُورِدَهَا حَوْضَ مُحَمَّدٍ ﷺ رواه الحاكم[٢]

٤٢- وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ حَيَّانَ: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ فِي مَجْلِسِهِ، قَالَ: بَعَثَ إِلَيَّ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ، فَأَتَيْتُهُ فَقَالَ: مَا أَحَادِيثُ تُحَدِّثُهَا وَتَرْوِيهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا نَجِدُهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ؟ تُحَدِّثُ أَنَّ لَهُ حَوْضًا فِي الْجَنَّةِ قَالَ: قَدْ حَدَّثَنَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَوَعَدَنَاهُ. قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ شَيْخٌ قَدْ خَرِفْتَ. قَالَ: إِنِّي قَدْ سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ، وَوَعَاهُ قَلْبِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ جَهَنَّمَ**» وَمَا كَذَبْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.[٣]

٤٣- وقال أبو داود: حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ أَبُو طَالُوتَ، قَالَ: شَهِدْتُ أَبَا بَرْزَةَ ﷺ دَخَلَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، فَحَدَّثَنِي فُلَانٌ - سَمَّاهُ مُسْلِمٌ وَكَانَ فِي السِّمَاطِ - فَلَمَّا رَآهُ عُبَيْدُ اللَّهِ قَالَ: إِنَّ مُحَمَّدِيَّكُمْ هَذَا الدَّحْدَاحُ، فَفَهِمَهَا الشَّيْخُ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنِّي أَبْقَى فِي قَوْمٍ يُعَيِّرُونِي بِصُحْبَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ: إِنَّ صُحْبَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَكَ زَيْنٌ غَيْرُ شَيْنٍ، قَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُ إِلَيْكَ لِأَسْأَلَكَ عَنِ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٢٩٨٨٩) وأبو يعلى (٣٣٥٥) وابن أبي عاصم في السنة (٦٩٨) واللفظ له، والبيهقي في البعث والنشور (١٥٧)، وقال الشيخ الألباني في ظلال الجنة: إسناده صحيح على شرط مسلم ا.هورواه أحمد (١٣٤٠٥) من طريق علي بن زيد بن جدعان عن أنس وعنه عن الحسن عن أنس.

(٢) رواه الحسين المروزي في زوائد الزهد (١٦٠٩) -ومن طريقه الآجري في الشريعة (٨٣٨)- والحاكم في المستدرك (٢٦٠) والبيهقي في البعث والنشور (١٥٨)، وقال الشيخ الألباني في ظلال الجنة: (٢/ ٣٢١): إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات ا.هـ

(٣) رواه أحمد (١٩٢٦٦) والحاكم في المستدرك (٢٥٨) وإسناد أحمد صحيح على شرط مسلم.

الْحَوْضِ، سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ فِيهِ شَيْئًا؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَرْزَةَ: نَعَمْ «**لَا مَرَّةً، وَلَا ثِنْتَيْنِ، وَلَا ثَلَاثًا، وَلَا أَرْبَعًا، وَلَا خَمْسًا، فَمَنْ كَذَّبَ بِهِ فَلَا سَقَاهُ اللَّهُ مِنْهُ، ثُمَّ خَرَجَ مُغْضَبًا**»(١)

٤٤- ولأحمد في المسند بسند صحيح عَنْ أَبِي سَبْرَةَ، قَالَ: كَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ يَسْأَلُ عَنِ الْحَوْضِ، حَوْضِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَكَانَ يُكَذِّبُ بِهِ، بَعْدَمَا سَأَلَ أَبَا بَرْزَةَ وَالْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ وعَائِذَ بْنَ عَمْرٍو وَرَجُلًا آخَرَ، وَكَانَ يُكَذِّبُ بِهِ، فَقَالَ أَبُو سَبْرَةَ: أَنَا أُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ فِيهِ شِفَاءُ هَذَا، إِنَّ أَبَاكَ بَعَثَ مَعِي بِمَالٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَلَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رضي الله عنهما فَحَدَّثَنِي مِمَّا سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَمْلَى عَلَيَّ، فَكَتَبْتُ بِيَدِي، فَلَمْ أَزِدْ حَرْفًا، وَلَمْ أَنْقُصْ حَرْفًا، حَدَّثَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**أَلَا إِنَّ مَوْعِدَكُمْ حَوْضِي، عَرْضُهُ وَطُولُهُ وَاحِدٌ، وَهُوَ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَمَكَّةَ**(٢)**، وَهُوَ مَسِيرَةُ شَهْرٍ، فِيهِ مِثْلُ النُّجُومِ أَبَارِيقُ، شَرَابُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الْفِضَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ مَشْرَبًا، لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا**» فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: مَا سَمِعْتُ فِي الْحَوْضِ حَدِيثًا أَثْبَتَ مِنْ هَذَا فَصَدَّقَ بِهِ، وَأَخَذَ الصَّحِيفَةَ فَحَبَسَهَا عِنْدَهُ(٣).

ذكر سَعَةُ الحوض:

في أحاديث الحوض المتقدمة بيان سَعَةِ حوضِه ﷺ. **وفي الجمع بين الروايات المتعددة وتفسيرها يقول الحافظ ابن حجر** رحمه الله:

١- وَقَعَ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ [في الصحيحين] «**كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ**»

وَ"**أَيْلَةُ**" مَدِينَةٌ كَانَتْ عَامِرَةً وَهِيَ بِطَرَفِ بَحْرِ الْقُلْزُمِ مِنْ طَرَفِ الشَّامِ وَهِيَ الْآنَ خَرَابٌ يَمُرُّ بِهَا الْحَاجُّ مِنْ مِصْرَ فَتَكُونُ شَمَالِيَّهُمْ وَيَمُرُّ بِهَا الْحَاجُّ مِنْ غَزَّةَ وَغَيْرِهَا فَتَكُونُ أَمَامَهُمْ وَيَجْلِبُونَ إِلَيْهَا الْمِيرَةَ مِنَ الْكُرْكِ وَالشَّوْبَكِ وَغَيْرِهِمَا يَتَلَقَّوْنَ بِهَا الْحَاجَّ ذَهَابًا وَإِيَابًا وَإِلَيْهَا تُنْسَبُ الْعَقَبَةُ الْمَشْهُورَةُ عِنْدَ الْمِصْرِيِّينَ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ نَحْوَ الشَّهْرِ

---

(١) سنن أبي داود (٤٧٤٩).

(٢) وفي رواية لأحمد (٤٥٨/١١) «كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى مَكَّةَ - أَوْ قَالَ: صَنْعَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ»

(٣) رواه الإمام أحمد (٦٥١٤) وأبو سبرة راويه عن عبد الله بن عمرو مجهول.-كما في لسان الميزان ت أبي غدة (٣٣٣٤)- وحديثه يصلح في الشواهد.

بِسَيْرِ الْأَثْقَالِ إِنِ اقْتَصَرُوا كُلَّ يَوْمٍ عَلَى مَرْحَلَةٍ وَإِلَّا فَدُونَ ذَلِكَ وَهِيَ مِنْ مِصْرَ عَلَى أَكْثَرِ مِنَ النِّصْفِ مِنْ ذَلِكَ ...

وَأَمَّا "صَنْعَاءُ" فَإِنَّمَا قُيِّدَتْ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ بِالْيَمَنِ احْتِرَازًا مِنْ صَنْعَاءَ الَّتِي بِالشَّامِ ...

٢- وَوَقَعَ فِي حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ [في مسلم] أَيْضًا «كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَأَيْلَةَ»

٣- وَفِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ [في مسلم] مِثْلُهُ لَكِنْ قَالَ «عَدَنَ» بَدَلَ «صَنْعَاءَ»

٤- وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ [في مسلم] «أَبْعَدَ مِنْ أَيْلَةَ إِلَى عَدَنَ»

وَ "عَدَنُ" بِفَتْحَتَيْنِ بَلَدٌ مَشْهُورٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فِي أَوَاخِرِ سَوَاحِلِ الْيَمَنِ وَأَوَائِلِ سَوَاحِلِ الْهِنْدِ وَهِيَ تُسَامِتُ صَنْعَاءَ وَصَنْعَاءُ فِي جِهَةِ الْجِبَالِ

٥- وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ [في مسلم] «مَا بَيْنَ عُمَانَ إِلَى أَيْلَةَ»

وَ "عُمَانُ" بِضَمِّ الْمُهْمَلَةِ وَتَخْفِيفِ النُّونِ بَلَدٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مِنْ جِهَةِ الْبَحْرَيْنِ[١]

٦- وَفِي حَدِيثِ أَبِي بُرْدَةَ (كذا: وصوابه برزة) عِنْدَ ابن حِبَّانَ «مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مَسِيرَةَ شَهْرٍ»

وَهَذِهِ الرِّوَايَاتُ مُتَقَارِبَةٌ لِأَنَّهَا كُلُّهَا نَحْوَ شَهْرٍ أَوْ تَزِيدُ أَوْ تَنْقُصُ؛

وَوَقَعَ فِي رِوَايَاتٍ أُخْرَى التَّحْدِيدُ **بِمَا هُوَ دُونَ ذَلِكَ**:

٧- فَوَقَعَ فِي حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ عِنْدَ أَحْمَدَ «كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى الْجُحْفَةِ»[٢]

٨- وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ (كذا) «كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ»[٣]

٩- وَفِي حَدِيثِ ثَوْبَانَ [عند الترمذي] «مَا بَيْنَ عَدَنَ وَعَمَّانَ الْبَلْقَاءَ»[٤]

١٠- وَنَحْوُهُ لِابْنِ حِبَّانَ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ.

وَ "عَمَّانُ" هَذِهِ بِفَتْحِ الْمُهْمَلَةِ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ لِلْأَكْثَرِ وَحُكِيَ تَخْفِيفُهَا وَتُنْسَبُ إِلَى الْبَلْقَاءِ لِقُرْبِهَا مِنْهَا

وَ "الْبَلْقَاءُ" بِفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ وَسُكُونِ اللَّامِ بَعْدَهَا قَافٌ وَبِالْمَدِّ بَلْدَةٌ مَعْرُوفَةٌ مِنْ

---

(١) تقدم تعليق الشيخ محمد تقي العثماني عليه

(٢) هو في صحيح مسلم -وليس في المسند- كما تقدم.

(٣) ورد هذا من حديث حارثة في الصحيحين وأنس عند مسلم -كما تقدم-. والذي في حديث جابر بن عبد الله المتقدم: «مَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى مَكَّةَ» وفي حديث جابر بن سمرة «كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَأَيْلَةَ».

(٤) ورد هذا من حديث أبي سلام عن ثوبان المتقدم.

فِلَسْطِينَ.

١١- وَعِنْدَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ فِي حَدِيثِ ثَوْبَانَ «**مَا بَيْنَ بُصْرَى إِلَى صَنْعَاءَ أَوْ مَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى مَكَّةَ**»(١)

وَ "**بُصْرَى**" بِضَمِّ الْمُوَحَّدَةِ وَسُكُونِ الْمُهْمَلَةِ بَلَدٌ مَعْرُوفٌ بِطَرَفِ الشَّامِ مِنْ جِهَةِ الْحِجَازِ ...

١٢- وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عِنْدَ أَحْمَدَ «**بُعْدَ مَا بَيْنَ مَكَّةَ وَأَيْلَةَ**»

١٣- وَفِي لَفْظٍ «**مَا بَيْنَ مَكَّةَ وَعَمَّانَ**»(٢)

١٤- وَفِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ [عند الطبراني] «**مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ إِلَى بُصْرَى**»

١٥- وَمِثْلُهُ لِابْنِ حِبَّانَ فِي حَدِيثِ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدٍ.

١٦- وَفِي رِوَايَةِ الْحَسَنِ عَنْ أَنَسٍ عِنْدَ أَحْمَدَ «**كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ إِلَى أَيْلَةَ أَوْ بَيْنَ صَنْعَاءَ وَمَكَّةَ**»

١٧- وَفِي حَدِيثِ أَبِي سعيد عِنْد ابن أبي شيبَة وابن مَاجَهْ «**مَا بَيْنَ الْكَعْبَةِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ**»

١٨- وَفِي حَدِيثِ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدٍ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ «**كَمَا بَيْنَ الْبَيْضَاءِ إِلَى بُصْرَى**»

وَ "**الْبَيْضَاءُ**" بِالْقُرْبِ مِنَ الرَّبَذَةِ الْبَلَدِ الْمَعْرُوفِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ

وَهَذِهِ الْمَسَافَاتُ مُتَقَارِبَةٌ وَكُلُّهَا تَرْجِعُ إِلَى نَحْوِ نِصْفِ شَهْرٍ أَوْ تَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ قَلِيلًا أَوْ تَنْقُصُ. وَأَقَلُّ مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ:

١٩- مَا وَقَعَ فِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ فِي حَدِيثِ ابن عُمَرَ [عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَمَامَكُمْ حَوْضٌ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ**»] مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ بِشْرٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بِسَنَدِهِ كَمَا تَقَدَّمَ وَزَادَ: قَالَ: قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ فَسَأَلْتُهُ، قَالَ قَرْيَتَانِ بِالشَّامِ بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَنَحْوُهُ لَهُ فِي رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ عَنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ لَكِنْ قَالَ ثَلَاثَ لَيَالٍ.

وَقَدْ جَمَعَ الْعُلَمَاءُ بَيْنَ هَذَا الِاخْتِلَافِ: ... – فذكر أقوال جماعة ثم قال–:

---

(١) ورواه أحمد في مسنده عن عبد الرزاق والحديث في صحيح مسلم أيضا بدون هذه الزيادة كما تقدم

(٢) رواه بهذا اللفظ أبو نعيم الحداد في جامع الصحيحين بحذف المعاد والطرق (١٤١/١) ولفظه: «حَوْضِيْ مَا بَيْنَ مَكَّةَ إِلَى عَمَّانَ زَوَايَاهُ سَوَاءٌ... »

• وَأَجَابَ النَّوَوِيُّ بِأَنَّهُ لَيْسَ فِي ذِكْرِ الْمَسَافَةِ الْقَلِيلَةِ مَا يَدْفَعُ الْمَسَافَةَ الْكَثِيرَةَ فَالْأَكْثَرُ ثَابِتٌ بِالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ فَلَا مُعَارَضَةَ **وَحَاصِلُهُ**: أَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ أَخْبَرَ أَوَّلًا بِالْمَسَافَةِ الْيَسِيرَةِ ثُمَّ أُعْلِمَ بِالْمَسَافَةِ الطَّوِيلَةِ فَأَخْبَرَهُ بِهَا كَأَنَّ اللَّهَ تَفَضَّلَ عَلَيْهِ بِاتِّسَاعِهِ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ فَيَكُونُ الِاعْتِمَادُ عَلَى مَا يَدُلُّ عَلَى أَطْوَلِهَا مَسَافَةً.

• وَتَقَدَّمَ قَوْلُ مَنْ جَمَعَ الِاخْتِلَافَ: بِتَفَاوُتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ،

٢٠- وَرَدَّهُ بِمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو «**زَوَايَاهُ سَوَاءٌ**»

٢١- وَوَقَعَ أَيْضًا فِي حَدِيثِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ وَجَابِرٍ وَأَبِي بَرْزَةَ وَأَبِي ذَرٍّ «**طُولُهُ وَعَرْضُهُ سَوَاءٌ**»(١)

• وَجَمَعَ غَيْرُهُ بَيْنَ الِاخْتِلَافَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ بِاخْتِلَافِ السَّيْرِ الْبَطِيءِ وَهُوَ سَيْرُ الْأَثْقَالِ وَالسَّيْرِ السَّرِيعِ وَهُوَ سَيْرُ الرَّاكِبِ الْمُخِفِّ وَيُحْمَلُ رِوَايَةُ أَقَلِّهَا وَهُوَ الثَّلَاثُ عَلَى سَيْرِ الْبَرِيدِ فَقَدْ عُهِدَ مِنْهُمْ مَنْ قَطَعَ مَسَافَةَ الشَّهْرِ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَلَوْ كَانَ نَادِرًا جِدًّا.

وَفِي هَذَا الْجَوَابِ عَنِ الْمَسَافَةِ الْأَخِيرَةِ نَظَرٌ وَهُوَ فِيمَا قَبْلَهُ مُسَلَّمٌ وَهُوَ أَوْلَى مَا يُجْمَعُ بِهِ.

• وَأَمَّا مَسَافَةُ الثَّلَاثِ [أي الواردة في حديث ابن عمر] فَإِنَّ الْحَافِظَ ضِيَاءَ الدِّينِ الْمَقْدِسِيَّ ذَكَرَ فِي الْجُزْءِ الَّذِي جَمَعَهُ فِي الْحَوْضِ أَنَّ فِي سِيَاقِ لَفْظِهَا غَلَطًا وَذَلِكَ الِاخْتِصَارُ وَقَعَ فِي سِيَاقِهِ مِنْ بَعْضِ رُوَاتِهِ

٢٢- ثُمَّ سَاقَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَخْرَجَهُ مِنْ فَوَائِدِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ الْهَيْثَمِ الدَّيْرَعَاقُولِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا فِي ذِكْرِ الْحَوْضِ فَقَالَ «**فِيهِ عَرْضُهُ مِثْلُ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرَحَ**»(٢)

قَالَ الضِّيَاءُ فَظَهَرَ بِهَذَا أنه وَقع فِي حَدِيث ابن عُمَرَ حَذْفٌ تَقْدِيرُهُ كَمَا بَيْنَ مَقَامِي

---

(١) تقدمت هذه الأحاديث سوى حديث النواس ﷺ، ولم أقف عليه بهذا اللفظ، لكن رواه الحافظ عمر البجيري -كما في الذيل على الحوض والكوثر (ص: ١٥٦) رقم (٨٤) – ومن طريقه الضياء المقدسي في المنتقى من مسموعات مرو (٩٣) ولفظه: « إن حوضي عرضه (وطوله) كما بين أيلة إلى عمان ... » الحديث. وفي سنده محمد بن إسحاق بن إبراهيم روى له ابن ماجه وهو متهم وقال ابن حجر: كذبوه والراوي عنه سليمان وهو الخبائري كذاب كما في الميزان (٢٠٩/٢).

(٢) لم أقف عليه.

وَبَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرَحَ فَسَقَطَ "مَقَامِي وَبَيْنَ"

وَقَالَ الْحَافِظُ صَلَاحُ الدِّينِ الْعَلَائِيُّ :... بَيْنَهُمَا -أي قريتا جرباء وأذرح- غَلْوَةَ سَهْمٍ[١] وَهُمَا مَعْرُوفَتَانِ بَيْنَ الْقُدْسِ وَالْكَرَكِ.

٢٣- قَالَ: وَقَدْ ثَبَتَ الْقَدْرُ الْمَحْذُوفُ عِنْدَ الدَّارَقُطْنِيِّ وَغَيْرِهِ بِلَفْظِ «مَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَجَرْبَاءَ وَأَذْرَحَ»[٢]

٢٤- قُلْتُ: وَهَذَا يُوَافِق رِوَايَة أبي سعيد عِنْد بن مَاجَهْ: «كَمَا بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ» ...

وَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ رَجَعَ جَمِيعُ الْمُخْتَلِفِ إِلَى أَنَّهُ لِاخْتِلَافِ السَّيْرِ البطيء وَالسير السَّرِيع ا.هـ[٣]

الحوض زواياه سواء:

ورد هذا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «زَوَايَاهُ سَوَاءٌ»، وَوَقَعَ أَيْضًا فِي حَدِيثِ جَابِرٍ وَأَبِي بَرْزَةَ وَأَبِي ذَرٍّ «طُولُهُ وَعَرْضُهُ سَوَاءٌ» يعني: فهو مربع الأضلاع.

صفة مائه ورائحته:

في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ».

وفي رواية: «وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ» يعني: من الفضة.

وعند الطبراني في الأوسط عن الْبَرَاءِ رضي الله عنه مرفوعا: « ... أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا»

ولمسلم عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه، قَالَ: «... وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ» وفي المسند عن جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... وَهُوَ أَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ، وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا»

---

(١) غلوة سهم: بفتح الغين المعجمة: غاية بلوغ السهم.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) فتح الباري (٤٧٠/١١).

ولمسلم عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «... وَلَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ»

وله أيضا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «... لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ » الحديث.

وَلَهُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، «... يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، ... مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ».

وَلَهُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ: «... مَنْ وَرَدَهُ فَشَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا».

وفي الصحيحين عنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو «.. وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ [وفي رواية: مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ]، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، ... فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا»

ولأحمد في المسند عَنْهُ: «... شَرَابُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الْفِضَّةِ».

وَعند ابن حبان وأحمد في حديثِ أَبَي بَرْزَةَ ﷺ: «... فِيهَا مِزْرَابَانِ يَنْثَعِبَانِ مِنَ الْجَنَّةِ مِنْ وَرِقٍ وَذَهَبٍ، أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ»

ورواه أحمد وزاد «مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ»

ورواه البزار والحاكم وزادا: « وَأَلْيَنُ مِنَ الزُّبْدِ»

وَلأحمد وابن حبان في حديث أَبِي أُمَامَةَ ﷺ: «مَاءٌ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مَذَاقَةً مِنَ الْعَسَلِ وَأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنَ الْمِسْكِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا، وَلَمْ يَسْوَدَّ وَجْهُهُ أَبَدًا»

وفي الترمذي عن أَبِي سَلَّامٍ، حَدَّثَنِي ثَوْبَانُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: « ...مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ، ... مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا، أَوَّلُ النَّاسِ وُرُودًا عَلَيْهِ فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ»

وفي المسند من حديث ابن عمر: « أَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ». -رزقنا الله بفضله شربة منه لا نظمأ بعدها أبدا-

كيزانُه وأوانيه :

وهذا الحوض المبارك له كيزان وأباريق وأكواب عظيمة وكثيرة. وقد بيَّن النبي ﷺ شيئًا من وصفها فقال ﷺ: كما في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما المتقدم: «**وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا**».

وقوله: «**كَنُجُومِ السَّمَاءِ**» يعني: في الكثرة، وقيل: في اللون فهي تضيء وتلمع كنجوم السماء.

وفي حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: «**وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ**» متفق عليه، وفي رواية لمسلم: «**تُرَى فِيهِ أَبَارِيقُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ**» وعن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما نحوه رواه الطبراني في الأوسط.

وَلِمُسلمٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنهما، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: « **كَأَنَّ الْأَبَارِيقَ فِيهِ النُّجُومُ**».

وفي حَدِيثِ جَابِر بن عبد الله رضي الله عنهما -في المسند-: «**... وَكِيزَانُهُ مِثْلُ نُجُومِ السَّمَاءِ، وَهُوَ أَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ، وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا**»

وَلمسلم -وهو في البخاري تعليقا-: في حديث المُسْتَوْرِدِ رضي الله عنه: «**تُرَى فِيهِ الآنِيَةُ مِثْلَ الكَوَاكِبِ**»

وفي رواية للبزار: «**تَرَى فِيهِ الْآنِيَةَ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ**»

وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**فِيهِ عَدَدُ النُّجُومِ قِدْحانٌ مِنْ فِضَّةٍ، ...**» رواه الطبراني.

وَلابن ماجه عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**... لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ**» وَلهُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: «**... آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ**» وفي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه -عند مسلم-: «**... وَلَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ**»

وفي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، -عند مسلم-: قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، ...** »

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «... **فِيهِ أَبَارِيقُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ**» رواه مسلم.

ولأحمد في المسند عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**... فِيهِ مِثْلُ النُّجُومِ أَبَارِيقُ**».

وَلابن حبان وأحمد والبزار والحاكم عَنْ أَبِي بَرْزَةَ رضي الله عنه، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**... فِيهِ أَبَارِيقُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ**»

ورواه البزار والحاكم وزادا «**تَنْزُو فِي أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ** -يَعْنِي الْآنِيَةَ-...»

الحوض موجود الآن:

يقول النبي ﷺ: «**إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ**» – يعني: إني سابقكم إلى الله جَلَّ وَعَلَا – قال: «**وَإِنِّي لأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا**»(١) وفي رواية: «**وَإِنِّي وَاللَّهِ لأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ**»(٢).

وهذا الخبر منه عليه الصلاة والسلام تصريحٌ بأن الحوض حقيقيٌّ على ظاهره، وأنه مخلوق، موجود اليوم، فيجب الإيمان بما أخبر به نبيُّنا ﷺ.

قال الحافظ رحمه الله: وَقَوْلُهُ «**لأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي**» هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ وَكَأَنَّهُ كُشِفَ لَهُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ ا.هـ(٣)

مكان الحوض:

وأخبر النبي ﷺ عن مكان حوضه فقال: «**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي**» رواه البخاري (٤).

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «**وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي**» يدل على أن حوضه هناك، وموضع المسجد من حوض النبي ﷺ.

وقال أيضا: المسجد من محال الحوض يوم القيامة؛ لأن الحوض طويل طوله مسيرة شهر ا.هـ(٥)

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٤٢) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٢) أخرجها البخاري (١٣٤٤)، ومسلم (٢٢٩٦).

(٣) فتح الباري (٣/ ٢١١) و(١١/ ٤٧٥)

(٤) أخرجه البخاري (١١٩٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) الحلل الإبريزية من التعليقات البازية على صحيح البخاري (١/ ٣٦٠، ١١٥/٢)

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: وهذا يحتمل أنه في هذا المكان، لكن لا نشاهده؛ لأنه غيبي، ويحتمل أن المنبر يوضع يوم القيامة على الحوض ا.هـ[١]

وقال الحافظ رحمه الله: قَوْلُهُ «وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي» أَيْ: يُنْقَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْصَبُ عَلَى الْحَوْضِ؛ وَقَالَ الْأَكْثَرُ الْمُرَادُ مِنْبَرُهُ بِعَيْنِهِ الَّذِي قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ وَهُوَ فَوْقَهُ وَقِيلَ الْمُرَادُ الْمِنْبَرُ الَّذِي يُوضَعُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ ... وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّ قَصْدَ مِنْبَرِهِ وَالْحُضُورَ عِنْدَهُ لِمُلَازَمَةِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ يُورِدُ صَاحِبَهُ إِلَى الْحَوْضِ ويقتضى شربه مِنْهُ ...ا.هـ[٢]

وقوله: "والأول أظهر"، يؤيده ما رواه النسائي عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ قَوَائِمَ مِنْبَرِي هَذَا رَوَاتِبُ فِي الْجَنَّةِ»[٣]

وفي المسند عَنْ سَهْلِ بن سعدٍ رضي الله عنه أَنَّهُ: سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مِنْبَرِي عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الْجَنَّةِ» قَالَ سهلٌ: والتُّرْعَةُ الْبَابُ.[٤]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مِنْبَرِي هَذَا عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الْجَنَّةِ»[٥]

وزاد في رواية: «... وَمَا بَيْنَ مِنْبَرِي وَحُجْرَتِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ»[٦]

أول الناس وروداً على حوضه:

أخبرنا النبي ﷺ عن أول الناس ورودًا عليه وشربًا منه. كما في حديث ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «... أَوَّلُ النَّاسِ وُرُودًا عَلَيه فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ: الشُّعْثُ رُؤُوسًا الدُّنُسُ ثيابًا، الَّذِينَ لَا يَنْكِحُونَ المُنَعَّماتِ وَلَا تُفْتَحُ لهُمُ السُّدَدُ الَّذِينَ يُعْطُونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْهِمْ وَلَا يُعْطَوْنَ الَّذِي لَهُمْ»[٧]

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (٢/ ١٥٧)

(٢) فتح الباري (٤/ ١٠٠)

(٣) سنن النسائي (٦٩٦) وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٠٥٠)

(٤) مسند أحمد (٢٢٨٤١) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/ ٤٧٩)

(٥) رواه أحمد (٨٧٢١) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/ ٤٨٠) رقم (٢٣٦٣) وذكره شيخنا أبو عبد الرحمن الوادعي في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (١٢٩٢)

(٦) رواه أحمد (٩٣٣٨) وإسناده صحيح.

(٧) تقدم

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال النبي ﷺ: «**... أَوَّلُ النَّاسِ عَلَيْهِ وُرُودًا صَعَالِيكُ الْمُهَاجِرِينَ**» قَالَ قَائِلٌ: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الشَّعِثَةُ رُؤُوسُهُمْ، الشَّحِبَةُ وُجُوهُهُمْ، الدَّنِسَةُ ثِيَابُهُمْ، لَا يُفْتَحُ لَهُمُ السُّدَدُ، وَلَا يَنْكِحُونَ الْمُتَنَعِّمَاتِ الَّذِينَ يُعْطُونَ كُلَّ الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَلَا يَأْخُذُونَ الَّذِي لَهُمْ**»(١)

وقوله ﷺ: «**الَّذِينَ يُعْطُونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْهِمْ**» معناه أنهم: يؤدون الحقوق التي عليهم كاملة خوفًا من الله وخشية.

وقوله: « **وَلَا يُعْطَوْنَ الَّذِي لَهُمْ**» أي: لقلة اهتمام الناس بهم، فلا يعطونهم حقوقهم كاملة، فيصبرون على ذلك. ومن عدم تقدير الناس لهم ما ذكر في الحديث أنهم «**... لَا يَنْكِحُونَ المُنَعَّمَاتِ وَلَا تُفْتَحُ لَهُمُ السُّدَدُ** » أي لو خطبوا المتنعمات من النساء لم يجابوا ولو دقوا الأبواب واستأذنوا الدخول لم يفتح لهم ولم يؤذن. والمعنى: أنهم قائمون بفرائض الله جَلَّ وَعَلَا، وقائمون بما أمرهم الله عَزَّ وَجَلَّ به حتى لو كانوا ينتقصون من حقوقهم، وهذه فضيلةٌ ظاهرةٌ لهؤلاء الفقراء الذين خافوا الله وصبروا في الدنيا من أجل الله سبحانه.

فضل أهل اليمن:

وفي صحيح مسلم من حديث ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ**» فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ فَقَالَ: «**مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ**» وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ: «**أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ**»(٢).

قال النووي رحمه الله: مَعْنَاهُ أَطْرُدُ النَّاسَ عَنْهُ غَيْرَ أَهْلِ الْيَمَنِ لِيَرْفَضَّ عَلَى أَهْلِ الْيَمَنِ **وَهَذِهِ كَرَامَةٌ لِأَهْلِ الْيَمَنِ** فِي تَقْدِيمِهِمْ فِي الشُّرْبِ مِنْهُ مُجَازَاةً لَهُمْ بِحُسْنِ صَنِيعِهِمْ وَتَقَدُّمِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ وَالْأَنْصَارُ مِنَ الْيَمَنِ فَيَدْفَعُ غَيْرَهُمْ حَتَّى يَشْرَبُوا كَمَا دَفَعُوا فِي الدُّنْيَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَعْدَاءَهُ وَالْمَكْرُوهَاتِ وَمَعْنَى «**يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ**» أَيْ يَسِيلُ عَلَيْهِمْ ا.هـ(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (٦١٦٢)

(٢) تقدم.

(٣) شرح النووي على مسلم (٦٢/١٥).

هل لكل نبي حوض؟

اختلف العلماء هل لكل نبي حوضٌ خاصٌ به أم أن الحوضَ خاصٌ برسول الله ﷺ؟ وردت في ذلك أحاديث يُحسِّنُها بعضُ العلماء منها:

حديث الحَسَنِ، عَنْ سَمُرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً**» رواه الترمذي وقال «هذا حديث غريب» وقد روى الأشعث بن عبد الملك، هذا الحديث عن الحسن، عن النبي ﷺ مرسلا ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح.(١)

وَعَنْ خُبَيْبِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَصْحَابًا مِنْ أُمَّتِهِ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ يَوْمَئِذٍ أَكْثَرَهُمْ كُلِّهِمْ وَارِدَةً، فَإِنَّهُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ قَائِمٌ عَلَى حَوْضٍ مَلْآنَ، مَعَهُ عَصًا، يَدْعُو مَنْ عَرَفَ مِنْ أُمَّتِهِ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ سِيمَاءُ يَعْرِفُهُمْ بِهَا نَبِيُّهُمْ**»(٢).

وَعَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ لِي حَوْضًا طُولُهُ مَا بَيْنَ الْكَعْبَةِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَشَدَّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَكُلُّ نَبِيٍّ يَدْعُو أُمَّتَهُ، وَلِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضٌ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ الْفِئَامُ مِنَ النَّاسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْتِيهِ الْعُصَبُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ النَّفَرُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ الرَّجُلَانِ وَالرَّجُلُ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَأْتِيهِ أَحَدٌ، فَيُقَالُ: قَدْ بَلَّغْتَ، وَإِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» (٣)

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قَالَ: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الْعَالَمِينَ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٤٣). والمرسل رواه نعيم بن حماد كما في زياداته على الزهد لابن المبارك (٢/ ١٢١) وأبو عمر السلمي في جزئه (١٠٣٧) من طريقين عن هشام بن حسان، عن الحسن به ورواه ابن أبي الدنيا كما في البداية والنهاية لابن كثير ط هجر (١٩/ ٤٦٩) عن حزم بن أبي حزم عن الحسن به

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٥٩/٧) رقم (٧٠٥٣)

(٣) رواه هشام بن عمار في حديثه (٥٩) وابن أبي الدنيا -كما في البداية والنهاية ط هجر (١٩/ ٤٥٩)- واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢١١٧) وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (١/ ١٤٥) وأوله عند ابن ماجه في سننه (٤٣٠١) وليس فيه موضع الشاهد.

هَلْ فِيهِ مَاءٌ؟ فَقَالَ: «إِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ فِيهِ لَمَاءً، إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَيَرِدُونَ حِيَاضَ الْأَنْبِيَاءِ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ فِي أَيْدِيهِمْ عِصِيٌّ مِنْ نَارٍ، يَذُودُونَ الْكُفَّارَ عَنْ حِيَاضِ الْأَنْبِيَاءِ»(١).

وهذا الأحاديث مفرداتها ضعيفة كما قال العلماء، وحسن الحديث بمجموعها جماعة من أهل العلم ومنهم: الحافظ المزي رَحِمَهُ اللَّهُ فقد قال صهره الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ -بعد أن ساق ماورد في الباب-: وقد أفتى شيخنا الحافظ المزي بصحته بهذه الطرق.(٢)

وكذلك صححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ(٣).

وقال الإمام عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: أسانيده ضعيفة، وفي بعضها إرسال، ولعلها تُحدث له أصلًا، فتكون من باب الحسَن لغيره ا.هـ(٤)

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ولكن نعلم أن حوضه ﷺ أعظم الحياض وأكثرها وارداً ا.هـ(٥)

وقال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَإِنْ ثَبَتَ فَالْمُخْتَصُّ بِنَبِيِّنَا ﷺ الْكَوْثَرُ الَّذِي يُصَبُّ مِنْ مَائِهِ فِي حَوْضِهِ فَإِنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ نَظِيرُهُ لِغَيْرِهِ وَوَقَعَ الِامْتِنَانُ عَلَيْهِ بِهِ فِي السُّورَةِ الْمَذْكُورَةِ ا.هـ(٦)

وقال الحافظ أيضا: وَالْحِكْمَةُ فِي الذَّوْدِ الْمَذْكُورِ أَنَّهُ ﷺ يُرِيدُ أَنْ يُرْشِدُ كُلَّ أَحَدٍ إِلَى حَوْضِ نَبِيِّهِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ «أَنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَأَنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ بِكَثْرَةِ مَنْ يَتْبَعُهُمْ» فَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْ جُمْلَةِ إِنْصَافِهِ وَرِعَايَةِ إِخْوَانِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ لَا أَنَّهُ يَطْرُدُهُمْ بُخْلًا عَلَيْهِمْ بِالْمَاءِ وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ يَطْرُدُ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الشُّرْبَ مِنَ الْحَوْضِ وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ا.هـ(٧)

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا -كما في البداية والنهاية ط هجر (١٩/ ٤٥٩)-. وابن مردويه في تفسيره -كما في تفسير ابن كثير ت سلامة (٣/ ٢٤٣)- وفي إسناده من لا يعرف، وقال ابن كثير: حديث غريب.

(٢) البداية والنهاية ط هجر (١٩/ ٤٦٩)

(٣) سلسة الأحاديث الصحيحة (١١٧/٤) رقم (١٥٨٩).

(٤) مسائل الإمام ابن باز (ص: ٢٧٣) تقييد الشيخ عبد الله بن مانع.

(٥) الفصول في سيرة الرسول ﷺ (ص٣٨٩)

(٦) فتح الباري (١١/ ٤٦٧)

(٧) المرجع السابق (١١/ ٤٧٤)

نهر الكوثر:

ومما خصَّ الله عَزَّوَجَلَّ به نبيه ﷺ الكوثرُ ونزل في ذلك سورة عظيمة،

قال الله تعالى: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣ ﴾ [الكوثر].

الكوثر نهر في الجنة:

قال الْمُخْتَارُ بْنُ فُلْفُلٍ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أنه قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فِي الْمَسْجِدِ إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ**» فَقَرَأَ: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣ ﴾ **[الكوثر: ١-٣].** ثُمَّ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟**» فَقُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي** عَزَّوَجَلَّ، **عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ**» رواه الإمام مسلم(١)

تفسير ابن عباس رضي الله عنهما للكوثر:

روى البخاري في صحيحه عنْ هُشَيْمٍ، قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو بِشْرٍ، وَعَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «**الكَوْثَرُ: الخَيْرُ الكَثِيرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ**» قَالَ أَبُو بِشْرٍ: قُلْتُ لِسَعِيدٍ: إِنَّ أُنَاسًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهَرٌ فِي الجَنَّةِ؟ فَقَالَ سَعِيدٌ: «**النَّهَرُ الَّذِي فِي الجَنَّةِ مِنَ الخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ**»(٢) وقول سعيد بن جبير يبين أنه لا اختلاف بين قول رسول الله ﷺ وبين قول ابن عباس رضي الله عنهما.

ولعطاء بن السائب فيه إسناد آخر: قَالَ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ قَالَ: قَالَ لِي مُحَارِبُ بْنُ دِثَارٍ: مَا سَمِعْتَ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ، يَذْكُرُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، فِي الْكَوْثَرِ؟ فَقُلْتُ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: هَذَا الْخَيْرُ الْكَثِيرُ، فَقَالَ مُحَارِبٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ،

---

(١) رواه مسلم (٤٠٠) وفي رواية له قَالَ: «**نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي** عَزَّوَجَلَّ **فِي الْجَنَّةِ عَلَيْهِ حَوْضٌ**»

(٢) صحيح البخاري (٦٥٧٨، ٤٩٦٦) ووهم الحاكم فخرجه في المستدرك (٣٩٧٩) وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه!.

مَا أَقَلَّ مَا يَسْقُطُ لِابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلٌ، سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما يَقُولُ: لَمَّا أُنْزِلَتْ ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**هُوَ نَهَرٌ فِي الْجَنَّةِ، حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، يَجْرِي عَلَى جَنَادِلِ الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ، شَرَابُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**» قَالَ: «صَدَقَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، هَذَا وَاللَّهِ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ» رواه أحمد وغيره (١)

وقد نقل المفسرون في تفسير الكوثر أقوالا أخرى: فقيل النبوة، وقيل القرآن، وقيل الإسلام، وقيل إنه التوحيد وقيل الشفاعة. ولا معدل عن تفسير رسول الله ﷺ.

الحوض يمد من الكوثر:

كما في الحديث المتقدم: قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟**» فَقُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي** عَزَّوَجَلَّ، **عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ...**» فبين أن الخير الكثير هو الحوض الذي يُمَدُّ من نهر الكوثر بميزابين يصبان فيه كما في حديث أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه المتقدم « **... يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، ...**»

وَتقدم أيضا في حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما «**... لَهُ مِيزَابَانِ، إِحْدَاهُمَا مِنْ ذَهَبٍ وَالْآخَرُ مِنْ فِضَّةٍ، ...**» رواه الطبراني في الأوسط.

قال شيخنا العلامة المحدث عبد المحسن العباد -حفظه الله- في شرح سنن أبي داود: وهذا يدل على أن الكوثر نهر في الجنة، وأن فيه حوضاً، وجاء في بعض الأحاديث الصحيحة بيان أن الحوض يصب فيه ميزابان من الجنة، وعلى هذا فيكون الكوثر في الجنة والحوض في عرصات القيامة، وهو يمد ويصل إليه الماء من ذلك النهر الذي في

---

(١) رواه أحمد (٥٩١٣) عن مؤمل عن حماد به ومؤمل ضعيف، لكنه قد توبع فقد رواه الحاكم في المستدرك (٦٣٠٨) قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن علي بن بكر العدل حدثناه! (كذا وصوابه حفدة) إبراهيم بن هانئ -وهو صدوق-، ثنا الحسن (كذا وصوابه الحسين) بن الفضل البجلي -وهو ثقة-، ثنا سليمان بن حرب، ثنا حماد به. وعطاء بن السائب في سنده وإن كان قد اختلط فإن سماع حماد منه كان قبل الاختلاط. والحديث رواه بقي بن مخلد في جزئه في الحوض (٣٨) نا ابن كاسب، قال: نا سليمان بن حرب عن حماد به. ورواه أبو نعيم في صفة الجنة (٣٢٦) -بسند صحيح- عن إسحاق بن حرب (كذا وصوابه سليمان بن حرب) عن حماد. والحديث رواه الترمذي (٣٣٦١) وابن ماجه (٤٣٣٤) وأحمد (٥٣٥٥) وغيرهم من طرق أخرى عن عطاء به.

الجنة. وعلى هذا فيكون الحوض شيئاً والكوثر شيئاً آخر وليسا شيئاً واحداً، والكوثر هو الأصل والحوض فرع منه، والكوثر في الجنة والحوض إنما هو في عرصات القيامة، والماء الذي في الحوض جاء من الكوثر كما جاء في ذلك الحديث عن رسول الله ﷺ. ا.هـ

آنية الكوثر:

تقدم في حديث أنس ﷺ، «**آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ**»

وروى البخاري عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ -وهو ابن عبد الله بن مسعود-، عَنْ عَائِشَةَ ﷺ، قَالَ: سَأَلْتُهَا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ ﴾ قَالَتْ: «**نَهَرٌ أُعْطِيَهُ نَبِيُّكُمْ ﷺ، شَاطِئَاهُ عَلَيْهِ دُرٌّ مُجَوَّفٌ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ النُّجُومِ**»[١]

حافتا الكوثر وطينته:

قَالَ قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « **بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ، الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ - أَوْ طِيبُهُ - مِسْكٌ أَذْفَرُ**»[٢] وفي رواية: عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: «**أَتَيْتُ عَلَى نَهَرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجَوَّفًا، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ [الَّذِي أَعْطَاكَهُ اللَّهُ، قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى طِينَةٍ فَاسْتَخْرَجَ مِسْكًا، ثُمَّ رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ المُنْتَهَى فَرَأَيْتُ عِنْدَهَا نُورًا عَظِيمًا]** »[٣]

حافتا الكوثر من ذهب ومجراه على جنادل الياقوت والدر وصفة شرابه:

تقدم حديث ابْنِ عُمَرَ ﷺ أنه قال: لَمَّا أُنْزِلَتْ ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**هُوَ نَهَرٌ فِي الْجَنَّةِ، حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، يَجْرِي عَلَى جَنَادِلِ الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ، شَرَابُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**» رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد[٤]

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٦٥)

(٢) رواه البخاري (٦٥٨١)

(٣) رواه البخاري (٤٩٦٤) والترمذي (٣٣٦٠) ومنه الزيادة

(٤) رواه أحمد (٥٩١٣) عن مؤمل عن حماد به ومؤمل ضعيف، لكنه قد توبع فقد رواه الحاكم في المستدرك =

صفة القصر على الكوثر:

عَنْ شَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ، يَقُولُ: «**لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَسْجِدِ الكَعْبَةِ، فذكر الحديث وفيه: ...فَوَجَدَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا آدَمَ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ آدَمُ، وَقَالَ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا بِابْنِي، نِعْمَ الِابْنُ أَنْتَ، ...ثم قال: ثُمَّ مَضَى بِهِ فِي السَّمَاءِ، فَإِذَا هُوَ بِنَهَرٍ آخَرَ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ، فَضَرَبَ يَدَهُ فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ أَذْفَرُ، قَالَ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟، قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ الَّذِي خَبَأَ لَكَ رَبُّكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، ...**الحديث[(١)]

طيور الكوثر:

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ الزهريِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا الكَوْثَرُ؟ قَالَ: «**ذَاكَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللَّهُ - يَعْنِي فِي الجَنَّةِ - [تُرَابُهُ الْمِسْكُ مَاؤُهُ] أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ، فِيهَا طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الجُزُرِ**» قَالَ عُمَرُ: إِنَّ هَذِهِ لَنَاعِمَةٌ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَكَلَتُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا**»[(٢)]

(٦٣٠٨) قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن علي بن بكر العدل حدثناه! (كذا وصوابه حفدة) إبراهيم بن هانئ -وهو صدوق-، ثنا الحسن (كذا وصوابه الحسين) بن الفضل البجلي -وهو ثقة-، ثنا سليمان بن حرب، ثنا حماد به. وعطاء بن السائب في سنده وإن كان قد اختلط فإن سماع حماد منه كان قبل الاختلاط. والحديث رواه بقي بن مخلد في جزئه في الحوض (٣٨) نا ابن كاسب، قال: نا سليمان بن حرب عن حماد به. ورواه أبو نعيم في صفة الجنة (٣٢٦) -بسند صحيح- عن إسحاق بن حرب (كذا وصوابه سليمان بن حرب) عن حماد. والحديث رواه الترمذي (٣٣٦١) وابن ماجه (٤٣٣٤) وأحمد (٥٣٥٥) وغيرهم من طرق أخرى عن عطاء به.

(١) رواه البخاري (٧٥١٧)

(٢) رواه الترمذي (٢٥٤٢) من طريق القعنبي؛ وأحمد (١٣٤٨٥) حدثنا إبراهيم ابن أبي العباس عن أبي أويس؛ وتمام في الفوائد (١٢٢٤) من طريق ابن أبي أويس عن أبيه. وابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٧٩، ١٤٤) من طريق معن بن عيسى؛ والبيهقي في البعث والنشور (٢٦٥) من طريق الدراوردي كلهم (القعنبي، ومعن، وأبو أويس، والدراوردي) عن محمد بن عبد الله ابن أخي الزهري عن أبيه به. وقال الترمذي هذا حديث حسن. ورواه أحمد (١٣٤٧٥) -ومن طريقه الضياء في المختارة (٢٤٢/٦-٢٢٥٨)- من طريق إبراهيم بن سعد عن محمد بن عبد الله به. والزيادة منه. **وعنده (قال أبو بكر) بدل عمر**. وقال الألباني في صحيح السيرة (٢١٩): وهي منكرة اهـوقد توبع محمد بن عبد الله؛ رواه أحمد (١٣٤٨٠): حدثنا يعقوب؛ وفي (١٣٤٨٤) حدثنا إبراهيم ابن أبي العباس وتمام في الفوائد (١٢٢٣) والخطيب في المتفق والمفترق (٨٠٠) =

فتأمل أيها المحب لله ورسوله إذا كان طينه وترابه مسكًا أذفر فما بالك ببقيته وبأوصافه!! -نسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يجعلنا ممن يشرب من حوض النبي ﷺ شربةً لا نظمأ بعدها أبدًا-.

أناس يُذَادُون عن الحوض:

احذر أيها المؤمن فإن ثمة أناسًا يأتون يوم القيامة يُذَادُونَ عن حوض رسول الله ﷺ، أتدري من هم؟

إنهم أولئك الذين ارتدوا على أدبارهم، إنهم أولئك الذين تنكبوا الصراط وابتعدوا عن اتباع رسولنا عليه الصلاة والسلام.

قال نبينا عليه الصلاة والسلام -كما تقدم- من حديث ابن مسعود:

«أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَلَيُرْفَعَنَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ» متفق عليه.

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ»**[1].

والضياء في المختارة (٦/٢٤٢/٢٢٥٩) من طريق ابن أبي أويس كلاهما (يعقوب وابن أبي العباس وابن أبي أويس) عن أبي أويس قال: أخبرني ابن شهاب، أن أخاه، أخبره، به. ورواه النسائي في السنن الكبرى (١١٦٣٩) عن ابن الهاد عن عبد الوهاب عن عبد الله بن مسلم عن ابن شهاب عن أنس. وهذا مقلوب الذي قبله. والصواب ما تقدم وهذه رواية شاذة. ورواه الحاكم (٣٩٧٨) بسند صحيح عن عاصم بن علي عن أبي أويس به. وعنده الزيادة الأولى وعنده **(قال أبو بكر) بدل عمر**. وهي منكرة كما تقدم. ورواه أبو نعيم في صفة الجنة (٣٤٢) من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن عبد الله بن مسلم به. ورواه ابن إسحاق في السيرة (ص٢٧٢) – ومن طريقه هناد في الزهد (١٣٦)، والبيهقي في البعث (١٢٣)- حدثني جعفر بن عمرو بن أمية الضمري عن عبد الله بن مسلم الزهري به. والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥١٤).

(١) أخرجه البخاري (٦٥٨٣) واللفظ له، ومسلم (٢٢٩٠).

وفي حديث أنس ﷺ -في الصحيحين- عن النبي ﷺ قال: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الْحَوْضَ حَتَّى عَرَفْتُهُمُ اخْتُلِجُوا دُونِي فَأَقُولُ: أَصْحَابِي! فَيَقُولُ: لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَك»(١).

وعن أسماء بنت أبي بكر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي فَيُقَالُ: هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ؟! وَاللَّهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ» فكان الراوي يقول: اللَّهُمَّ إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا، أو نفتن عن ديننا. متفق عليه(٢).

وأنا أقول كما قال: اللَّهُمَّ إني أعوذ بك أن أرجع على عقبي، أو أن أفتن عن ديني.

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَذُودَنَّ رِجَالًا عَنْ حَوْضِي كَمَا تُذَادُ الْغَرِيبَةُ مِنَ الإِبِلِ عَنِ الْحَوْضِ» متفق عليه(٣).

«كَمَا تُذَادُ الْغَرِيبَةُ مِنَ الإِبِلِ» أي: كما تطرد الناقة الغريبة.

وفي حديث أبي هريرة ﷺ أَنَّ النبي ﷺ قال: «يَرِدُ عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِي، فَيُحَلَّؤُونَ عَنِ الْحَوْضِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيَقُولُ: إِنَّكَ لاَ عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى»(٤).

وعن أبي هريرة أيضًا أنَّ النبي ﷺ قال: «بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ فَقَالَ: هَلُمَّ فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ فَقَالَ: هَلُمَّ قُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ قُلْتُ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى فَلاَ أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلاَّ مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ» رواه البخاري(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٨٢) واللفظ له، ومسلم (٢٣٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٩٣)، ومسلم (٢٣٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٦٧)، ومسلم (٢٣٠٢).

(٤) تقدم (ص٢٩٨)

(٥) أخرجه البخاري (٦٥٨٧).

والمعنى: أن كثيرًا سيُخْتَلَجُون دون حوض رسول الله ﷺ من أولئك الذين من صفاتهم: أنهم ارتدوا على أدبارهم يعني: وقعوا في الشرك بالله جَلَّ وَعَلَا وأنهم لم يتبعوا رسول الله ﷺ في عقيدته وعبادته.

فاحذر -عبدَ الله- من الشرك ومن النفاق،

واحذر من البدع والمُحْدَثات؛ فإنّ المرء لا يكون متّبِعًا للنبي ﷺ حقًا إلّا إذا سار على شرعته واتبع سنته ﷺ.

أما أولئك الذي ارتدوا أو لم يتبعوه ﷺ فسيُحرَمون من حوضه عليه الصلاة والسلام -نسأل الله السلامة والعافية-.

وجاء في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يخطب على المنبر ويقول: «**إِنَّكُمْ مُلاَقُو اللَّهِ – وفي رواية: إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللهِ- حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**» ثم قرأ النبي ﷺ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ثم قال عليه الصلاة والسلام: «**فأوَّلُ مَن يُكْسَى إبْرَاهِيمُ، ثُمَّ يُؤْخَذُ برِجَالٍ مِن أَصْحَابِي ذَاتَ اليَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ، فأقُولُ: أَصْحَابِي! فيُقَالُ: إنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ علَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ، فأقُولُ كما قالَ العَبْدُ الصَّالِحُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ**: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٧-١١٨]»[1]

وفي حديث جابر المتقدم أنّ النبي ﷺ قال: «**وَسَيَأْتِي أَقْوَامٌ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ بِآنِيَةٍ، ثُمَّ لَا يَذُوقُونَ مِنْهُ شَيْئًا**» أي: من الحوض شيئًا.

وجاء أيضًا في سنن الترمذي عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ تِسْعَةٌ خَمْسَةٌ وَأَرْبَعَةٌ أَحَدُ العَدَدَيْنِ مِنَ العَرَبِ وَالآخَرُ مِنَ العَجَمِ فَقَالَ: «**اسْمَعُوا، هَلْ سَمِعْتُمْ؟ إِنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ [يَكْذِبُونَ وَيَظْلِمُونَ] فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ وَلَيْسَ بِوَارِدٍ عَلَيَّ الحَوْضَ،**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٧)، ومسلم (٢٨٦٠)

وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ وَهُوَ وَارِدٌ عَلَيَّ الحَوْضَ»(١)

وفي المسند عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ ﷺ: «أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ»، قَالَ: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ؟، قَالَ: « أُمَرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي، لَا يَقْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا يَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، وَسَيَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي. يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ، الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، وَالصَّلَاةُ قُرْبَانٌ - أَوْ قَالَ: بُرْهَانٌ - يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ النَّارُ، أَوْلَى بِهِ. يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ، النَّاسُ غَادِيَانِ: فَمُبْتَاعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا، وَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُوبِقُهَا»(٢)

فهذا إخبار من النبي ﷺ أنَّ الظلمة وأعوانهم لا يَرِدُونَ الحوض.

نسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعلنا من أولئك الذين يردون حوضه ﷺ فينالون شربة من حوضه لا يظمؤون بعدها أبدًا.

لقاء النبي ﷺ عند الحوض:

وقد حث النبي ﷺ على الصبر عند حصول الأثرة وقال: «**اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ**». وذلك في أحاديث كثيرة -تقدم ذكرها- ومنها:

حديث أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ ﷺ، -في الصحيحين- أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ تَسْتَعْمِلُنِي كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فُلاَنًا؟ قَالَ: «**سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ**»

وفي صحيح البخاري عَنْ أَنَسٍ ﷺ، قَالَ: دَعَا النَّبِيُّ ﷺ الأَنْصَارَ لِيَكْتُبَ لَهُمْ بِالْبَحْرَيْنِ، فَقَالُوا: لاَ وَاللَّهِ حَتَّى تَكْتُبَ لِإِخْوَانِنَا مِنْ قُرَيْشٍ بِمِثْلِهَا، فَقَالَ: «**ذَاكَ لَهُمْ مَا**

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٥٩) والنسائي (٤٢٠٧) وأحمد (١٨١٢٦) والزيادة منه وقال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب. وصححه الشيخ مقبل في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٤١)

(٢) مسند أحمد (١٤٤٤١) وصححه ابن حبان (١٧٢٣، ٤٥١٤) والحاكم (٢٦٥، ٨٣٠٢) وحسنه الشيخ مقبل في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٨٩٨).

شَاءَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ»، يَقُولُونَ لَهُ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ»(١)

وفي رواية -في الصحيحين-: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً شَدِيدَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوُا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ عَلَى الحَوْضِ» [قَالُوا: سَنَصْبِرُ] قَالَ أَنَسٌ فَلَمْ نَصْبِرْ(٢)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، قَالَ للأَنْصَارِ «...إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ»(٣)

وقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْحَوْضُ، وَإِنِّي لأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا»(٤)

وفي الباب: عن أبي سعيد الخدري والبراء بن عازب(٥)

وقال له رجلٌ: يا رسول الله: اشفع لي عند الله يوم القيامة فقال له: «أَنَا فَاعِلٌ» فقال: يا رسول الله: أين أجدك؟ أين أطلبك؟ قال: «اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ» قال: فإن لم ألقك؟ قال: «فَاطْلُبْنِي عِنْدَ المِيزَانِ» قال: فإن لم أَلْقَك؟ قال: «فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الحَوْضِ؛ فَإِنِّي لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ المَوَاطِنَ»(٦).

وختاما يقول شمس الدين ابن القيم رحمه الله:

وقد أشار النبي ﷺ إلى أن كمال ما يُستمتع به من الطيبات في الآخرة بحسب كمال ما قابله من الأعمال في الدنيا، ثم قال:

وَمِنْهَا: أَنَّ وُرُودَ النَّاسِ الْحَوْضَ وَشُرْبَهُمْ مِنْهُ يَوْمَ الْعَطَشِ الْأَكْبَرِ بِحَسَبِ وُرُودِهِمْ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَشُرْبِهِمْ مِنْهَا،

فَمَنْ وَرَدَهَا فِي هَذِهِ الدَّارِ وَشَرِبَ مِنْهَا وَتَضَلَّعَ وَرَدَ هُنَاكَ حَوْضَهُ وَشَرِبَ مِنْهُ وَتَضَلَّعَ،

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٣)

(٢) أخرجه البخاري (٣١٤٧، ٤٣٣١) ومسلم (١٠٥٩) وله الزيادة

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٣٠) ومسلم (١٠٦١)

(٤) تقدم في هذا المجلس.

(٥) أخرجها أحمد في مسنده (١١٥٤٧) و(١٨٥٨٢).

(٦) تقدم في أحاديث الحوض.

فَلَهُ ﷺ حَوْضَانِ عَظِيمَانِ: حَوْضٌ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ سُنَّتُهُ وَمَا جَاءَ بِهِ، وَحَوْضٌ فِي الْآخِرَةِ، فَالشَّارِبُونَ مِنْ هَذَا الْحَوْضِ فِي الدُّنْيَا هُمُ الشَّارِبُونَ مِنْ حَوْضِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَشَارِبٌ، وَمَحْرُومٌ، وَمُسْتَقِلٌّ، وَمُسْتَكْثِرٌ، وَالَّذِينَ يَذُودُهُمْ هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ عَنْ حَوْضِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَذُودُونَ أَنْفُسَهُمْ وَأَتْبَاعَهُمْ عَنْ سُنَّتِهِ وَيُؤْثِرُونَ عَلَيْهَا غَيْرَهَا؛ فَمَنْ ظَمِأَ مِنْ سُنَّتِهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْهَا شُرْبٌ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَشَدُّ ظَمَأً وَأَحَرُّ كَبِدًا «وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ أَشَرِبْتَ فَيَقُولُ: نَعَمْ وَاللَّهِ فَيَقُولُ: لَكِنِّي وَاللَّهِ مَا شَرِبْتُ، وَاعَطَشَاهُ»[1].

فَرِدْ أَيُّهَا الظَّـــمْآنُ وَالْوِرْدُ مُمْكِنٌ ... فَـإِنْ لَمْ تَرِدْ فَـاعْلَمْ بِـأَنَّـكَ هَـالِـكُ
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ رِضْوَانُ يَسْقِيكَ شَرْبَةً ... سَـيَسْـقِيكَهَا إِذْ أَنْـــتَ ظَمْآنُ مَالِكُ
وَإِنْ لَمْ تَرِدْ فِي هَـذِهِ الدَّارِ حَوْضَـــهُ ... سَتُصْـــرَفُ عَنْهُ يَوْمَ يَلْقَاكَ آنِكُ[2]

نسأل الله جَلَّوَعَلَا أن يُعِيذَنا من الفتن، وأن يُثَبِّتَنا على دينه حتى نلقاه،
ونسأله جَلَّوَعَلَا أن يرزقنا شربةً من حوضه، لا نظمأ بعدها أبدًا،
وأكتفي بهذا والله تعالى أعلم
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) روى أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢٠٩): عَنِ الْفَضْلِ الرَّقَاشِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى تَدَافُعِ أُمَّتِي بَيْنَ الْحَوْضِ وَالْمَقَامِ فَيلْقَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ، فَيَقُولُ يَا فُلَانُ أَشَرِبْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، وَيلْقَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ أَشَرِبْتَ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللهِ صُرِفَ وَجْهِي فَمَا قَدَرْتُ أَنْ أَشْرَبَ فَيَرْجِعُ» والفضل الرقاشي منكر الحديث.

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٨٥)

الإيمان بالصراط

المجلس الخامس والثلاثون [١]

الإيمان بالصراط:

من الإيمان باليوم الآخر: الإيمانُ بالصِّراط، فأهلُ السنة والجماعة يؤمنون بالصراط.

تعريف الصراط:

قال شيخ الإسلام: " وهو الجسر الذي بين الجنة والنار يمر الناس عليه على قدر أعمالهم: ..."[٢].

الإجماع على الإيمان بالصراط:

نقل غيرُ واحدٍ من العلماء إجماعَ أهل السنة والجماعة على الإيمان بالصراط منهم: أبو الحسن الأشعري، وابن بطة العكبري، والقاضي عياض، والنووي، وشيخ الإسلام، وغيرهم[٣].

ومستَنَدُ ذلك أدلة كثيرة ومنها: تلك الآيةُ العظيمة التي أقضّت مضاجع السلف، وهي قولُ اللهِ ﷻ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ [مريم].

وقد سبقها قولُ اللهِ ﷻ: ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ ﴾ [مريم]. -والحديث في هذه الآيات عن النار -أعاذنا اللهُ وإيّاكم منها-، ثم قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ أي: وإن منكم إلا وارد النار.

---

(١) كان في يوم الإثنين الثالث والعشرين من شهر شوال من عام ١٤٤١هـ.

(٢) العقيدة الواسطية (ص: ٩٩).

(٣) ينظر: رسالة إلى أهل الثغر لأبي الحسن الأشعري (٢٨٦)، والشرح والإبانة لابن بطة (٢٠١) وإكمال المعلم للقاضي عياض (٥٥٠/١)، وشرح النووي على مسلم (٢٠/٣)، والعقيدة الواسطية (ص: ٩٩)، مجموع الفتاوى (١٩٩/٣).

قال قيس بن أبي حازم رحمه الله: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَاضِعًا رَأْسَهُ فِي حِجْرِ امْرَأَتِهِ، فَبَكَى فَبَكَتِ امْرَأَتُهُ، فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكِ؟»، قَالَتْ: رَأَيْتُكَ تَبْكِي فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: " إِنِّي ذَكَرْتُ قَوْلَ اللَّهِ ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ فَلَا نَدْرِي أَنَنْجُو مِنْهَا أَمْ لَا؟"(١)

وقالَ مُجَاهِدٍ رحمه الله: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فَقَالَ: أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ: -فذكر هذه الآية-، قَالَ: «**أَمَّا أَنَا وَأَنْتَ فَسَنَرِدُهَا، فَانْظُرْ هَلْ نَصْدُرُ مِنْهَا أَمْ لَا؟**» (٢)

وعنْ سُفْيَانَ بْنِ حُسَيْنٍ، عَنِ الْحَسَنِ رحمه الله قَالَ: " كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذَا الْتَقَوْا يَقُولُ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ: هَلْ أَتَاكَ أَنَّكَ وَارِدٌ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: هَلْ أَتَاكَ أَنَّكَ خَارِجٌ مِنْهَا؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَفِيمَ الضَّحِكُ إِذًا؟.(٣).

وقال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله: فما أعظم خطرك يا أخي في هذه الصّلاة، وفي غيرها من عملك، وما أولاك بالهمّ والحزن، والخوف والوجل فيها، وفيما سواها ممّا افترض الله عليك، إنك لا تدري: هل يقبل منك صلاةً قط، أم لا؟ ولا تدري: هل يقبل منك حسنةً قط، أم لا؟ وهل غفر لك سيئةً قط، أم لا؟ ثم أنت -مع هذا- تضحك وتغفل، وينفعك العيش، **وقد جاءك اليقين: أنّك وارد النّار، ولم يأتك اليقين أنّك صادرٌ عنها**، فما أحقّ بطول الحزن منك ، حتى يتقبل الله منك ؟ ثمّ -مع- هذا لا تدري، لعلّك لا تصبح إذا أمسيت ، ولا تمسي إذا أصبحت ، فمُبشّرٌ بالجنة ، أو مُبشرٌ بالنّار ا.هـ(٤)

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٧٧٩) -ومن طريقه الطبري في «جامع البيان ط هجر» (١٥/ ٥٩٤) والحاكم (٨٧٤٨)- قَالَ: أرنا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، به وفي الزهد والرقائق لابن المبارك - ط الأعظمي- (٣٠٩) ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٨/ ١٠٦)- عَنْ عَبَّادٍ الْمِنْقَرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيُّ قَالَ: لما نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] ذَهَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ إِلَى بَيْتِهِ فَبَكَى، فَجَاءَتِ امْرَأَتُهُ فَبَكَتْ، ... » فذكر نحوه. ورواه ابن إسحاق -كما في سيرة ابن هشام ت السقا (٢/ ٣٧٣)؛ ومن طريقه الطبري في التاريخ (٣/ ٣٧) والطبراني كما في مجمع الزوائد (٦/ ١٥٧) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١١٨)- عن عروة بن الزبير ...قال: فَلَمَّا وَدَّعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ مَنْ وَدَّعَ مِنْ أُمَرَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَكَى، فَقَالُوا: مَا يُبْكِيكَ يَا بْنَ رَوَاحَةَ؟ ...فذكره نحوه.

(٢) رواه الحسين المروزي في زوائده على ابن المبارك في الزهد والرقائق ط الأعظمي (١٤١٨) والطبري في تفسيره ط هجر (١٥/ ٥٩٨) وسنده صحيح.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ١٨٧) وانظر: «التخويف من النار لابن رجب/ت بشير عيون» (٢٤٥)

(٤) رسالة "الصلاة" (ص: ١١٢) وانظر: «الجامع لعلوم الإمام أحمد - الفقه» (٥/ ٥١٠)

تواتر أدلة الإيمان بالصراط:

قال شيخ الإسلام رحمه الله: فَأَحَادِيثُ الشَّفَاعَةِ وَالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ وَالرُّؤْيَةِ وَفَضَائِلِ الصَّحَابَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مُتَوَاتِرٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَهِيَ مُتَوَاتِرَةُ الْمَعْنَى وَإِنْ لَمْ يَتَوَاتَرْ لَفْظٌ بِعَيْنِهِ ... وَعُلَمَاءُ الْحَدِيثِ يَتَوَاتَرُ عِنْدَهُمْ مَا لَا يَتَوَاتَرُ عِنْدَ غَيْرِهِمْ...إلخ ا.هـ(١)

صفة الصراط:

قال القاضي عياض رحمه الله: والسلفُ مجمِعُونَ على حمله على ظاهره دون تأويل، والله أعلم بحقيقة صفته، وهو الجِسْر، كما جاء في الحديث الآخر، ويُقالُ بكسر الجيم وفتحِها ا.هـ(٢).

الصراط دَحْضٌ مَزَلَّة:

وقد جاءت السنة ببيان صفة هذا الصراط، وفيها: أن الصراط زَلِقٌ؛ ففي الصحيح أنّ النبي ﷺ قيل له: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الجَسْرُ؟ فَقَالَ ﷺ: «**مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، ...**»(٣).

وقوله: «**مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ**» بمعنى واحد(٤). و«**مَزِلَّةٌ**» بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكَسْرِ الزَّايِ وَيَجُوزُ فَتْحُهَا وَتَشْدِيدُ اللَّامِ- أَيْ مَوْضِعُ الزَّلَلِ ...(٥). وتقدم هذا الحديث في أبواب الشفاعة.

الصراط له جنبتان:

وبيَّن عليه الصلاة والسلام أنّ للصراط جنبتين أو أنّ له حافتين: كما في حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما -وتقدما معنا في أبواب الشفاعة-: قال النبي ﷺ: «... **فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ**» ...الحديث(٦)

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٦٩) وبنحوه في (١٩/١٢)

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٥٥٠)

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٣٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) ينظر: "غريب الحديث للخطابي" (٢/ ٢٤٧)

(٥) فتح الباري (١٣/ ٤٢٩).

(٦) أخرجه مسلم (١٩٥) عن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما. وخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٨٧٤٩) وصححه على شرطهما. وتعقبه شيخنا الوادعي في تحقيق المستدرك.

وفي حديث أبي بكرة ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يُحْمَلُ النَّاسُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتَقَادَعُ بِهِمْ جَنَبَتَا الصِّرَاطِ تَقَادُعَ الْفَرَاشِ فِي النَّارِ**»، قَالَ: «**فَيُنْجِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ**»، قَالَ: «**ثُمَّ يُؤْذَنُ لِلْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ أَنْ يَشْفَعُوا فَيَشْفَعُونَ، وَيُخْرِجُونَ وَيَشْفَعُونَ، وَيُخْرِجُونَ وَيَشْفَعُونَ، وَيُخْرِجُونَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً مِنْ إِيمَانٍ**» (١)

قال ابن الأثير رحمه الله: «**جَنَبَتَا الصِّرَاطِ تَقَادُعَ الْفَرَاشِ فِي النَّارِ**» أي: تسقطهم فيها بعضهم فوق بعض، وتقادع القوم: إذا مات بعضهم إثر بعض وأصل القدع: الكف والمنع أي: تسقطهم فيها بعضهم فوق بعض" (٢) نسأل الله السلامة والعافية.

لحافتي الصراط كلاليب وخطاطيف وحسكة:

ولحافتي الصراط كلاليب كما سبق في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أنّ النبي ﷺ قيل له: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الجِسْرُ؟ فَقَالَ ﷺ: «**مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ**» (٣).

وَقَوْلُهُ: «**مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ**» تقدم قريبا بيانه.

وَقَوْلُهُ «**عَلَيْهِ خطاطيف**» هو جمع خطَّاف بِالضَّمِّ وَهُوَ الحديدة المعوجة كالكلوب يختطف بهَا الشَّيْء.

وَقَوْلُهُ «**وَكَلَالِيبٌ**» جمع كلوب بِفَتْح الْكَاف وَهُوَ حَدِيدَة معطوفة الرَّأْس يعلق عَلَيْهَا اللَّحْم، وَقيل: الكلوب الَّذِي يتَنَاوَل بِهِ الْحداد الْحَدِيد من النَّار، -وقيل-: هُوَ المعقف الَّذِي يخطف بِهِ الشَّيْء. (٤)

وقوله: «**وَحَسَكَةٌ**» بِفَتْح الْحَاء وَالسِّين الْمُهْمَلَتَيْنِ نَبَاتٌ لَهُ ثَمَرٌ خَشِنٌ يَتَعَلَّقُ بِأَصْوَافِ الْغَنَمِ وَرُبَّمَا اتُّخِذَ مِثْلُهُ مِنْ حَدِيدٍ وَهُوَ مِنْ آلَاتِ الْحَرْبِ.

وَقَوْلُهُ «**مُفَلْطَحَةٌ**» بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِ الْفَاءِ وَسُكُونِ اللَّامِ بَعْدَهَا طَاءٌ ثُمَّ حَاءٌ مُهْمَلَتَانِ وَهُوَ الَّذِي فِيهِ اتِّسَاعٌ وَهُوَ عَرِيضٌ يُقَالُ فَلْطَحَ الْقُرْصَ بَسَطَهُ وَعَرَّضَهُ.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠٤٤٠) وحسنه الألباني في ظلال الجنة (٨٣٧).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٢٤).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٣٩) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٥/١٢٦و١٢٩و١٣٠)

وَقَوْلُهُ «عَقِيفَةٌ» بِالْقَافِ ثُمَّ الْفَاءِ وَزْنُ عَظِيمَةٌ وَلِبَعْضِهِمْ «عُقَيْفَاءُ» بِصِيغَةِ التَّصْغِيرِ مَمْدُودٌ. وَهِي المنعطفة المعوجة.(١)

وفي حديث آخر -تقدم معنا في أبواب الشفاعة-: قال النبي ﷺ: «... **فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ**» قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «**أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا**»، قَالَ: «**وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنِ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ**»(٢).

يعني: يعبر على هذا الصراط إلى الجنة أقوامٌ فيُخطَفُون ويُلْقَوْن في نار جهنم -نسأل الله السلامة والعافية-. ومنهم: أهل النفاق -كما تقدّم معنا(٣)- أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يُعطِي كلّ إنسان نورًا بقدر عمله، فأما المنافق فينطفئ عليه النور على الصِّراط ويُقذَف في نار جهنم.

وجاء أيضًا في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلاَّ اللَّهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمُ الْمُؤْمِنُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ الْمُجَازَى حَتَّى يُنَجَّى**»(٤). فالمقصود بذلك التقريب، أما تلك التي تكون يوم القيامة فالله عَزَّوَجَلَّ أعلم بقدرها. والمقصود: أنّ الصراط عليه كلاليب وعليه خطاطيف تختطف من أُمِرتْ بخطفه.

فيا أيها العبد المؤمن: إذا أردت النجاة من هذه الأهوال يوم القيامة فعليك بإصلاح عملك، قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ

---

(١) ينظر: فتح الباري (١٣/ ٤٢٩)، عمدة القاري (١٢٦/٢٥و١٢٩و١٣٠).

(٢) تقدم.

(٣) في المجلس الثالث والثلاثين.

(٤) أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أَحَدًا ﴿١١٠﴾ [الكهف] من كان يرجو لقاء الله أي: من كان يرجو أن يرى الله يوم القيامة، ويدخل الجنة فعليه بإصلاح عمله في الدنيا، وإلا فالمرور على الصراط ليس بالأمر الهَيّن.

الصراط أَحَدُّ من السيف:

وجاء أيضًا وَصْفُ الصراط بأنه أَحَدُّ من الموسى أو أحدُّ من السيف: كما في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قَالَ: «**بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ**»(١)

وورد ذلك في بعض الأحاديث الضعيفة المرفوعة كما في حديث عائشة المتقدم قريبا وفيه «**وَلِجَهَنَّمَ جِسْرٌ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ**»(٢). وفي حديث الصور الطويل المشهور «**وَيُضْرَبُ بِالصِّرَاطِ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، كَحَدِّ الشَّعْرَةِ، أَوْ كَحَدِّ السَّيْفِ لَهُ كَلَالِيبُ وَخَطَاطِيفُ**»(٣). وفي شعب الإيمان للبيهقي -وضعفه- عَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « **إِنَّ عَلَى جَهَنَّمَ جِسْرًا أَدَقَّ مِنَ الشَّعْرِ وأحد مِنَ السَّيْفِ**»(٤).

لكن صح عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ﷺ أنه قَالَ: «**يُوضَعُ الصِّرَاطُ وَلَهُ حَدٌّ كَحَدِّ الْمُوسَى فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: رَبَّنَا مَنْ تُجِيزُ عَلَى هَذَا، فَيَقُولُ: أُجِيزَ عَلَيْهِ مَنْ شِئْتُ**»(٥)

---

(١) صحيح مسلم (١٨٣).

(٢) مسند أحمد (٤١/ ٣٠٢) رقم (٢٤٧٩٣). وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (١٠). من حديث أبي هريرة ﷺ وإسناده ضعيف. وانظر: فتح الباري (٣٦٨/١١)

(٤) شعب الإيمان (٣٦١)

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٤١٩٥) وسنده صحيح. ورواه الحاكم في المستدرك (٨٧٣٩) من طريق المسيب بن زهير عن هدبة بن خالد ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي عثمان، عن سلمان به مرفوعا. وقال: " هذا حديث صحيح على شرط مسلم ". وتعقبه الشيخ الألباني فقال: وفيه نظر، فإن هدبة بن خالد وإن كان من شيوخ مسلم، فإن الراوي عنه المسيب بن زهير لم أر من وثقه، وقد ترجم له الخطيب (١٣ / ١٤٩) وكناه أبا مسلم التاجر، وذكر أنه روى عنه جماعة، وأنه توفي سنة (٢٨٥)، ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا. وقد رواه الآجري في " الشريعة " (٣٨٢) عن عبيد الله بن معاذ قال: حدثنا أبي قال: حدثنا حماد بن سلمة به موقوفا على سلمان. وإسناده صحيح، وله حكم المرفوع، لأنه لا يقال من قبل الرأي ا.هـ وتوبع معاذ -وهو العنبري- على وقفه رواه أيضا أسد بن موسى -كما في الزهد (٦٦) له-، والحسن بن موسى -عند ابن أبي شيبة في المصنف -، وأبو نصر التمار -عند ابن أبي الدنيا -كما في البداية والنهاية ط هجر (٢٠/ ١١٠)-
=

وصح عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: «**والصِّراط كحَدِّ السيف دحضٌ مزلةٍ**»[١]. وفي رواية: «**يُوضَعُ الصِّرَاطُ عَلَى سَوَاءِ جَهَنَّمَ مِثْلَ حَدِّ السَّيْفِ الْمُرْهَفِ، مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، ...**»الحديث [٢]

الورود على الصراط من الأهوال العظيمة:

والورود على الصراط من الأهوال العظيمة يوم القيامة. وقد تقدم معنا في الحديث عن الميزان ما رُوِيَ عن عائشة ﷺ وأرضاها أَنَّهَا ذَكَرَتِ النَّارَ فَبَكَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا يُبْكِيكِ؟**» قَالَتْ: ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ، فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا فِي ثَلاَثَةِ مَوَاطِنَ**: ...فذكر الميزان وتطاير الصحف ثم قال: **وَعِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ**» وفي إسناده ضعف[٣]. ومما يدل على هوله أوصافه المتقدمة، وكذا ما جاء من وقوف المرسلين وغيرهم على الصراط ودعائهم للمارين بالنجاة كما سيأتي.

دعاء المرسلين عليهم السلام وأتباعهم عندما يضرب الصراط:

وجاء في الحديث أن الرسل عليهم السلام وأتباعهم يقفون ويدعون بالسلامة والنجاة. ففي حديث أبي هُرَيْرَةَ، ﷺ أن النبي ﷺ قَالَ: «... **فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلاَمُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، ...**» متفق عليه وفي رواية للترمذي وأحمد: «... **فَيَقُومُ الْمُسْلِمُونَ وَيُوضَعُ الصِّرَاطُ، فَيَمُرُّونَ عَلَيْهِ مِثْلَ جِيَادِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، وَقَوْلُهُمْ عَلَيْهِ سَلِّمْ سَلِّمْ...**»[٤]

واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢٢٢١)؛ والأسود بن عامر -عند ابن الأعرابي في المعجم (١٨٢٧)- كلهم (أسد والحسن بن موسى والتمار، والأسود) عن حماد به موقوفا. وله حكم الرفع كما تقدم وانظر: السلسلة الصحيحة (٩٤١).

(١) أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢٧٨) والحاكم (٣٤٢٤) وقواه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٦٢٠) بحديث سلمان المتقدم. وانظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٤١٩)

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٢٠٣) رقم (٨٩٩٢) عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ. وانظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٢٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٥٥) من طريق الحسن عن عائشة وهو لم يسمع منها وانظر: ضعيف الترغيب (٢١٠٨).

(٤) صحيح البخاري (٨٠٦) وصحيح مسلم (١٨٢)ورواية الترمذي في سننه (٢٥٥٧) ومسند أحمد (٨٨١٧) وإسنادها صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٣٣٠) رقم (٨٠٢٥) وفي تخريج الطحاوية (٥٧٦)

وفي حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «... **حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﷻ فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ**» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: « **دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، ...**» الحديث[(١)].

وروى الترمذي عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**شِعَارُ الْمُؤْمِنِ عَلَى الصِّرَاطِ، رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ**» وإسناده ضعيف لكن يشهد له ما قبله[(٢)].

قال الحافظ: «وَلَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ هَذَا الْكَلَامِ شِعَارَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَنْطِقُوا بِهِ بَلْ تَنْطِقُ بِهِ الرُّسُلُ يَدْعُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالسَّلَامَةِ فَسُمِّيَ ذَلِكَ شِعَارًا لَهُمْ فَبِهَذَا تَجْتَمِعُ الْأَخْبَارُ»[(٣)]

نبينا ﷺ قائم على الصراط يدعو للمارين بالسلامة:

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، وَحُذَيْفَةَ ﷺ، -في صحيح مسلم- قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « ... **وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ ... ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا**

---

(١) تقدم (ص: ٢٠٠)

(٢) سنن الترمذي (٢٤٣٢)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ». وانظر: السلسلة الضعيفة (١٩٧٣).

(٣) فتح الباري (١١/ ٤٥٢)

يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا ...»[١]. ومر معنا حديثُ النَّضْرِ بْنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَقَالَ: «أَنَا فَاعِلٌ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ قَالَ: «اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ». قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: «فَاطْلُبْنِي عِنْدَ المِيزَانِ». قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ المِيزَانِ؟ قَالَ: «فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الحَوْضِ فَإِنِّي لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ المَوَاطِنَ»[٢]. وهذا يدل على أنّ هذه المواطن الثلاثة مواطنُ عظيمة. وفي حديث آخر يقول النبي ﷺ: «إِنِّي لَقَائِمٌ أَنْتَظِرُ أُمَّتِي تَعْبُرُ الصِّرَاطِ»[٣]

وهذا يدُلُّ أيضًا على عِظَمِ هذا الموقفِ الذي يحتاج فيه الإنسانُ إلى عمله الصالح.

الملائكة يدعون أيضا للمارين بالسلامة:

وفي رواية عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيَمُرُّ النَّاسُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ وَعَلَيْهِ حَسَكٌ وَكَلَالِيبُ وَخَطَاطِيفُ تَخْطَفُ النَّاسَ يَمِينًا وَشِمَالًا وَبِجَنْبَتَيْهِ مَلَائِكَةٌ يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ ... »[٤]

وفي المسند عَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ يَذْكُرُ الْحَبِيبُ حَبِيبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ، أَمَّا عِنْدَ ثَلَاثٍ فَلَا، ...فذكر الحديث وفيه: وَلِجَهَنَّمَ جِسْرٌ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ، عَلَيْهِ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ يَأْخُذُونَ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالنَّاسُ عَلَيْهِ كَالطَّرْفِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ، وَالرِّكَابِ، وَالْمَلَائِكَةُ يَقُولُونَ: رَبِّ سَلِّمْ، رَبِّ سَلِّمْ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُسَلَّمٌ، وَمُكَوَّرٌ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ»[٥]

---

(١) تقدم.

(٢) تقدم في أحاديث الحوض.

(٣) تقدم (ص: ١٦٧). وقوله: «أَنْتَظِرُ أُمَّتِي» قال السندي: الظاهر أن المراد بهذه الأمة من لا حساب عليهم، فأُذن لهم في الدخول إلى الجنة ا.هـ

(٤) أخرجه أحمد (١١٢٠١، ١١٢٠٢) وأبو يعلى (١٢٥٣) والنسائي في السنن الكبرى (١١٢٦٤)، وابن حبان (٧٣٧٩) والحاكم (٨٧٣٧)، وقال: صحيح على شرط مسلم ا.هـ قلت: الحديث إسناده صحيح، وهو من طريق عثمان بن غياث عن أبي نضرة، وهو بهذا السياق ليس على شرط مسلم، وينظر: تحقيق المسألة في بيان شرط الشيخين في السلسلة الصحيحة -بما لا تكاد تجده في مكان آخر-(٣/ ٦٦).

(٥) مسند أحمد (٤١/ ٣٠٢) رقم (٢٤٧٩٣). وإسناده ضعيف من أجل ابن لهيعة.

وفي المستدرك عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] قَالَ: «**الصِّرَاطُ عَلَى جَهَنَّمَ مِثْلُ حَدِّ السَّيْفِ فَتَمُرُّ الطَّائِفَةُ الْأُولَى كَالْبَرْقِ، وَالثَّانِيَةُ كَالرِّيحِ، وَالثَّالِثَةُ كَأَجْوَدِ الْخَيْلِ، وَالرَّابِعَةُ كَأَجْوَدِ الْإِبِلِ وَالْبَهَائِمِ، ثُمَّ يَمُرُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ تَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ**»(١)

المشركون يقعون في النار قبل الصراط:

قال الحافظ زين الدين عبد الرحمن ابن رجب رحمه الله: فأما المشركون فإنهم لا يمرون على الصراط إنما يقعون في النار قبل وضع الصراط ا.هـ ودليل ذلك ما تقدم في المجلس الثالث والثلاثين في حديث أبي هريرة ﷺ أن الله يجمع الناس يوم القيامة، فيقول: **مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الْقَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، ...فذكر الحديث ... قال فَيَدْعُوهُمْ فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ...**»(٢)

وفي حديث أبي سعيد «**... إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. فَلاَ يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ إِلاَّ يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ ...فذكر الحديث وفيه: ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ...**»(٣)

قال ابن رجب رحمه الله: فهذا الحديث صريح في أن كل من أظهر عبادة شيء سوى الله، كالمسيح وعزير من أهل الكتاب، فإنه يلحق بالمشركين في الوقوع في النار قبل نصب الصراط، إلا أن عباد الأصنام والشمس والقمر وغير ذلك من المشركين تتبع كل فرقة منهم ما كانت تعبد في الدنيا، فترد النار مع معبودها أولاً، ... ولا يبقى بعد ذلك إلا من كان يعبد الله وحده في الظاهر، سواء كان صادقاً أو منافقاً من هذه الأمة وغيرها، ثم

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٣٤٢٣) أخرجه من طريق عَمْرُو بْنُ طَلْحَةَ الْقَنَّادُ، أَبنا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، به ورجاله ثقات، وقال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ» ا.هـ وفيه نظر: فإن البخاري لم يخرج لعمرو وهو ابن حماد بن طلحة.

(٢) أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

يتميز المنافقون على المؤمنين بامتناعهم من السجود، وكذلك يمتازون عنهم بالنور الذي يقسم المؤمنين ا.هـ[١]

صفة الورود على الصراط:

اختلف العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تعالى في صفة هذا الورود، وأصحُّ الأقوال -إن شاء الله- هو: قولُ من قال من العلماء أنّ الورود هنا المراد به: العبورُ على الصراط يوم القيامة أو هو دخول عبور وذلك بالنسبة للمؤمن[٢]. كما في صحيح الإمام مسلم من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، قالَ: أَخْبَرَتْنِي أُمُّ مُبَشِّرٍ رضي الله عنها، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ رضي الله عنها: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا**» قَالَتْ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ فَانْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ ﴾ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**قَدْ قَالَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢ ﴾ [مريم]»[٣]

قال أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وحاصل ما فهمت -أي حفصة رضي الله عنها- منها أن الورود فيها بمعنى الدخول وأنها قابلت عموم قوله ﷺ «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**» بعموم قوله تعالى ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ ﴾ وكأنها رجَّحت عموم القرآن فتمسكت به، فأجابها النبي ﷺ بأن آخر الآية يبيِّن المقصود، فقرأ قوله تعالى ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢ ﴾ وحاصل الجواب تسليم أن الورود دخول، لكنه دخول عبور، فينجو من اتقى، ويترك فيها من ظلم، وبيان ذلك أن جهنم - أعاذنا الله منها - محيطة بأرض المحشر وحائلة بين الناس وبين الجنة، ولا طريق للجنة إلا الصراط الذي هو جسر ممدود على متن جهنم، فلا بدَّ لكل من ضمَّه المحشر من العبور عليه؛ فناج مُسَلَّم، ومخدوش مرسل، ومكردسٌ في نار جهنم - كما تقدَّم، وهذا قول الحسن وقتادة، وهو الذي تعضده الأخبار الصحيحة والنظر المستقيم ا.هـ[٤].

---

(١) «التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار» (ص٢٣٥-٢٣٨)

(٢) روى الترمذي ت شاكر (٣١٦٠) بسند صحيح عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ في تفسير الآية: «**يَرِدُونَهَا ثُمَّ يَصْدُرُونَ بِأَعْمَالِهِمْ**».

(٣) صحيح مسلم (٢٤٩٦)

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٤٤٤)

وقال النووي رحمه الله: والصحيح أن المراد بالورود في الآية المرور على الصراط وهو جسر منصوب على جهنم فيقع فيها أهلها وينجو الآخرون ا.هـ(١)

وهذا المعنى لا ينافي ما ذكره القرطبي من أن الورود الدخول في النار -كما في فهم السيدة حفصة رضي الله عنها-؛ لأن المرور على الصراط هو دخول في النار.

يعطى المارون على الصراط نورا بحسب أعمالهم:

والمارون على الصراط يعطون نورا بحسب أعمالهم. قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحديد]. وتقدم معنا حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في صحيح الإمام مسلم رحمه الله لمّا سُئِل عن الورود الذي يكون في ذلك اليوم، فقال رضي الله عنه وأرضاه: «**فَتُدْعَى الأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ مَنْ تَنْظُرُونَ؟**-أي: من تنتظرون؟-**فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ. فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ**-قَالَ-**فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ**- مُنَافِقٍ أَوْ مُؤْمِنٍ - **نُورًا ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ ...**» الحديث(٢).

وروى ابن أبي شيبة عن ابن مسعود رضي الله عنه فِي قَوْلِهِ: ﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الحديد: ١٢]. قَالَ: «**يُؤْتَوْنَ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ نُورُهُ مِثْلُ الْجَبَلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ نُورُهُ مِثْلُ النَّخْلَةِ وَأَدْنَاهُمْ نُورًا مَنْ نُورُهُ عَلَى إِبْهَامِهِ يُطْفَأُ مَرَّةً وَيَتَّقِدُ أُخْرَى**»(٣).

ورواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة -وغيره- عنه مرفوعا قال ﷺ: « **... فيرفعون رؤوسهم فَيُعْطِيهِمْ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ النَّخْلَةِ بِيَمِينِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ رَجُلًا يُعْطَى نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ يُضِيءُ مَرَّةً وَيُطْفِئُ مَرَّةً فَإِذَا أضاء قدم قدمه ومشى وإذا انطفئ قَامَ عَلَى**

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٥٨)

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٩). وتقدم في المجلس الثالث والثلاثين.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ١٠٧) رقم (٣٤٥٥٨) وسنده حسن.

الصِّرَاطِ قَالَ وَالرَّبُّ عَزَّوَجَلَّ أَمَامَهُمْ حَتَّى يَمُرَّ فِي النَّارِ فَيَبْقَى أَثَرُهُ كَحَدِّ السَّيْفِ دَحْضَ مَزِلَّةٍ فَيَقُولُ مُرُّوا فيمرون على قدر نورهم»[(١)].

وروى الحاكم عَنْ يَزِيدَ بْنِ شَجَرَةَ الرَّهَاوِيِّ، وَكَانَ مِنْ أُمَرَاءِ الشَّامِ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى الْجُيُوشِ، أنه قال: « ...إِنَّكُمْ مَكْتُوبُونَ عِنْدَ اللَّهِ بِأَسْمَائِكُمْ وَسِيمَائِكُمْ وَحِلَاكُمْ وَنَجْوَاكُمْ وَمَجَالِسِكُمْ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قِيلَ: يَا فُلَانُ هَذَا نُورُكَ، وَيَا فُلَانُ لَا نُورَ لَكَ ... »[(٢)]

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد أشار النبي ﷺ إلى أن كمال ما يُستمتع به من الطيبات في الآخرة بحسب كمال ما قابله من الأعمال في الدنيا، ثم قال: وَمِنْهَا: قَسْمُهُ الْأَنْوَارَ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ يُعْطَى مِنَ النُّورِ هُنَاكَ بِحَسَبِ قُوَّةِ نُورِ إِيمَانِهِ وَيَقِينِهِ وَإِخْلَاصِهِ وَمُتَابَعَتِهِ لِلرَّسُولِ ﷺ فِي دَارِ الدُّنْيَا **فَمِنْهُمْ**: مَنْ يَكُونُ نُورُهُ كَالشَّمْسِ **وَدُونَ ذَلِكَ** كَالْقَمَرِ **وَدُونَهُ** كَأَشَدِّ كَوْكَبٍ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً. **وَمِنْهُمْ**: مَنْ يَكُونُ نُورُهُ كَالسِّرَاجِ فِي قُوَّتِهِ وَضَعْفِهِ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ. **وَمِنْهُمْ**: مَنْ يُعْطَى نُورٌ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ يُضِيءُ مَرَّةً وَيُطْفِئُ أُخْرَى بِحَسَبِ مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ نُورِ الْإِيمَانِ فِي دَارِ الدُّنْيَا **فَهُوَ هَذَا النُّورُ بِعَيْنِهِ أَبْرَزَهُ اللَّهُ لِعَبْدِهِ فِي الْآخِرَةِ ظَاهِرًا يُرَى عِيَانًا بِالْأَبْصَارِ**، وَلَا يَسْتَضِيءُ بِهِ غَيْرُهُ وَلَا يَمْشِي أَحَدًا إِلَّا فِي نُورِ نَفْسِهِ إِنْ كَانَ " لَهُ " نُورٌ مَشَى فِي نُورِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ أَصْلًا لَمْ يَنْفَعْهُ نُورُ غَيْرِهِ. وَلَمَّا كَانَ الْمُنَافِقُ فِي الدُّنْيَا قَدْ حَصَلَ لَهُ نُورٌ ظَاهِرٌ غَيْرُ مُسْتَمِرٍّ وَلَا مُتَّصِلٍ بِبَاطِنِهِ وَلَا لَهُ مَادَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ أُعْطِيَ فِي الْآخِرَةِ نُورًا ظَاهِرًا لَا مَادَّةَ لَهُ ثُمَّ يُطْفَأُ عَنْهُ أَحْوَجُ مَا كَانَ إِلَيْهِ.[(٣)].

النبي ﷺ يعرف أمته بنورهم:

روى ابن المبارك والحاكم عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ، سَمِعَ أَبَا ذَرٍّ، وَأَبَا الدَّرْدَاءِ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ فِي السُّجُودِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ بِرَفْعِ**

---

(١) تقدم قريبا (ص: ٣١٢)

(٢) مستدرك الحاكم (٦٠٨٧) وصحح إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/ ٣٧٥) والضعيفة (٨/ ٢١٧).

(٣) انظر: «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٧٣ ط عطاءات العلم)

رَأْسِهِ، فَأَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيَّ، وَأَعْرِفُ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ، وَأَنْظُرُ عَنْ شِمَالِي، فَأَعْرِفُ أُمَّتِي مِنْ بَيْنَ الْأُمَمِ، وَأَنْظُرُ مِنْ خَلْفِي، فَأَعْرِفُ أُمَّتِي مِنْ بَيْنَ الْأُمَمِ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَعْرِفُ أُمَّتَكَ مِنْ بَيْنَ الْأُمَمِ، مَا بَيْنَ نُوحٍ إِلَى أُمَّتِكَ، قَالَ: غُرٌّ مُحَجَّلُونَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، وَلَا يَكُونُ مِنَ الْأُمَمِ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، وَأَعْرِفُهُمْ أَنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَأَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ، وَأَعْرِفُهُمْ بِنُورِهِمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَبِأَيْمَانِهِمْ »[١]

البشارة للمشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة:

يقول النبي -ﷺ-: «**بشّر المشّائين في الظُّلَم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**»[٢]

قال المباركفوري رحمه الله: «**بالنّور التام**»، قال: "الذي يحيط بهم من جميع جهاتهم، أي على الصراط لما قاسوا مشقة المشي في ظلمة الليل جوزوا بنور يضيء لهم ويحيطهم"[٣] وهذا عملٌ يسير على من يسّره الله -عَزَّوَجَلَّ- عليه.

أول الناس مرورا على الصراط هذه الأمة:

ثبت في الصحيحين عن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه أن النبي ﷺ قَالَ: «... **فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، ...**»[٤]

أول الأمة مرورا على الصراط فقراء المهاجرين:

روى الإمام مسلم عن ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَاءَ حِبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ ...ثم قال اليهودي: جِئْتُ أَسْأَلُكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟**» قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ، فَنَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِعُودٍ مَعَهُ، فَقَالَ: «**سَلْ**» فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ

---

(١) «الزهد والرقائق - ابن المبارك - ت الأعظمي» (الملحق/ ١١٢) و«المستدرك على الصحيحين للحاكم» (٣٧٨٤)، وصححه الألباني لغيره في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ١٨٨).

(٢) رواه أبو داود (٥٦١) والترمذي (٢٢١) من حديث بريدة -رضي الله عنه-. ورواه ابن ماجه (٧٨٠، ٧٨١) من حديث سهل بن سعد، وأنس -رضي الله عنهما-؛ وهو في صحيح الترغيب والترهيب (٣١٥).

(٣) تحفة الأحوذي (٢/ ١٣)

(٤) صحيح البخاري (٨٠٦) وصحيح مسلم (١٨٢).

الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ» قَالَ: فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَازَةً؟ قَالَ: «فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ ...» الحديث[١].

وقوله: «إِجَازَة» هو بِكَسْر الْهمزَة وزاي أَي جَوَازًا وعبورا.

وفيه بيان فضل فقراء المهاجرين، حيث أكرمهم الله تعالى بسبق غيرهم في الجواز على الصراط.

قال العلماء: ولا يدلّ هذا على أن فقراء المهاجرين أفضل من أغنيائهم، للإجماع على أن عثمان بن عفّان وعبد الرحمن بن عوف، أفضل من أبي هريرة، وأبي ذرّ رضي الله عنهم.[٢]

أحوال المارين على الصراط:

في حديثِ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «... ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ»، [وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ] قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الجِسْرُ؟ قَالَ: «مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، المُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا، ...» الحديث[٣]

وفي الصحيحين في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «... وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَبِهِ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، ... غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمُ المُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ المُخَرْدَلُ، ثُمَّ يَنْجُو ...» الحديث[٤]

وتقدم معنا حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في صحيح الإمام مسلم رحمه الله لمّا سُئِل عن الورود الذي يكون في ذلك اليوم، فقال رضي الله عنه وأرضاه: «فَتُدْعَى الأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ مَنْ تَنْظُرُونَ؟-أي: من تنتظرون؟- فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ. فَيَتَجَلَّى لَهُمْ

---

(١) صحيح مسلم (٣١٥)

(٢) انظر: «البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج» (٧/ ٥٣٩)

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) ومنه الزيادة.

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٧٣) واللفظ له ومسلم (١٨٢).

يَضْحَكُ-قَالَ-فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ- مُنَافِقٍ أَوْ مُؤْمِنٍ - نُورًا ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ وَحَسَكٌ تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يَطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لاَ يُحَاسَبُونَ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَإِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ ثُمَّ كَذَلِكَ ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً ...» الحديث(١).

وتقدم حديث أبي هريرة وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أنّ النبي ﷺ قال: «وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالاً فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ» قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ وَشَدِّ الرِّجَالِ تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلاَ يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلاَّ زَحْفًا. قال عليه الصلاة والسلام: وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلاَلِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ»(٢).

وفي جامع الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ ثُمَّ يَصْدُرُونَ مِنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ، فَأَوَّلُهُمْ كَلَمْحِ البَرْقِ، ثُمَّ كَالرِّيحِ، ثُمَّ كَحُضْرِ الفَرَسِ، ثُمَّ كَالرَّاكِبِ فِي رَحْلِهِ، ثُمَّ كَشَدِّ الرَّجُلِ، ثُمَّ كَمَشْيِهِ»(٣).

وفي رواية لغيره: «فَيَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ، وَالصِّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، قَالَ: فَيُقَالُ انْجُوا عَلَى قَدْرِ نُورِكُمْ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَانْقِضَاضِ الْكَوْكَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالطَّرْفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الرَّحْلِ وَيَرْمُلُ رَمَلًا فَيَمُرُّونَ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، حَتَّى يَمُرَّ الَّذِي نُورُهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ يَجُرُّ يَدًا وَيُعَلِّقُ يَدًا وَيَجُرُّ رِجْلًا وَيُعَلِّقُ رِجْلًا فَتُصِيبُ جَوَانِبَهُ النَّارُ، قَالَ: فَيَخْلُصُونَ... »(٤) الحديث

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٩). وتقدم في المجلس الثالث والثلاثين.

(٢) تقدم تخريجه في هذا المجلس.

(٣) أخرجه الترمذي (٣١٥٩).

(٤) صفة الجنة لابن أبي الدنيا ت العساسلة (٣١) وسنده حسن. ورواه أيضا الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٣٥٧) رقم (٩٧٦٣) والدارقطني في الرؤية (١٦٢) والحاكم في المستدرك (٣٤٢٤، ٨٧٥١) واللفظ له وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٩١) وفي الصحيحة (٣١٢٩)

فهذه الأحاديث وغيرها فيها بيان حال الناس عند المرور على الصراط.

قَالَ ابن أَبِي جَمْرَةَ رحمه الله: يُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّ الْمَارِّينَ عَلَى الصِّرَاطِ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ:

- نَاجٍ بِلَا خُدُوشٍ
- وَهَالِكٌ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ
- وَمُتَوَسِّطٌ بَيْنَهُمَا يُصَابُ ثُمَّ يَنْجُو

قال: وَكُلُّ قِسْمٍ مِنْهَا يَنْقَسِمُ أَقْسَامًا تُعْرَفُ بِقَوْلِهِ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ»[1]

فالناجي بلا خدش هو الناجي المُسلَّم كما في الحديث وورد بيان صفتهم في حديث جابر رضي الله عنه وفيه «**... فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لاَ يُحَاسَبُونَ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَإِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ...**»

والهالك من يُكْدَسُ في نار جهنم، -نسأل الله السلامة والعافية-:

كما تقدم في الحديث «**وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ**»

وفي لفظٍ: «**مَكَرْدَسٌ**»[2]

وفي لفظ: «**وَمَنْكُوسٌ فيها**»[3]

وهؤلاء هم المنافقون، فيُلْقَون في نار جهنم.

وكذلك: بعض العصاة من أهل التوحيد الذين تَنَال بعضَهم الشفاعةُ كما تقدم.

وأما الكفار فتقدم أنهم يلقون في النار قبل نصب الصراط.

والمتوسط بينهما هو المشار إليه في الروايات بأنه المخدوش:

قال «**... وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ...**»

أو المخردل قال «**... وَمِنْهُمُ المُخَرْدَلُ، ثُمَّ يَنْجُو ...**»

---

(١) «فتح الباري لابن حجر» (١١/ ٤٥٤)

(٢) رواية لمسلم. قال النووي رحمه الله في شرح مسلم (٣/ ٧٢): (فمخدوش ناج ومكدوس) هو بالدال ... ووقع في أكثر الأصول هنا مكردس بالراء ثم الدال وهو قريب من معنى المكدوس ا.هـ

(٣) رواه ابن ماجه (٤٢٨٠) من حديث أبي سعيد -رضي الله عنه-. وهو في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ١٣٦٠) رقم (٨١٨٩)

وهؤلاء هم العصاة الذين اجترحوا السيئات، واكتسبوا الخطايا فتخطفهم الكلاليب، فتجرح أجسادهم لكنهم ينجُون بفضل الله ﷻ ثم بسبب أعمالهم.

فلا بد من العمل كما قال الله ﷻ في أهل الجنة:

﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النحل]

وقال تعالى: ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٢]

وقال تعالى: ﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الطور: ١٩، المرسلات: ٤٣]

وقال تعالى عن أهل النار: ﴿ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [السجدة: ١٤]

والعابرون للصراط متفاوتون بحسب أعمالهم كما تقدم في الأحاديث:

" فمنهم من يمُرُّ كلمح البصر، ومنهم من يمُرُّ كالبرق، ومنهم من يمُرُّ كالريح، ومنهم من يمُرُّ كالفرس الجواد، ومنهم من يمُرُّ كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدوًا، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يزحف زحفًا، ومنهم من يخطف فيلقى في جهنم؛ فإنّ الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم. فمن مرّ على الصراط؛ دخل الجنة".(١).

قال شمس الدين ابن القيم رحمه الله: وقد أشار النبي ﷺ إلى أن كمال ما يُستمتع به من الطيبات في الآخرة بحسب كمال ما قابله من الأعمال في الدنيا، ثم قال: وَمِنْهَا: أَنَّ مَشْيَهُمْ عَلَى الصِّرَاطِ فِي السُّرْعَةِ وَالْبِطْءِ بِحَسَبِ " سُرْعَةِ " سَيْرِهِمْ "وَبُطْئِهِ" **عَلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ فِي الدُّنْيَا** فَأَسْرَعُهُمْ سَيْرًا هُنَا أَسْرَعُهُمْ هُنَاكَ وَأَبْطَأُهُمْ هُنَا أَبْطَأُهُمْ هُنَاكَ. وَأَشَدُّهُمْ ثَبَاتًا عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ " هُنَا " أَثْبَتُهُمْ هُنَاكَ **وَمَنْ خَطِفَتْهُ كَلَالِيبُ الشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ وَالْبِدَعِ الْمُضِلَّةِ هُنَا خَطِفَتْهُ الْكَلَالِيبُ الَّتِي كَأَنَّهَا شَوْكُ السَّعْدَانِ هُنَاكَ**

---

(١) انظر: العقيدة الواسطية (ص: ٩٩).

وَيَكُونُ تَأْثِيرُ الْكَلَالِيبِ فِيهِ هُنَاكَ فِيهِ عَلَى حَسَبِ الشَّهَوَاتِ " وَالشُّبُهَاتِ " وَالْبِدَعِ فِيهِ هَاهُنَا فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُسَلَّمٌ، وَمَحْزُولٌ أَيْ: مُقَطَّعٌ بِالْكَلَالِيبِ مُكَرْدَسٌ فِي النَّارِ كَمَا أَثَّرَتْ فِيهِمْ تِلْكَ الْكَلَالِيبُ فِي الدُّنْيَا ﴿ جَزَآءَ وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [النبأ] ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت][(١)].

آخر من يجوز الصراط:

روى أَنَسٌ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنهم، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ [يَمْشِي عَلَى الصِّرَاطِ]، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا [وفي رواية: فَإِذَا جَاوَزَ الصِّرَاطَ] الْتَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا، فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْخِلْنِيهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟

(١) انظر: «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٧٤ ط عطاءات العلم)

قَالَ: يَا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟»، فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ، قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ»(١)

قلت: قوله في الحديث: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ...» إلخ.

وفي رواية للحديث -عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ ابن مسعود ﷺ-: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا»(٢)

واختلف في الجمع بينهما.

هل هذا الرجل دخل النار ثم خرج منها، أو هو ممن لم يدخلها؟

والظاهر أنهما حديثان كما يتبين من الزيادتين المذكورة.

وقد قال الحافظ رحمه الله: قَالَ عِيَاضٌ: ... يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْخُرُوجُ هُنَا بِمَعْنَى الْوُرُودِ وَهُوَ الْجَوَازُ عَلَى الصِّرَاطِ ...قال الحافظ رحمه الله: قُلْتُ وَقَعَ عِنْدَ مُسْلِمٍ مِنْ رِوَايَةِ أنس عَن ابن مَسْعُودٍ مَا يُقَوِّي هذا الِاحْتِمَالَ ... ا.هـ(٣)

وقال رحمه الله: وَأَشَارَ ابن أَبِي جَمْرَةَ إِلَى الْمُغَايَرَةِ بَيْنَ آخِرِ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ ... وَأَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَهَا حَقِيقَةً وَبَيْنَ آخِرِ مَنْ يَخْرُجُ مِمَّنْ يَبْقَى مَارًّا عَلَى الصِّرَاطِ

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٧) قال: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسٍ ﷺ به. وأخرجه أحمد في المسند (٣٨٩٩) حدثنا عفان به. وأخرجه أحمد أيضا (٣٧١٤) قال حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا حماد به وعنده الزيادتان. ومن طريق يزيد رواه أبو يعلى (٥٢٩٠) والشاشي (٢٦٨) في مسنديهما، وأبو عوانة في المستخرج على مسلم (٣٧٢) ورواه ابن حبان في صحيحه (٧٤٣٠) من طريق إسحاق بن راهويه قَالَ: أَخْبَرَنَا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ. وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٤٨) وأبو يعلى في المسند (٤٩٨٠) قالا: حَدَّثَنَا هُدْبَةُ، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٩) رقم (٩٧٧٥) من طريق حجاج بن منهال ثلاثتهم عن حماد به. وعندهم الزيادة الأولى. وأبو عوانة في المستخرج على مسلم (٣٧٣) من طريق عمرو بن عاصم الكلابي عن حماد به وعنده الزيادتان.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٧١) ومسلم (١٨٦) عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺ.

(٣) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٤٣)

فَيَكُونُ التَّعْبِيرُ بِأَنَّهُ خَرَجَ مِنَ النَّارِ بِطَرِيقِ الْمَجَازِ لِأَنَّهُ أَصَابَهُ مِنْ حَرِّهَا وَكَرْبِهَا مَا يُشَارِكُ بِهِ بَعْضَ مَنْ دَخَلَهَا ا.هـ[١]

الأمانة والرحم تقومان جنبتي الصراط:

والأمانةُ والرّحِمُ حول الصراط، يقفان في ناحيتي الصراط: كما تقدم في الحديث وهذا يدُلُّ على عِظَمِ هذه الأعمال.

قال التوربتشي: «... وَالْمَعْنَى أَنَّ الْأَمَانَةَ وَالرَّحِمَ لِعِظَمِ شَأْنِهِمَا وَفَخَامَةِ مَا يَلْزَمُ الْعِبَادُ مِنْ رِعَايَةِ حَقِّهِمَا يُمَثَّلان هُنَاكَ لِلْأَمِينِ وَالْخَائِنِ وَالْمُوَاصِلِ وَالْقَاطِعِ فَيُحَاجَّانِ عَنِ الْمُحِقِّ وَيَشْهَدَانِ عَلَى الْمُبْطِلِ»[٢]

وقال العلامة الطيبي: «ويمكن أن تحمل الأمانة على الأمانة العظمى، وهي ما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ [الأحزاب: ٧٢]؛ وصلةُ الرحم صلتها الكبرى وهي ما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ [النساء: ١] فيدخل في الحديث معنى التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله، وكأنهما اكتنفا جنبي الإسلام الذي هو الصراط المستقيم، وقطري الإيمان والدين القويم»[٣] فلا يجوزُ الصراطَ إلا من صَلَح عملُه، ونجا بفضل من الله ورحمته.

القنطرة بعد الصراط:

فإذا نجا المؤمنون من أهوال هذا الصراط -ولا يجوزه إلا المؤمنون-؛ حُبِسُوا بعد ذلك في قَنْطَرَةٍ بين الجنة والنار.

وهذه القنطرة خاصة لمسلك المؤمنين إلى الجنة يقفون عندها فيقتص لبعضهم من بعض، ويُهَذَّبُون ويُنَقّوْن قبل أن يدخلوا الجنة.

---

(١) المرجع السابق (١١/ ٤٥٩)

(٢) «الميسر في شرح مصابيح السنة للتوربشتي» (٤/ ١٢٠٣) وانظر: فتح الباري (١١/٤٥٣)

(٣) «شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن» (١١/ ٣٥٢٥) وانظر: فتح الباري (١١/٤٥٣)

كما أخبر بذلك نبيُّنا ﷺ قال عليه الصلاة والسلام: «**إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ - يعني من العبور على الصراط - حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ ﷺ بِيَدِهِ لأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا**»[(١)].

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: « هذا القصاص غير القصاص الأول الذي في عرصات القيامة، لأن هذا قصاص أخص؛ لأجل أن يذهب الغل والحقد والبغضاء التي في قلوب الناس، فيكون هذا بمنزلة التنقية والتطهير، وذلك لأن ما في القلوب لا يزول بمجرد القصاص»[(٢)]

وفي الصحيحين عَنْ أُسَامَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**قُمْتُ عَلَى بَابُ الجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةَ مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، ...** » الحديث[(٣)].

قال الحافظ: قَوْلُهُ «**أَصْحَابُ الجَدِّ**» بِفَتْحِ الْجِيمِ أَيِ الْغِنَى. وقَوْلُهُ «**مَحْبُوسُونَ**» أَيْ مَمْنُوعُونَ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ مَعَ الْفُقَرَاءِ مِنْ أَجْلِ الْمُحَاسَبَةِ عَلَى الْمَالِ وَكَأَنَّ ذَلِكَ عِنْدَ الْقَنْطَرَةِ الَّتِي يَتَقَاصُّونَ فِيهَا بَعْدَ الْجَوَازِ عَلَى الصِّرَاطِ ا.هـ[(٤)]

قال ابن بطال رحمه الله: وإنما صار «**أَصْحَابُ الجَدِّ**» محبوسون[(٥)] لمنعهم حقوق الله الواجبة للفقراء فى أموالهم، فحبسوا للحساب عما منعوه، فأما من أدى حقوق الله فى أمواله، فإنه لا يحبس عن الجنة، إلا أنهم قليل، إذ أكثر شأن (أهل) المال تضيع حقوق الله فيه؛ لأنه محنة وفتنة ا.هـ[(٦)]

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) «شرح العقيدة الواسطية» (٢/ ١٦٣)

(٣) صحيح البخاري (٥١٩٦، ٦٥٤٧)، وصحيح مسلم (٢٧٣٦)

(٤) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٢٠)

(٥) كذا، وكأنه على الحكاية للحديث والقياس: محبوسين، وجاءت كذلك في عمدة القاري للعيني (٢٠/ ١٨٧)

(٦) «شرح صحيح البخاري» (٧/ ٣١٨)

وقال الداودي رَحِمَهُ اللَّهُ: أرجو أن يكون هؤلاء أهل التفاخر؛ لأن أفاضل الصحابة كانت لهم أموال ووصفهم الله تعالى بأنهم سابقون ا.هـ[١]

فاحذروا أيها المؤمنون من الظلم، واحذروا عاقبته، واحذروا من التفريط في الأعمال الصالحات؛ فإن المؤمن في يوم القيامة يحتاج إلى العمل الصالح الذي يُقَرِّبُه إلى الله جَلَّ وَعَلَا كما يحتاج إلى العمل الذي يكون شفيعًا له عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

شفاعة المؤمنين لإخوانهم إذا عبروا الصراط:

وأخبر النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الناجين من عباد الله سبحانه من المؤمنين يجادلون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن إخوانهم. فقد جاء في المسند وغيره أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يُوضَعُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، ... ثُمَّ يَسْتَجِيزُ النَّاسُ، ... قال: فَإِذَا فَرَغَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، يَفْقِدُ الْمُؤْمِنُونَ رِجَالًا كَانُوا مَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا يُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِمْ، وَيُزَكُّونَ بِزَكَاتِهِمْ، وَيَصُومُونَ صِيَامَهُمْ، وَيَحُجُّونَ حَجَّهُمْ وَيَغْزُونَ غَزْوَهُمْ فَيَقُولُونَ: أَيْ رَبَّنَا، عِبَادٌ مِنْ عِبَادِكَ كَانُوا مَعَنَا فِي الدُّنْيَا يُصَلُّونَ صَلَاتَنَا، وَيُزَكُّونَ زَكَاتَنَا، وَيَصُومُونَ صِيَامَنَا، وَيَحُجُّونَ حَجَّنَا، وَيَغْزُونَ غَزْوَنَا لَا نَرَاهُمْ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا إِلَى النَّارِ فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْهُمْ فَأَخْرِجُوهُ**» الحديث [٢]. وتقدم -كما ذكرنا- الحديثُ عن موضوع الشفاعة. وهذا يدل على فضل الأُخُوَّة في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن من فضلها: أن المؤمن يشفع لأخيه المؤمن فيجادل عنه، حتى يرحمه الله ويخرج من النار.

نسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يجعلنا من أهل الجنة، وأن يعيذنا من النار

ونسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يهدينا صراطه المستقيم.

انتهى الجزء السادس

ويليه الجزء السابع: الإيمان بالجنة والنار

---

(١) نقله ابن الملقن في التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٩/ ١٢٥)

(٢) أخرجه أحمد (١١٠٨١) من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المحتويات

الركن السادس من أركان الإيمان الإيمان باليوم الآخر ٥

المجلس الحادي والعشرون ٧

الشعبة السادسة من شعب الإيمان الإيمان باليوم الآخر ٧

الإيمان باليوم الآخر من أركان الإيمان الستة ٧

ما هو اليوم الآخر؟ ٧

كفر من لا يؤمن باليوم الآخر ٨

ما يتضمّنُه الإيمان باليوم الآخر ٨

من ثمرات الإيمان باليوم الآخر ٨

لا يعلم متى الساعة إلا الله ٩

الساعة حق ١٠

الآيات التي أمر الله نبيّه فيها بالقسم بربه على قيام الساعة ١١

علم الساعة من مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله ١٢

الساعة قريبة ١٢

الساعة تقوم بغتة ١٣

تقوم الساعة يوم الجمعة ١٤

من مات قامت قيامته ١٤

تقوم الساعة على شرار الخلق ١٦

مناظرة عبد الله بن عمرو وعقبة بن عامر في هذا الحديث ١٧

ذكر حديث الطائفة المنصورة وبيان عدم معارضته للحديث السابق ١٨

من أسماء يوم القيامة ٢٣

الإيمان بأشراط الساعة ٣١

المجلس الثاني والعشرون ٣٣

أشراط الساعة ٣٣

تعريف أشراط الساعة ٣٣

أشراط الساعة صغرى وكبرى ٣٣

ذكر العلامات الكبرى ٣٤

تتابع العلامات الكبرى عند ظهورها ٣٤

ذكر العلامات الصغرى ٣٥
أهمية الإيمان بأشراط الساعة ٣٦
والحكمة في تقديم الأشراط ودلالة الناس عليها ٣٦
من ثمرات الإيمان بأشراط الساعة ٣٦
الإيمان بأشراط الساعة من الإيمان بالغيب ٤١
ضوابط وقواعد في باب أشراط الساعة ٤١
من أشراط الساعة الصغرى ٤٤
بعثته ﷺ ٤٤
موته ﷺ ٤٤
فتح بيت المقدس ٤٥
استفاضة المال والاستغناء عن الصدقة ٤٥
الفتن بين يدي الساعة ٤٧
افتراق الأمة ٤٨
اتباع اليهود والنصارى والمشركين ٥١
الإيمان بحياة البرزخ ونعيم القبر وعذابه ٥٥
المجلس الثالث والعشرون ٥٧
حياة البرزخ ٥٧
حياة البرزخ القيامة الصغرى ٥٧
تعريف البرزخ ٥٨
الدور ثلاثة ٥٨
الموت بيد الله ٥٩
الموتُ حتم لازم على كل حي ٥٩
والموت له أجلٌ محدّدٌ ٥٩
ولا يعلم أحدٌ متى يموت إلا اللهُ ٦٠
ولا يعلم أحدٌ أين يموت إلا اللهُ ٦٠
للموت سكرات ٦٠
قال رب ارجعون ٦١
حياة البرزخ روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ٦٢
حديث البراء بن عازب في أحوال الانتقال من الدنيا إلى الآخرة ٦٣

من شواهد حديث البراء ٧٣
حديث أنس ﷺ ٧٣
حديث أبي هريرة ﷺ ٧٤
حديث ثانٍ لأبي هريرة ﷺ ٧٤
حديث ثالث لأبي هريرة ﷺ ٧٥
حديث عائشة ﷺ ٧٦
حديث أبي سعيد الخدري ﷺ ٧٨
فصل في ذكر ضمة القبر ٧٨
فصل في ذكر ما ورد من الأحاديث في ضمة القبر ٧٩
فتنة القبر وسؤال المَلَكَيْنِ ٨٨
المجلس الرابع والعشرون ٨٩
عذاب القبر ونعيمه ٨٩
الأدلة من القرآن ٨٩
الأدلة من السنة ٩٣
هول القبر وفظاعته ٩٨
ذِكْرُ بعضِ ما يدخل في الإيمان باليوم الآخر ٩٨
الإيمان بالنفخ في الصور ١٠١
النفخ في الصور ١٠٣
النفخ في الصور يكون مرتين ١٠٣
الملك الموكل بالنفخ في الصور قد التقمه ١٠٦
صاحب النفخ في الصور ١٠٦
وقت النفخ في الصور ١٠٦
مدة ما بين النفختين ١٠٦
النفخة الأولى ١٠٧
النفخة الأولى يتبعها تغيير عام في الكون ١٠٨
النفخة الأولى يتبعها قبض السماوات والأرض ١٠٩
النفخة الأولى يتبعها فناء من في السماوات والأرض ١١٠
النفخة الثانية نفخة الإحياء والحشر ١١٠
النفخة الثانية يتتابع بعدها أهوالُ يوم القيامة ١١١

الإيمان بالبعث والنشور ١١٣

المجلس الخامس والعشرون ١١٥

الشعبة السابعة من شعب الإيمان الإيمان بالبعث والنشور ١١٥

حكم منكر البعث والنشور ١١٥

تعريف الإيمان البعث والنشور ١١٥

من أدلة الإيمان بالبعث والنشور ١١٦

الإخبار بوقوع الساعة وقربها ١١٦

القسم من الله تعالى بقيام الساعة ومن أصدق من الله حديثًا ١١٦

المواضع التي أمر الله نبيه بالقسم فيها على البعث والمعاد ١١٧

المدح للمؤمنين المصدقين بالبعث والنشور ١١٧

الذم لمن كذّب بالمعاد ١١٧

إخبار الله تعالى بأن القيامة حق ١١٧

الاستدلال بالنشأة الأولى على البعث والمعاد ١١٨

ضرب الأمثال على المعاد ١١٨

التكذيبُ بالبعث تكذيبٌ بألوهية الله وربوبيته ١١٩

أمثلة حسية رآها الناس لإحياء الموتى ١٢١

المثال الأول ١٢١

المثال الثاني ١٢٢

المثال الثالث ١٢٢

المثال الرابع ١٢٣

المثال الخامس ١٢٣

المثال السادس ١٢٣

المثال السابع ١٢٣

المثال الثامن ١٢٤

ذكر ما اشتملت عليه سورةُ البقرة من المواضع ١٢٤

ضرب المثل على أن البعث حق بإحياء الله الأرض بالنبات ١٢٥

إخبار الله آدم عليه السلام بالبعث عند إهباطه الأرض ١٢٥

اعتراف إبليس بالبعث ١٢٥

إخبار الأنبياء أقوامهم بالبعث ١٢٥

إخبار نوح عليه السلام قومه بالبعث ١٢٥
إخبار إبراهيم عليه السلام بالبعث ١٢٥
إخبار موسى عليه السلام بالبعث ١٢٦
إخبار هود عليه السلام بالبعث ١٢٥
إخبار شعيب عليه السلام قومه بالبعث ١٢٦
تكذيب العاصي بن وائل بالبعث ونزول القرآن في ذلك ١٢٦
إخبار نبينا صلى الله عليه وسلم عن حال أهل القبور وأنهم يبعثون ١٢٧
مزيد من أدلة السنة على البعث والنشور ١٢٧
أولُ من يبعث نبيُّنا محمد صلى الله عليه وسلم ١٢٧
يُبعَث الناسُ على نياتهم ١٢٨
يُبعَث كلُّ عبد على ما مات عليه من عمل ١٢٨
ما تتميز به هذه الأمة عند البعث ١٣٠
من أذكار اليوم والليلة المشتملة على ذكر البعث والنشور ١٣١
الأهوال العظيمة عند البعث ١٣١
الإيمان بالحشر ١٣٣
المجلس السادس والعشرون ١٣٥
الشعبة الثامنة من شعب الإيمان الإيمان بالحشر ١٣٥
الإيمان بالحشر بعد البعث من الإيمان باليوم الآخر ١٣٥
تعريف الحشر ١٣٥
الآيات الواردة في الحشر ١٣٦
أهمية التذكير بالحشر ١٣٧
الداعي إلى أرض المحشر ١٣٨
يخرجون إلى أرض المحشر سراعا ١٣٨
خشعا أبصارهم سراعا ١٣٩
الملائكة تسوقهم إلى المحشر ١٣٩
لا يتخلف أحد عن أرض المحشر ١٣٩
يأتون أفواجا ١٣٩
وجوب الإيمان بالحشر ١٤٠
أثر الإيمان بالحشر ١٤٠

من أدلة السنة على الحشر ١٤٠
رحلة جابر بن عبد الله ﷺ لسماع حديث القصاص بين الخلائق ١٤٢
يُحشَر المؤمنون مكرمين ١٤٣
صفة حشر المتكبرين ١٤٣
صفة حشر المجرمين والكافرين ١٤٣
طرائق حشر الناس يوم القيامة ١٤٥
آخر من يحشر ١٤٦
صفة أرض المحشر ١٤٦
مكان الناس عند الحشر ١٤٧
حشر الدواب ١٤٧
يجمع الله الخلائق في صعيد واحد ١٤٨
الإيمان بأهوال يوم القيامة ١٤٩
المجلس السابع والعشرون ١٥١
بعض الأهوال المتعلقة بأحوال الناس يوم القيامة ١٥١
الأرض تنطق يوم القيامة عند البعث والحشر ١٥١
إذا بُعثِرت القبور يقومون متفرِّقين ١٥٢
إذا قاموا من قبورهم إلى المحشر يستقلون مدة الحياة الدنيا ١٥٢
السُّوَر التي صوّرت يوم القيامة ١٥٣
تغير السماء ١٥٤
وسُيِّرت الجبال ١٥٥
تغير الأرض ١٥٦
تغير البحار ١٥٨
تغير الشمس والقمر والنجوم ١٥٨
كُرَب يوم القيامة ١٥٩
يوم القيامة تَذْهَلُ كُلُّ مرضعة عمّا أرضعت ١٦٠
يوم القيامة يشيب الولدان ١٦٠
تشخص أبصار الظلمة في ذلك اليوم ١٦٠
قلوب واجفة وأبصار خاشعة ١٦١
أسمع بهم وأبصر ١٦٢

تتقطع الأنساب ١٦٢
لا يسأل حميم حميمًا ١٦٢
يفر المرء من أقرب الناس إليه ١٦٣
كل نفس بما كسبت رهينة ١٦٤
المجلس الثامن والعشرون ١٦٥
تتمة في ذكر بعض الأهوال المتعلقة بأحوال الناس يوم القيامة ١٦٥
انقسام الناس يوم القيامة ١٦٥
حال الكفار يوم القيامة عند خروجهم من قبورهم ١٦٥
دنو الشمس من رؤوس الخلائق ١٦٧
المؤمن في مأمن من هول يوم القيامة ١٦٨
تتابع الحسرات يوم القيامة ١٦٩
لا تقبل أعمال البر من الكافر يوم القيامة ١٧٠
الخصومة بينهم يوم القيامة ١٧١
حال عصاة المؤمنين ١٧٢
حال الذي لا يؤدي الزكاة يوم القيامة ١٧٢
حال المتكبرين يوم القيامة ١٧٣
حال من كتم علما يوم القيامة ١٧٣
شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر ١٧٤
العاقُّ لوالديه والمرأة المترجلة والديوث ١٧٤
المكثرون هم المقِلُّون إلا من أدّى حق المال ١٧٥
من أخذ أرضًا بغير حق ١٧٥
لكل غادر لواء ١٧٦
الغالُّ يوم القيامة ١٧٦
ذو الوجهين ١٧٧
الحاكم المحتجب عن الرعية ١٧٨
من كذب في حلمه ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون ١٧٨
المُراؤون يوم القيامة ١٧٨
أصحاب الغلو في الصالحين شرار الخلق يوم القيامة ١٧٩
المصوِّرُون للصور المحرّمة ١٧٩

من ضَرَبَ بسوط ظلمًا اقتُصّ منه ١٨٠
قاتل نفسه ومن لعن مؤمنًا أو قذفه ١٨١
من قذف مملوكه بغير حق أقيم عليه الحد يوم القيامة ١٨١
أيها العاصي تُبْ ولا تأمن مكر الله ١٨١
حال المؤمنين يوم القيامة ١٨٢
أصنافٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظلِّه ١٨٣
أصنافٌ آمنون يوم القيامة ١٨٤
فضل الشهيد ١٨٤
فضل من كظم غيظه وهو قادر على إنفاذه ١٨٤
فضل المؤذنين ١٨٥
فضل من شاب شيبة في الإسلام ١٨٥
فضل الوضوء ١٨٦
الإيمان بالشفاعة ١٨٧
المجلس التاسع والعشرون ١٨٩
الشفاعة ١٨٩
تعريف الشفاعة ١٨٩
الشفاعة ملك لله ١٨٩
الشفاعة لمن أَذِنَ الله له ورضي عنه ١٩٠
الشفاعة قسمان ١٩٠
الشفاعة العظمى يوم القيامة ١٩١
الشفاعة العظمى يوم القيامة هي المقام المحمود ١٩٦
الشفاعة لأقوام استحقُّوا دخول الجنة أن يدخلوها ١٩٧
شفاعة النبي ﷺ في عمه أبي طالب ١٩٨
النوع الرابع الشفاعة في أقوام دخلوا النار أن يخرجوا منها ١٩٩
شفاعة المؤمنين لإخوانهم الذين دخلوا النار ٢٠٠
ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ٢٠١
الشفاعة في دخول من لا حساب عليهم الجنة ٢٠٣
الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة ٢٠٤
الشفاعة في أقوام قد أُمِرَ بهم إلى النار ألّا يدخلوها ٢٠٤

قصة تبين المعتقد الصحيح في الشفاعة في أهل الكبائر ٢٠٥
كلمة مهمة للإمام البيهقي ٢٠٧
أمة محمد ﷺ أول الأمم دخولا الجنة ٢٠٧
رسولنا ﷺ أول شافع ٢٠٧
من الأعمال الصالحة التي تشفع لصاحبها ٢٠٨
ما يمنع من الشفاعة ٢٠٩
أعنِّي على نفسك بكثرة السجود ٢١٠
احذر من الاتكال وترك العمل ٢١٠
الشفاعة ملك لله ٢١٠
الشفاعة لأهل التوحيد والإخلاص ٢١٢
الإيمان بالحساب والجزاء ٢١٣
المجلس الثلاثون ٢١٥
الإيمان بالحساب ٢١٥
تعريف الحساب ٢١٥
وجوب الإيمان بالحساب ٢١٥
الاستعاذة من سوء الحساب ٢١٦
الحساب بين العرض والمناقشة ٢١٨
الحساب العسير ٢١٩
الحسابُ عن كل شيء ٢٢٠
كلُّ أمة جاثية للحساب ٢٢٠
حساب المؤمن ٢٢٠
حساب الكافر ٢٢٠
حسنات الكفار في الدنيا ٢٢١
السؤال والحساب في موطن وتركه في موطن آخر ٢٢١
لا يظلم أحد يوم القيامة ٢٢٢
لا تزر وازرة وزر أخرى ٢٢٢
كتاب الإنسان وصحيفته يوم القيامة ٢٢٤
تطاير الصحف ٢٢٤
من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ٢٢٦

مضاعفة الصّدقات ٢٢٦
مضاعفة الحرف في تلاوة القرآن ٢٢٧
يُبدِّل الله السيئاتِ حسناتٍ للتائبين ٢٢٧
إقامة الشهود على العباد ٢٢٨
شهادة السمع والبصر والجلود ٢٢٨
أمة محمد تُصدِّق الأنبياء ٢٣٠
الأرض تشهد ٢٣٠
شهداء آخرون ٢٣١
شهادة الليالي والأيام ٢٣٢
أربعٌ يُسأَل عنها المرءُ يومَ القيامة ٢٣٣
سؤال العبد عن النعيم والماء البارد ٢٣٣
يسأل عن العهود والمواثيق ٢٣٤
يسأل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده ٢٣٤
أول ما يحاسب عليه المرء من عمله صلاته ٢٣٥
الدعاء بـ (اللهم حاسبني حسابا يسيرا) ٢٣٦
التعوُّذ من ضيق المقام ٢٣٧
المراؤون أول من تسعر به النار ٢٣٧
بعض ما قيل من الشعر في الحساب ٢٣٨
الإيمان باقتصاص المظالم يوم القيامة ٢٣٩
المجلس الحادي والثلاثون ٢٤١
اقتصاص المظالم ٢٤١
يوم القيامة يوم الفصل ٢٤١
حديث أتدرون من المفلس؟ ٢٤١
التحلُّل من أصحاب المظالم في الدنيا ٢٤٣
الظلم ظلمات يوم القيامة ٢٤٤
المقتول ظلمًا يطلب حقّه يوم القيامة ٢٤٤
أول ما يقضي بين الناس يوم القيامة في الدماء ٢٤٥
تعظيم أمر الدماء ٢٤٦
الجمع بينه وبين حديث «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاتُه» ٢٤٧

الاقتصاص بين البهائم ٢٤٨
يُحبَس المؤمنون بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصُّون قبل دخول الجنة ٢٥٠
لا قُدِّسَت أمة لا يأخذ ضعيفُها حقّه من شديدها ٢٥٠
ثلاثة خصمهم الله يوم القيامة ٢٥٢
من ظلم قيد شبر من الأرض ٢٥٢
الولاية خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدّى الذي عليه فيها ٢٥٣
الإيمان بالميزان ٢٥٥
المجلس الثاني والثلاثون ٢٥٧
نصب الموازين يوم القيامة ٢٥٧
تعريف الميزان ٢٥٧
إجماع أهل السنة على أن الميزان حق ٢٥٧
الميزان ميزان حقيقي ٢٥٨
الميزان له كفتان ٢٥٨
لسان الميزان ٢٥٩
من أدلة القرآن على أن الميزان حق ٢٦٠
من أدلة السنة على أن الميزان حق ٢٦٠
تزود بما يثقل ميزانك يوم القيامة ٢٦١
لا وزن للحسنات بدون توحيد الله ٢٦١
أمور عظيمة تثقل الميزان ٢٦٢
التسبيح ٢٦٢
الكلمات الأربع الباقيات الصالحات واحتساب الولد الصالح إذا مات ٢٦٢
الذكر دبر كل صلاة وعند النوم ٢٦٣
الرفق بالخادم والعامل ٢٦٤
الخلق الحسن أعظم ما يثقل به الميزان ٢٦٤
ثواب حضور الجنائز تثقل الميزان ٢٦٥
العناية بالخيل في سبيل الله تثقل الميزان ٢٦٦
حاجة المرء إلى الحسنة الواحدة يوم القيامة ٢٦٧
أصحاب الأعراف ٢٦٧
الحرص على كسب الحسنات ٢٦٨

تواجد النبي ﷺ عند الميزان يوم القيامة ٢٦٩
ما يوزن يوم القيامة ٢٧٠
حديث البطاقة ٢٧٢
فضل من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه ٢٧٣
إن الله لا يظلم مثقال ذرة ٢٧٣
الإيمان بالحشر ٢٧٧
المجلس الثالث والثلاثون ٢٧٩
حشر الله ﷻ للعباد وتوجيههم إلى مآلهم إلى جنة أو إلى نار ٢٧٩
رؤية المؤمنين ربهم وحشر العباد إلى الصراط ٢٧٩
يوم يكشف عن ساق ٢٨٠
تنبيه في تفسير كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" ٢٨١
من عُبِدَ من الأنبياء والصالحين ٢٨٢
مقالة اليهود والنصارى في ادعائهم لله ولدا ٢٨٤
مآل المنافقين ٢٨٥
كلٌ نوره يوم القيامة بحسب عمله في دنياه ٢٨٦
حال الكافر يوم القيامة ٢٨٦
حال المنافق يوم القيامة ٢٨٨
خوف المؤمن من النفاق ٢٨٩
الإيمان بالحوض المورود ٢٩١
المجلس الرابع والثلاثون ٢٩٣
الإيمان بالحوض ٢٩٣
تواتر أحاديث الحوض ٢٩٣
ذكر جملة من أحاديث الحوض ٢٩٣
ذكر قصة سؤال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله أبا سلام رحمه الله عن حديث الحوض ٣٠٤
ما ورد في إنكار عبيد الله بن زياد للحوض والرد عليه ٣٠٧
ذكر سَعَةُ الحوض ٣٠٩
الحوض زواياه سواء ٣١٣
صفة مائه ورائحته ٣١٣
كيزانُه وأوانيه ٣١٥

الحوض موجود الآن ٣١٦
مكان الحوض ٣١٦
أول الناس وروداً على حوضه ٣١٧
فضل أهل اليمن ٣١٨
هل لكل نبي حوض؟ ٣١٩
نهر الكوثر ٣٢١
الكوثر نهر في الجنة ٣٢١
تفسير ابن عباس رضي الله عنهما للكوثر ٣٢١
الحوض يمد من الكوثر ٣٢٢
آنية الكوثر ٣٢٣
حافتا الكوثر وطينته ٣٢٣
حافتا الكوثر من ذهب ومجراه على جنادل الياقوت والدر وصفة شرابه ٣٢٣
صفة القصر على الكوثر ٣٢٤
طيور الكوثر ٣٢٤
أناس يُذَادُون عن الحوض ٣٢٥
لقاء النبي ﷺ عند الحوض ٣٢٨
الإيمان بالصراط ٣٣١
المجلس الخامس والثلاثون ٣٣٣
الإيمان بالصراط ٣٣٣
تعريف الصراط ٣٣٣
الإجماع على الإيمان بالصراط ٣٣٣
تواتر أدلة الإيمان بالصراط ٣٣٥
صفة الصراط ٣٣٥
الصراط دَحْضٌ مَزَلَّة ٣٣٥
الصراط له جنبتان ٣٣٥
لحافتي الصراط كلاليب وخطاطيف وحسكة ٣٣٦
الصراط أَحَدُّ من السيف ٣٣٨
الورود على الصراط من الأهوال العظيمة ٣٣٩
دعاء المرسلين عليهم السلام وأتباعهم عندما يضرب الصراط ٣٣٩

نبينا ﷺ قائم على الصراط يدعو للمارين بالسلامة ٣٤٠
الملائكة يدعون أيضا للمارين بالسلامة ٣٤١
المشركون يقعون في النار قبل الصراط ٣٤٢
صفة الورود على الصراط ٣٤٣
يعطى المارون على الصراط نورا بحسب أعمالهم ٣٤٤
النبي ﷺ يعرف أمته بنورهم ٣٤٥
البشارة للمشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة ٣٤٦
أول الناس مرورا على الصراط هذه الأمة ٣٤٦
أول الأمة مرورا على الصراط فقراء المهاجرين ٣٤٦
أحوال المارين على الصراط ٣٤٧
آخر من يجوز الصراط ٣٥١
الأمانة والرحم تقومان جنبتي الصراط ٣٥٣
القنطرة بعد الصراط ٣٥٣
شفاعة المؤمنين لإخوانهم إذا عبروا الصراط ٣٥٥
المحتويات ٣٥٦

رِيُّ الظَّمْآن

بِمَجَالِسِ شُعَبِ الإِيمَان